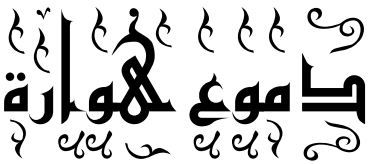
دموع حوارة

عنـوان الكتـاب: دمـــــــــوع هـــــــــوارة

الموضـــــــوع: روايـــــــــــــــــــــة

التـأليـــــــف: لولـــــــــو الصـــــــــياد

مراجعــة لغويــة: مجـــــــــدي محـــــــــروس

الإخـــراج الفنـــيّ: عمـــــرو وســـــالم ســـــواح

تصـميم الغـلاف: رشـــــــــا أحمـــــــــــد

رقـــم الإيـــداع: ٢٠١٩/ ١٧٧٢٧

التـرقيم الـدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٤٤-٦

الناشر: زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع

اسكرايب للنشر والتوزيع :Facebook Page

Email:scribe20199@gmail.com

Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار
اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

رواية

دموع هوارة

لولو الصياد

الإهداء

إلى صديقَتَي وحبيبتَي سمر صادق، وزوجها محمد الحسيني ..

أتمنى لكما دوامَ الصحةِ والعافيةِ، وأن يرزقكما اللهُ الخلفَ الصالحَ

عاجلا وليس آجلا .. آمين يارب العالمين

لولو الصياد

مُقَدِّمَة

مَنْ أنا حتى لا أكونُ متيماً بكِ.

كنتُ أنكرُ الحبَّ، وأعتبره ضعفاً حتى رأيتكِ يا حبيبتي.

أنتِ القلبُ، والنبضُ، والروحُ، أنتِ العشقُ، والأملُ، والحياةُ.

الدنيا بوجودكِ زاهيةٌ ورديةٌ، وفي بعدكِ كالأرضِ الجرداءِ بلا زرع ولا ماء.

في منزلٍ بإحدى محافظاتِ الصعيد، أو كما يطلقون عليه الصعيد الجواني.

في إحدى المنازل دخلتْ، وابتسامتُها تملأ وجهَها، رفع الأبُ نظره إليها، وابتسم حين رآها ..

الأب بحب: صباح الخير يا دموع .

دموع وهي تقبل رأس والدها: يسعد صباحك يا بوي.

الأب: عوجتي في النوم انهارديه ليه اكده ؟

دموع: كان عيندي مزاكره كتير جوي، ونمت واخر جوي، عشان أكده مجدرتش أجوم بدري .

الأب: طيب اجعدي يا دموع؛ اني رايد اتحدت وياكي .

دموع بتعجب: خير يا ابوي .

الأب: انتي عارفه ان واد عمك رحيم الهواري بجي كبير هوارة .

دموع: صوح ايوه، وفرحت له جوي .

الأب: ودلوك لازمن يتجوز عشان الكبير لازمن يتجوز.

دموع بتوتر: تجصد ايه يا ابوي ؟

الأب: انتي عارفة رحيم الهواري مليح، وعارفه انه طلبك من زمن، ودلوك طالب الحلال .

دموع بتوتر وخوف: بس يا ابوي اني مش موافجه اتجوز واد عمي؛ اني رايده اكمل تعليمي .

الأب بجديه: دموع جبل سابج سألتك، ووفجتني واديتهم كلمه .

دموع بحزن: كنت مخبراش رحيم صوح يا ابوي، رحيم واعر جوي، اني بخاف منيه جوي .

الأب وهو يقول بجديه: عاوزاني ابجي مش جد كلمتي يا دموع، رايده ابوكي يكون مسخره الخلج .

دموع برفض وسرعة: لاه عشت ولا كت يا ابوي لو حصول أكده، اني موافجه يا ابوي اتجوز واد عمي

الأب بحنان وعطف: يا بتي واد عمك طيب، هو يبان أكده واعر، لكن جلبه طيب

دموع لنفسها: ياريت يا ابوي كلامك يكون صوح، وميكونش عكس اسمه، وإحساسي يخيب .

لولو الصياد

الفصل الأول

في إحدى قرى الصعيد الجواني ..

أقصد بها يا سادة أصل الصعيد بمصرَ، وهم مَنْ يحتفظون بلهجتهم الصعيدية، وفخر لهم التحدث بها، ومازالوا حتى الآن يحتفظون بكلِّ عادات وتقاليد المجتمع الصعيدي، هم هوارة أصل الصعيد، معروفون بجميع الإنحاء شرق وغرب من الشمال للجنوب ..

موجودون بالكثير من البلاد العربية، وحين تسأل أحدهم من أنت، يرد بكلِّ عزه وفخر ويقول أنه هواري،

ولكن هنا سنتحدث عن هوارة الصعيد، وبالتحديد صعيد مصر..

في منزل كبير هوارة (رحيم الهواري)، كان الصوت عالياً من الداخل، الكثير من الرجال تتحدث بصوت واحد، بينما هو كان يجلس ينظر أرضاً، ولا يتحدث، ولكن يستمع إلى صوتهم العالي، وتركهم يتحدثون بصوت عالٍ .. كان ينظر إلى حذائه بعيونه السوداء الكحيلة بتركيز، بينما يضغط على يده بغضب.

إنه هو يا سادة (رحيم الهواري) كبير هوارة

تجاوز الثلاثين من عمره بأشهر قليلة، ورث زعامة هوارة بعد والده الشيح متولي الهواري، ولكن يعرفُ عنه أنه حادُّ الطباع، يخافه أكبر الرجال، وكلمته لا ترد، والجميع يرضى بحكمه..

(رحيم) شاب يعرف الله، ولا يرضى بالظلم، ويحكم بشرع الله دائما، حتى وإن كان على أقرب الناس.

ويا ويل من يخالف أمره، حينها سينال أقصى العقاب ..

يتميز بعيون سوداء كحيلة، ورموش كثيفة، وبشرة سمراء من حرارة الصعيد، وذقن خفيفة تميزه بالوقار، وأنف حادٍ بينما لديه فم يناسب وجهه، ولكن ما يميزه عن غيره هو شعره الناعم الكثيف الذي ورثة عن أمه.. ودائما ما كان معتزاً بلباس الصعيد، رغم دخوله إلى الجامعة، وحصوله على بكالوريوس هندسة زراعية، واستخدم دراسته في تطوير العمل والزراعة ..

وأخيراً تحدَّثَ (رحيم)، وهو يرجع بجسده إلى الخلف، ويعدل من عباءته، وهو عاقدٌ حاجبيه بقوه وغضب:

رحيم: بكفياكم عاد .

في لحظة صمت الجميع، وإن رمى أحد إبرة، كنت ستمسع صوتها من شدة الهدوء، كان الجميع صامتاً ينظر إلى (رحيم) ينتظرون منه الحديث.

رحيم بحدة: جايين اهنيه دلوك تتحدتوا كيف الرجالة ولاه هتتخانجوا كيف الحريم.

رد أحد الرجال، ويدعى (فوزي الهواري)

فوزي: يا كبير (عبد السميع الهواري) غلطان؛ غرج أرض (أحمد الهواري) .

نظر رحيم إلى (أحمد الهواري)

رحيم: هو غرج أرضك يا احمد ؟

أحمد بموافقة: غرجها والزرعه، باظت يا كبير.

نظر رحيم الهواري إلى عبد السميع بعيونٍ حادةٍ مرعبةٍ تحذره من الكذب.

رحيم: اللي جالوه حصول، ولا لاه يا (عبد السميع) يا هواري.

نظر عبد السميع له بخوفٍ، وقال: ايوه يا كبير حصول .

رحيم: وكنت عارف انها هتغرج، وبرده كملت رغم اني حذرتك جبل سابج كتير جوي، وبردك مبتحرمش.

عبد السميع: بس يا كبير ..

رفع (رحيم) يده ومنعه من الكلام.

رحيم موجهاً الحديث إلى (أحمد الهواري)

رحيم: أحمد أرضك السنة اللي فاتت جابت جد ايه زرع ؟

ردَّ أحمد عليه، وأخبره ما جنته أرضه العام الماضي.

رحيم: يبجي الحكم هو أن عبد السميع الهواري هيدفع لأحمد الهواري كيف ما جاب أرضه السنة اللى فاتت .

نظر له عبد السميع بحقد، بينما كان الجميع راضياً بحكمه، وفرح بقراره.

بينما على الجانب الآخر بمنزل (دموع الهواري)

كانت (دموع) وهي فتاة في ريعان شبابها في العشرين من العمر ابنه عم (رحيم الهواري) معروفة بالبراءة والتهذيب، جميلة إلى حدٍ كبير، طلبها الكثير من رجال هوارة، ولكن ما يميزها دون غيرها أنها خلقت بعيون يختلف كل لون واحدة منهم عن الأخرى، واحده باللون الأخضر وواحدة باللون العسلي الفاتح، كانت دائما ما تتعرض لتساؤل، والنظرات من الجميع بسبب عيونها، تتميز ببشرة حنطيه، وشعر ناعمٍ طويلٍ يصل أسفل ظهرها، فزينة البنت شعرها كما يقولون، وفم جميل وأنف صغير..

كانت دموع تجلس بغرفتها، حين دخل عليها والدها بعد أن طرق الباب ..

والدها هو (زين الهواري) رجل معروف عنه الاحترام والطيبة، يعشق ابنته، ورفض الزواج بعد وفاة أمها التي كانت ابنه عمه وحبيبته، وعاش لابنته فقط، وحين كبرت،

وكثر الخطاب، رفض بقوة حتى تُكمل دراستها كما وعد والدتها، ولكن حين جاء إليها كبير هوارة لم يقدر على الاعتراض، ولكن قام بسؤالها ووافقت فقط من أجل والدها، فقط لأجله وافقت من الزواج من (رحيم الهواري) ..

دخل الأب عليها، وجدها تمسك بإحدى المجلات.

الأب: كيفك يا دموع ؟

دموع وهي تغلق المجلة وتربع رجلها وتبتسم لوالدها: مليحة يا ابوي .

الأب: بجولك ايه .. جهزي حالك؛ هندلوا نشتري لوازم الفرح .

دموع وقد شحب وجهُها: لازمن دلوك ؟

الأب: يا بتي مش عاوز يبجي ناجصك حاجه واصل .

دموع بإحباط: حاضر يا ابوي .

الأب وهو يقترب منها، ويجلس أمامها

الأب وهو ينظر بعينيها: مين أمك ؟

دموع: (وفاء الهواري) .

الأب: مين ابوكي ؟

دموع: (زين الهواري)

الأب: وانتي مين ؟

دموع: اني دموع الهوارية .

الأب: عمرك شفتي هواري يخاف، وأولهم أمك كانت هوارية صوح .

دموع بألم: عشان أكده انجتلت .

الاب بحدة: دموع .

دموع: خلاص يا ابوي فهمت جصدك، الهوارية متخافش واصل، والهوارية لازمن

تبجي زي وفاء الهواري، واني بتها يا ابوي، ومستحيل اخاف واصل من حد، حتى لو كان رحيم الهواري

الأب بفخر: ربنا يسعدك يا بتي .

دموع وهي تحتضنه: ويخليك ليا يا ابوي .

ولكن (دموع) كانت بدنيا أخرى، هي تحتضن والدها تتذكر وفاء الهواري والدتها، وكيف قتلت،

وكيف كان الجميع يحبها ويقدرها، ودائما ما ينتظرون منها أن تكون وفاء الثانية، ولكن كيف تخبرهم انها هي دموع الهوارية، وليست وفاء الهوارية .

****

دخل (رحيم) إلى المنزل، بعد يوم طويل، ومنها إلى غرفة جدته كعادته كل يوم قبل النوم، دخل على سيدة في حوالي الثمانين من العمر، تمسك بالسبحة، وتسبح ربها بكلِّ خشوع، وتجلس على تختها، وحينما وجدته يدخل عليها، ابتسمت له بحبٍّ

دخل (رحيم) عليها، واقترب منها، وقبَّل يدها بحبٍّ؛ فهي الوحيدة التي ترى جانبه العاطفي، وترى حنية وحب (رحيم) ..

الجدة وهي تمرر يدها على رأسه

الجدة: تسلم يا ولد الغالي .

رحيم وهو يجلس أمامها، ويبتسم لها ابتسامة جعلته أجمل وأجمل

رحيم: كيفك يا ستي ؟

الجدة: زينه طول ما انت عايش وجدامي .

رحيم: مش بجول هتحبيني وأنتى تنكري اكده .

الجدة وهي تضحك ..

الجدة: مش هتبطل مناغشه واصل .

رحيم وهو يقبل يدها: جولي هتحبيني واني هبطل .

الجدة وهي تضحك، وتضرب يده بخفة: بكفياك يا واد، اني رايده اتحدت وياك .

رحيم وهو ينظر لها بجديه: خير يا ستي ؟

****

الفصل الثاني

الجدة بحب: متجلجش يا ولدي ان شاء الله خير، اني بس رايده أوصيك علي بت عمك .

رحيم بدهشة: كيف يعني ؟

الجدة: عاوزك تحن عليها يا ولدي .

رحيم بتعجب: واني ميته يا ستي كنت واعر وياها ؟

الجدة: مجصديش يا ولدي، اني بس رايده انها تشوف حنانك ديه، مش عاوزك تكون واعر وياها، دي مرتك يا ولدي، ومش اي واحدة، دي بت (وفاء الهواري) و(زين الهواري) بت الغاليين يا ولدي .

رحيم: أمرك يا ستي .

الجدة: الأمر لله يا ولدي .

رحيم: بس يا ستي هيحصول ايه لو عصتني في شيء أو كسرت حديتي ؟

الجدة بابتسامه حنونة: عاملها بشرع الله يا ولدي، ومتجييش عليها واصل، ماهي بردك دمك ولحمك جبل ما تكون مرتك ومتجساش عليها .

رحيم: ان شاء الله .

الجدة: حاجه كماني .

رحيم بمشاكسة: لاه بجي انتي أكده داخله علي طمع .

الجدة: هههههه يخليك ليا .

رحيم: جولي يا ست الستات رايده ايه تاني ؟

الجدة: تاخد بالك من واد عمك (حسن) .

رحيم بدهشة: (حسن) ليه يا ستي ؟

الجدة: (حسن) كان رايد دموع يا ولدي وابوها موفجش، ولما اتجدمت انته عمك وافج، خايفه يا ولدي يشيل جواه منيك .

رحيم وهو يطمئنها: لاه متجلجيش يا ستي .

الجدة: ربنا يستر يا ولدي .

رحيم: ان شاء الله هيستر، ربنا عالم ما في النفوس، وكل واحد بياخد نصيبه كيف ما ربنا كاتب ليه .

الجدة: ربنا يكملك بعجلك يا ولدي، ويصلح حالك .

رحيم: يارب وانتي معاي يا ستي .

وقبَّل يدها بحبٍّ، وقام بنداء الخادمة لها؛ لمساعدتها على النوم براحة، وتغيير ملابسها.

الجدة وهي ترى (رحيم) مازال واقفاً، والخادمة تأتي لها بملابس للنوم، وتريد تغيير ملابسها.

الجدة بخجلٍ: واه انته لساتك اهنيه ليه يا رحيم ؟

رحيم بمشاكسة فهو يعلم خجلها حتي بعد أن أصبحت في الثمانين من العمر

رحيم: عشان لو احتجتي حاجه يا ستي .

الجدة بحدةٍ: مشي من اهنيه مريداش حاجة، وجلتلك جبل سابج مفيش راجل حتي لو ولدي يساعدني بعد موت جدك

رحيم بمداعبة: لساتك بتكسفي يا ستي، فينك يا جدي تشوف ستي خجلانه مني .

الجدة بابتسامة: لو كان لساته عايش كان جلدك عشان هتناغشني وتتجلع علي .

رحيم وهو يقترب منها، ويقبِّل رأسها

رحيم: الله يرحمه يا ستي، ويديمك فوج راسنا يارب، تتمسي بالخير.

الجدة: وانته بخير يا ولدي .

****

بينما على الجانب الآخر بالقاهرة، وبالتحديد في إحدى الحواري المصرية، بمنزل فتاة في ريعان شبابها، في نفس سن دموع، وهي صديقتها المقربة التي تعرَّفت عليها بالجامعة، وأصبحتا صديقتين رغم اختلاف العادات والتقاليد بل وأكثر من الأخوات ..

ولكن حال (دموع) يختلف كثيراً عن حال (ليالي)؛ ليالي فتاة من أسرة متوسطة الحال، حالها كحال الكثير من الفتيات، تعشق والدتها ووالدها، لديها شقيقة توءم لها تدعى (ليلي)، ولكن (ليلى) كانت بجامعة القاهرة، فقد كانت متفوقة للغاية، ودخلت كلية الطب جامعة القاهرة، بينما هي ذهبت بمجموعها الي أرض الرجال الصعيد .. كانت ليالي وليلي مختلفتين في الطباع بقوة، فليالي عاطفية إلى حدٍّ كبير، بينما ليلي كل ما يهمها هو دراستها فقط، كانتا تتميزان بالشعر الأسود الذي يصل إلى منتصف الظهر، والعيون السوداء الواسعة الجميلة، والوجه البيضاوي والملامح الشرقية الرائعة، من يراهما دائما ما يقول لهما أنهما تشبهان الممثلة المصرية سعاد حسني في شبابها وجمالها، كانتا مصدر سعادة الأهل، وكل شيء لهم بالدنيا رغم إمكانيات الأب المحدودة، إلا أنهما لما تشعرا يوما بذلك، وكانت كل طلباتهم مجابة ..

والآن لنتوغل قليلا في حياتهما ..

كانت (ليالي) تجلس بغرفتها، كعادتها يومياً منذ انتهاء الدراسة، لا أحد يعلم ماذا بها، فهي منذ أيام وهي في حالة اضطرابٍ نفسي رهيب، حتي دخلت عليها (ليلي)، وهي

تحمل طبقاً من العنب وتأكل منه، وجدتها تمسك بهاتفها تحدِّقُ به بشرود ..

ليلي: تاكلي عنب .

ليالي: ها لا .

ليلي وهي تجلس أمامها، وتتحدث بجدية

ليلي: مالك يا ليالي ؟ بقالك كام يوم مش مظبوطة، حصل حاجه بينك وبين وائل؟

ليالي والدموع تنهمر من عينيها: مش عارفة يا ليلي، حسّاه متغير معايا، بعيد عنى أوي، وكل ما اكلمه مشغول كأني بتطفل عليه .

ليلي: طيب ما تساليه ماله .

ليالي: سألته قالي مفيش .

ليالي: مش جايز عنده مشاكل في الشغل .

ليالي: لا مفيش حاجة، بالعكس مبسوط في الشغل الجديد جدا، وبيقول انه الحمد لله من ساعة ما اتعين في البنك وهو مبسوط .

ليلي وهي تأكل وتتحدث: هو شئون قانونية صح ؟

ليالي: اه

ليلي: طيب ما هو يا ليالي كده كله بقى تمام، ليه بقي مش جه يتقدم لبابا ؟ على الأقل قراية فاتحة .

ليالي بحزن: مش عارفه ماله، متغير كده معايا .

ليلي بجدية: بصراحة انا من الاول مش مرتاحه للموضوع ده، اتعرفتوا علي النت، وبدأتوا كاصدقاء، وهو يحكيلك وتحكيله، وساعدتيه عشان يشتغل، وخليتي ابو صحبتك يعينه في بنك، وبعدها دخلتوا في دور حب، معرفش بينكم ايه، بس كل اللي عاوزه اقوله ليكي انك لسه صغيره، والنت ده عالم افتراضي يا ليالي، محدش بيقول

حقيقته، كل واحد بيجمل نفسه، ومش عارفه ليه عندى احساس انك مخبيه حاجه عني .

ليالي بحدة: مفيش قلتلك .

ليلي بلا مبالاة: براحتك بس لو في مشكله، انا اختك وتوءمك، واكتر حد يخاف عليكي، وأرجوكي يا ليالي بلاش تعملي حاجه غلط، وقدري بابا وماما، وقدري الحريه والثقه اللي ادوها لينا، مش عاوزكي تعملي حاجه وتندمي عليها .

ليالي: يووه هو انا كل ما اتكلم معاكي تنتهي بمحاضرة منك .

ليلي: خلاص يا ستي، انا اسفه، بس انا بتكلم من منطلق أن انا خايفه عليكى .

ليالي: ماشي يا ليلي، صحيح .. اعملي حسابك هتيجي معايا فرح (دموع) .

ليلي: بجد امتي ؟

ليالي: الاسبوع الجاي، انا قلت لبابا، ووافق ودموع كلمته .

ليلي: ماشي اهو الواحد يريح من جو الامتحانات شويه .

ليالي بمداعبة: يمكن تلاقي عريس .

ليلي بكبرياء: انا مش هتجوز، ولا عمري هحب، والكلام الفاضي ده .

ليالي بمزاج لتوءمها: أمه هتبقي داعيه عليه اللي يتجوزك هههههه

ليلي بضحك: هههههههه تبقي داعية له لو وافقت هههههههه

****

كانت دموع ووالدها يتنقلان من محل لآخر؛ لتشتري ما تحتاجه، وكان والدها لا يبخل عنها بشيء أبدا؛ فهي طفلته الوحيدة .. ولكن هاهم في طريق العودة إلى المنزل، كان والدها يجلس بجانب السائق بينما هي بالخلف، أرجعت رأسها إلى الخلف، ورجعت بذاكرتها لخمس سنوات ماضية

فلاش باااك

كانت تجلس بغرفتها تذاكر كعادتها، حتي سمعت صوت إطلاق نار وصراخ وصراخ، نزلت مسرعة من غرفتها، وجدت إحدى النساء تبكي وتولول، وتنظر لها بحزن، لم تستطع السؤال عما حدث، وكأن لسانها مربوط، تخشى وتخاف الإجابة على سؤالها، حتى وجدت المرأة تقول

المرأة: أمك انجتلت يا بتي .

****

الفصل الثالث

المرأة: أمك انجتلت يا بنتي .

وقفت دموع تنظر لها بصدمة، وكان صوت المرأة يصل إليها، وكأن بينهم أميالاً وليست خطوة واحدة،

سحبت (دموع) إسدال الصلاة الموجود على إحدى الكنبات، وارتدته، وذهبت مسرعةً إلى خارج المنزل،

كانت تجري، وتنزل سلالم المنزل، وهى لا ترى أمامها، لا تعلم ماذا تفعل، كانت كل ما تريده هو رؤية والدها ووالدتها، فقد مرَّا عليها منذ قليل من الوقت ليخبراها بذهابهما لزيارة جدتها ..

أخيراً وجدت أمامها تجمع العشرات من الناس، كانت تمشي بينهم، وقلبها ينتفض من الخوف والرعب وأخيراً رأت أمامها والدها يجلس أرضاً، ويحتضن زوجته، وهي جثة هامدة بين يديه، ودماؤها تغرق ملابسه ..

نزلت (دموع) على ركبتيها سريعا، وهي تتحدث بسرعة وخوف، والدموع تنهمر على وجهها مثل الشلالات، وقلبها ينتفض من الداخل

دموع: ابوي .. امي يا ابوي .. امي .

الأب وهو يحتضن زوجته أكثر وأكثر.

الأب في حزن شديد؛ فقد ماتت حبيبته وزوجته وطفلته التي انتظرها طويلا حتى تزوجها، وابنه عمه، وأم طفلته الوحيدة وحبيبته (دموع)، كانت زوجته تمشي منذ قليل إلى جانبه، وتتحدث معه، ويسمع صوتها، فقد طلبت منه أن يذهبا إلى منزل والدته على قدميهما، ووافق على ذلك؛ فهو لا يرفض لها طلبا نهائياً، ولكن فجأة وجدها تدفعه

بقوة، وبعدها سمع صوت رصاص، وصوت أنين زوجته المتألمة من تلك الطلقة الغادرة، لا يعلم ماذا حدث، كل شيء مر بسرعة البرق، حتى وجد جسدها يسقط أرضا بين يديه، وتتحدث إليه قليلا، وتخبره بآخر أمانيها، وبعدها نطقت الشهادتين، وصعدت روحها إلى ربها، فقد كانت نعم الزوجة، ضحَّت بنفسها من أجل زوجها، فتلك هي شيم نساء هوارة، لا يخشون حتى الموت ..

الأب: جتلوها يا بتي، اني اللي كان لازمن ينجتل، بس امك يا بتي حمتني، وخدت الطلجه مطرحي، ياريتني كت اني

دموع وهي تمسك بيد أمها، وتقبلها بهستيريا وبكاء.

دموع: امه ابوس يدك جومي، يا أمه جومي، اتحدتي وياي ابوس يدك .

ولكن الأم قد صعدت روحها إلى ربها، ولن تردَّ عليها ثانية

دموع ببكاء هستيري وهي تنظر إلي أبيها، وتشير له على والدتها.

دموع: ابوي .. امي مهتردش عليا واصل، ابوس يدك يا بوي، جولها تتحدت وياي، هي بتسمع حديتك انته، جولها يا ابوي جولها، جلبي وجعني يا ابوي، منيش جادره اتحمل جلعها وياي ديه، جولها تتحدت جولها .

نظر لها الأب بحزنٍ، وقال:

- امك خلاص يا بتي مشت، ومهترجعش تاني واصل .

نظرت له (دموع) وبكت، وبكت حتى وجدت أحداً يمسك بها، وحين التفتت إليه، لم يكن سوى (رحيم الهواري) ابن عمها، نظرت له ببكاء، وقالت:

- أمي يا واد عمي جتلوها .

رحيم بجدية ووجه حزين: واللي خلج الخلج لجيبه، واجتله كيف ما جتلها .

نزلت دموعها أكثر، وفجأة سقط رأسُها، وأصبح كلُّ شيء أسودَ، وفقدت الوعي بين يديه .

عودة من الفلاش باك

فاقت (دموع) من شرودها على صوت والدها

الأب: دموع ..

مسحت (دموع) عينيها بسرعة، ونظرت إلى أبيها.

دموع: بتتحدت وياي يا بوي ؟

الأب: منحرمش يا بتي، لكن كت بجول اننا جربنا على الدار.

دموع: زين .

نظر لها الأب بابتسامة: نعم يا جلب زين .

دموع بخجل: لاه يا ابوي، مجصديش أنادم عليك، جصدي مليح .

الأب بمزاح: ومين جال اني مخبرش أكده، اني هجلع عليكي يا بتي، بناغشك .

دموع بابتسامة من عطف وحنية والدها، فهو يعلم بقلقها، لذلك زاد من حنانه إليها، رغم أنه دائم الحنية عليها ..

دموع: هههههه .. اتجلع يا ابوي .

الأب: تسلمي يا بتي .

****

بينما على الجانب الآخر بمنزل حسن الهواري ..

(حسن الهواري) شاب في الثلاثين من العمر، حاصل على بكالوريوس تجارة جامعة أسيوط، معروف عنه العصبية، وحين يغضب لا يرى أمامه، ولا يستطيع التفكير

لا يؤمن بالحبِّ، ويخافه الكثير من الرجال، لا يوجد له صديق في حياته سوى (رحيم الهواري) فهما أصدقاء بخلاف صلة القرابة، وحاول الكثيرون أن يوقعا بينهما بلا فائدة، فدائما ما كانت تنتصر الصداقة ..

(حسن الهواري) يتميز بطول القامة، وحبه للخيول بطريقه غريبة، حتى أنه لديه مزرعةً من الخيل يعشقها، ويفتخر بها، فقد ورث الكثير من والده، وحقق حلمه بمزرعة الخيل ..

كان (حسن) طويل القامة، عريض المنكبين، وجهه لا يبتسم نهائياً، يخافه كل من يراه، ولكن أجمل ما فيه هي عيونه الرمادية، وبشرته السمراء، وذلك الشارب الذي يجعله أكثر رجولةً وقوةً، وملامحه المصرية الجميلة، ولكن كان شعره قصيراً للغاية، فقد كان يكره أن ينمو شعره ولو قليلاً منذ صغره، يعيش (حسن) مع أمه وجدته ..

كان (حسن) يخرج من غرفته، ويتجه إلى الأسفل؛ ليسلم على والدته وجدته قبل الذهاب إلى العمل،

حين سمع شقيقته الصغيرة وهي تبكي، فهي فتاه في الثالثة والعشرين من العمر، تشبه إلى حد كبير جدا الممثلة المصرية مني زكي بملامحها الرقيقة، تزوجت منذ عدة أعوام من ابن عمها (كرم الهواري) رغم رفضه لذلك الزواج؛ لعلمه أن (كرم) زير نساء، لكن أخته كانت راغبة به، وأخبرته بذلك، وصممت عليه، فقد كان يعامل شقيقته وكأنَّها ابنته، ولا يرفض لها طلباً رغم محاولته إقناعها بالرفض، إلا أنه شعر بحزنها من

طلبه، فوافق على الزواج ..

وجد (حسن) شقيقته تجلس بحضن والدتها، وتبكي بحرقة

حسن بلهفة: جميلة خيتي

رفعت شقيقته رأسها، ونظرت له، واعتدلت وجرت مسرعةً، واقتربت منه وارتمت بحضنه مكانها منذ ولادتها إلى الآن، كانت دائما حين تخاف أو تحزن ترتمي بحضن شقيقها الأكبر

جميلة ببكاء وألم: الحجني يا اخوي، كرم مد يده عليا، ضربني ضرب واعر جوي يا اخوي .

وابتعدت عنه، وشمَّرت عن ساعديها، وكان جسدها مليئاً بكدمات باللون الأزرق والبنفسجي ..

جميلة بحرقة وهي تنظر إلي أخيها: اني رايده حجي يا اخوي، طلجني منيه يا اخوي ..

نظر لها (حسن) وهو بداخله يغلي مثل البركان

اقترب منها (حسن)، وداري يديها، وقبَّل رأسها،وبعدها انطلق إلى الخارج، وبالتحديد إلى منزل (كرم الهواري)

يا ويل كرم الهواري من غضب حسن، وما سيفعله به، فلو كان أطلق النار عليه، كان أهون من ضربه لشقيقته !

****

الفصل الرابع

في منزل حسن الأم بعتاب لابنتها.

الأم: أكده يا بتي الدينيه هتجوم، ومش هتجعد .

جميله ببكاء: حجي يا أمه اني اخوي يبجي حسن الهواري، كيف يضروبني ؟

في تلك اللحظة وجدوا الجدة، تدخل عليهم، بمساعدة إحدى الخادمات، فأسرعت الأم وابنتها، وساعدتا الجدة على الجلوس ..

الجدة: حصول ايه ؟ حسكم عالي جوي .

حكت لها الأم ما حدث.

الجدة بحدة: جوام كلمي رحيم يلحج واد عمه .

الأم: حاضر يا امه .

****

كان (رحيم) بداخل سيارته في طريقه للعودة إلى المنزل، حين وجد هاتفه يرن برقم منزل حسن، رد (رحيم) سريعا ..

- السلام عليكم .

الأم بلهفة: وعليكم السلام يا ولدي كيفك ؟

رحيم: مليح يا مرت عمي، كيفك؟ وكيف ستي؟

الأم: زينة يا ولدي .

رحيم: خير يا مرت عمي، حصول حاجة؟

الأم: الحج واد عمك يا ولدي .

وحكت له ما حدث

رحيم وهو يغير مسار سيارته: اجفلي ومتجلجيش، اني ليا حديت وياه .

أغلقت الأم الخط، وهي تدعو له بطول العمر؛ فهو كبيرهم قبل أي شيء .

****

وصل حسن الي منزل كرم الهواري، وكان يجلس هو ووالده وشقيقه وبعض من أولاد عمومته.

حسن وعيونه على كرم: السلام عليكم .

قام الجميع، ورحبوا بقدومه.

والد كرم: اتفضَّل يا ولدي .

حسن وهو يتجه إلى (كرم)، ويقف أمامه: اني مش جاي اهنيه دلوك عشان اجعد واتحدت .

الأب بتعجب: كيف يا ولدي تجصد ايه ؟

حسن وهو يلكم كرم بوجهه بقوة لكمة رمته من مكانه أرضاً: جاي أربي ولدك .

وأمسك بكرم ثانية، ولكمه مرةً أخرى، قبل أن يفصل الأب وأبناء عمومته بينهما، ولكن لا أحد كان يستطيع السيطرة على (حسن)؛ فقد كان مثل الثور الهائج؛ فحسن حين يغضب لا يرى أمامه، ولكن فجأة دخل (رحيم)، ونادى على ابن عمه وصديقه

رحيم: حسن

توقَّف (حسن) حينها، والتفت إلى صديقه ..

رحيم: بكفياك يا حسن .

حسن بغضب: بيضروب خيتي يا (رحيم) .

رحيم وهو يقترب منه، ويبعد عنه الرجال

رحيم: متجلجش اني هتصرف وياه .

حسن: يطلجها ودلوك .

رحيم: هيطلجها متجلجش، بس روح انته على دارك دلوك .

نظر حسن مرة أخيرة إلى (كرم) الذي كان ينزف ووجه مما فعله به حسن، وانطلق إلى الخارج، وهو يلقي السلام ..

جلس (رحيم)، وجلس الجميع بعده، والكل ينظر له

الأب بحزن: يرضيك اللي حصول يا كبير ؟

رحيم: ويرضى مين اللي عيمله ولدك في بت عمي ؟

الأب نظر أرضاً، ولم يرد ..

بينما ردَّ أحد الرجال: ديت مرته يجتلها، يضروبها، ميدخلش بيناتهم ايوتها حد واصل .

رحيم بهدوء وجدية: وشرع الله يا واد عمي .

الرجل: ربنا جال واضربوهن .

رحيم: وسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام جال رفقا بالقوارير.

الرجل: بس ديت مرته يا كبير.

رحيم: ربنا مجلش ومجصدش بالضرب اللي عيمله فيها واد عمك، المجصود التهذيب والضرب ميأذيش يا واد عمي، مش تبجي جتتها كلتها كيف اللي طسته مجطوره.

الأب: اني عارف ان ولدي محجوج .

رحيم: بجديه ولهجة لا تقبل النقاش: ولدك هيطلج مرته ودلوك .

كرم برفض: مهطلجهاش .

رحيم بغضب: هتطلجها ورجيلك فوج رجبتك .

الأب وهو ينظر إلى رحيم: هيطلجها يا كبير.

ونظر لابنه بحدةٍ حتى يصمت.

رحيم: وحجها تاخده كلاته، وزيادة كماني .

الأب: انته تؤمر يا كبير.

وبالفعل حضر المأذون الشرعي، وتم طلاقُ جميلة من كرم، وبعدها انطلق (رحيم) إلى منزل صديقه، وهاهو ينتظر قدومه إليه بمجلس داره.

أخيراً دخل (حسن الهواري)

حسن: السلام عليكم

رحيم وهو يرتشف القهوة، وينظر له بجدية: وعليكم السلام .

حسن: عيملت ايه وياه .

رحيم: طلجها وحجوجها هتيجي لحد عنديها .

حسن بغضب: كت جتلته وبردت ناري .

رحيم: وتهمل خيتك وامك وستك لحالهم، عشان واحد مينحسبش على الرجالة واصل .

حسن بغضب: مغلول يا واد عمي .

رحيم بجدية: بكفياك يا حسن، جفل على السيرة العفشة ديت دلوك .

حسن: عيندك حج .

رحيم بجديه: كت رايد اتحدت وياك .

حسن: خير يا واد عمي .

رحيم وهو يبلع ريقه، فقد كان لأول مرة يشعر بالحرج من صديقه، فدائما كان كلا منهما سنداً وسراً للآخر..

رحيم بتوتر: مش رايد تكون شايل ميني ولو هبابه، عشان جوازي من بت عمك .

حسن بابتسامة: وانته تصدج اني هشيل منيك عشان حاجه كيف ديت .

رحيم: اني عارف أكده، بس كان لازمن اتحدت وياك .

حسن: اني لمن اتجدمت لبت عمك، كنت زي اي نفر اتجدم ليها، مكانش في راسي واصل حاجة، كت بطلبها لأن أمي وستي صمموا على أكده .

رحيم بابتسامة: الحمد لله .

حسن: متجلجش صاحبك كيف الصخر، مهينكسرش ولا يزعل واصل .

رحيم بابتسامة: ربنا يرزجك بالزوجة الصالحة .

****

على الجانب الآخر..

كانت (دموع) تجلس برفقة جدتها.. فقد حضرت برفقة والدها؛ لرؤية الجدة، وهاهي تجلس معها، بينما نزل الأب إلى الأسفل.

الجدة بضحك: هههههههه بكفياكي يا دموع، جلبي وجعني من الضيحك .

دموع بابتسامة: لاه هجولك نكته كماني .

ولكن قطع حديثهم فتح الباب، ودخول (رحيم).

رحيم: السلام عليكم

وقفت (دموع) بسرعة، وعدلت من حجابها، وجهها أصبح مثل حبة الطماطم من الخجل؛ فلم تتوقع رؤيته نهائياً.

الجدة: وعليكم السلام تعالى يا ولدي .

دخل (رحيم)، وهو ينظر لجدته، فقد رآها وعلم أنها (دموع)، كيف لا يعرفها وجمالها يجعل الأعمى يعرف من هي

رحيم وهو يقبل رأس جدته: كيفك يا ستي ؟

الجدة بابتسامة: زينه يا ولدي .

أشارت له الجدة بعيونها، أن يحدث (دموع)، ففهم قصدها، وقال:

- كيفك يا دموع؟

دموع بهمس: مليحه .

رحيم: معوزاش حاجه .

دموع: تسلم يا واد عمي بس ..

رحيم: جولي .

دموع: كت رايده منيك حاجه جبل الجواز.

رحيم: جولي يا (دموع) رايده ايه ؟

****

الفصل الخامس

دموع: اني رايده اكمل علامي .

نظر لها (رحيم) لثوانٍ بتركيز، وقال: عمي حدتني في الحديت ديه جبل سابج .

دموع: ابوي جالي انك جولتله هتجلها في رأسك، وبعديها تجول رأيك .

رحيم بتأكيد: صوح .

الجدة بتساؤلٍ: انتي رايده تتعلمي يا دموع ؟

دموع بأمل: أمنية حياتي يا ستي اكمل علامي، كيف ما كانت أمي رايده .

الجدة وهي تنظر إلى رحيم: وانته يا ولدي جولت ايه ؟

نظر (رحيم) الي الجدة، وبعدها نظر إلى (دموع) التي أنزلت عيونها سريعاً خجلًا منه

رحيم: اني موافج يا دموع .

دموع بابتسامه فرح: كتر خيرك يا واد عمي .

أشار لها (رحيم) برأسه، وقبَّل رأس جدته، وألقى السلام وخرج.

الجدة بابتسامة لحفيدتها: بجيتي مرتاحة دلوك صوح ؟

دموع وهي تحتضن جدتها بفرح: جوي يا ستي جوي .

****

بينما على الجانب الآخر، كانت (ليالي) تجلس أمام وائل بإحدى الكافيهات، وتشعر بالسعادة لأنه وأخيرا وافق على مقابلتها ..

ليالي: بجد كنت خلاص يئست اننا نتقابل .

وائل شابٌ في السادسة والعشرين من العمر، لديه خمسةُ أخوة من أسرةٍ متوسطة، كانت وسيلة التسلية له هي البنات على الانترنت، وكانت من ضمنهم (ليالي)، التي كانت بسذاجتها كالعجين بين يديه، حتى أنها بمساعدة إحدى صديقاتها حصل على وظيفةٍ في أحد البنوك، ولكن بالنسبة له مهمتها انتهت، حاول بكلّ الطرق أن يوصلها إليها، ولكن هي عمياء بحبها له، لا ترى سوى أنها تحبه فقط، لا ترى معاملته السيئة لها، وإهماله لها، وعدم رده عليها، كانت كلها طرقاً للهروب منها، ولكن لم يجد فائدةً، فقرر مقابلتها الآن لإنهاء كلّ شيء.

وائل ببرود: أظن أن فعلا هتيئسي؛ لأن دي آخر مقابله بينا .

نظرت له ليالي بصدمة: تقصد ايه ؟

وائل: اقصد انه خلاص، انا زهقت منك، ومش عاوز اكمل معاكي، واني هخطب قريب بنت عمتي .

ليالي بحزن: ياه بسهوله كدة، يعني انا أساعدك تتعين، وتكون نفسك، وأنت تتجوز واحدة تانيه ؟

وائل بسخرية: ايه هو انتي كنتي مفكرة اني ممكن أتجوزك ؟

ليالي: امال كنت بتكلمني ليه ؟

وائل: كنت بتسلي، وأظن انك لو بنت محترمة مكنتيش كلمتيني من الأول، وقابلتيني وبعتيلي صور ليكي، أضمن منين اني مش أول واحد ؟

ليالي بدموع وحدة: اخرس، انا أشرف منك .

وائل وهو ينظر لها بسخريةٍ، ويقف ويخرج من جيبه بعضَ الأموال، ويرميها على الطاولة: أتمنى مشفيكيش تاني، وإلا هتندمي، وصورك اللي معايا هتحتفظ بيها لوقت عوزه، يمكن تقلي عقلك، وتعملي حاجة .

ليالي ببكاء: حقير.

وتركها وخرج، وهو يبتسم بسماجة، ولكن هي المخطئة منذُ البداية؛ هي من فتحت الباب لذلك الحقير حتي يستغلها، هي من تسرَّعت، وبحثتْ عن الحبِّ بطريقةٍ غيرَ صحيحةٍ، ولم تنتظر نصيبها وحلالها، هي من خانت ثقة والديها، وتحدثت معه، هي من أخطأت حين لم تسمع كلام شقيقتها، هي من أخطأت حتى التقت به هي، من أخطأت حين أرسلت له صوراً لها بملابسَ عاريةٍ، هي من أخطأت وليس هو، هو كان مثل الصياد الذي يبحث عن ضحيته، وهي من فتحت الباب له حتى يقوم باصطيادها

وتلك هي النتيجة، تتألم ولا تستطيع الصراخ، وأصبحت تحت رحمة ذلك الحقير، ولا تعلم ماذا ستفعل وماذا سيفعل هو معها مستقبلا .

****

علي الجانب الآخر في منزل (دموع) ..

كان الأب يجلس بغرفته، ويمسك بألبوم صور يجمعه هو وزوجته؛ فقد كان يعشق أن يصورها ليلا ونهارا، وكأنه كان يشعر أنه سيفقدها سريعاً..

رجع بذاكرته إلى يوم وفاتها

فلاش باااك

حين وقعت بين يديه، ودماؤها تنزف بين يديه، لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فقد فدته بنفسها

زين الهواري بلهفة: وفاء ..

وفاء بألم، وصوتٍ متحشرج: واد عمي اني رايده منك حاجتين .

زين بحزن ولوعة عاشق: جولي يا حبة الجلب .

وفاء وهي تتنفس بصعوبة: بتي تكمل علامها، والحاجة التانيه تدفني جار امي .

زين بألم ودموع: حديتك أوامر يا جلب زين .

وفاء بألم: جرَّب مني .

اقترب منها زين، ووضع أذنه على شفتيها؛ ليسمع ماذا ستقول

وفاء بألم: اني خبره مين الجاتل؛ عيني جت في عينه .

زين بصدمة: مين يا بت ؟ عمي مين ؟

وفاء وهي تهمس في أذنه: الجاتل يبجي ....

****

الفصل السادس

همست له (وفاء) باسم القاتل بأذنيه، ونطقت الشهادة، وصعدت روحها إلى ربها ..

نظر لها زوجها بصدمة لما أخبرته، لم يتحدث، وبكى فراق زوجته، وحين أتت ابنته تمزَّق قلبه أكثر وأكثر، تذكر كيف مرَّ عليه دفن زوجته وحبيبته تحت التراب، وأنه لن يراها مجددا، كان يتمزَّق من الداخل، أراد الصراخ، ولكن لا يريد بحوراً من الدم الآن، ولكل شيء ميعاد ..

تذكَّر بعد دفن زوجته كيف كان (رحيم) يقلب الدنيا رأسا على عقب لمعرفة القاتل، ولكن لم يستطع أحد الوصول إليه، رغم معرفة (زين) للقاتل إلا أنه صمت، ولم يتحدث، ولكن ليس معنى ذلك أنه سيصمت عن ثار زوجته، لا وألف لا، ولكن لكلِّ شيء وقته، ولكل شيء نهاية.

عودة من الفلاش باك

فاق (زين الهواري) من شروده، على صوت طرقاتٍ خفيفة على باب حجرته

زين: تعالي يا دموع .

فتحت دموع الباب، ودخلت على والدها بابتسامتها المعهودة.

دموع وهي تضع كوباً من العصير إلى جانب والدها، كعادتها كل يوم؛ فقد ورثت تلك العادة عن والدتها، فقد كانت والدتها كل يوم تأتي لوالدها بكأس من العصير، ومنذ وفاتها ودموع كل يوم تأتي له بكوب العصير، وكأن هذا ميراث من والدتها عليها الحفاظ عليه

دموع: كيفك يا ابوي؟

الأب بابتسامة: مليح يا بتي، مبين عليكي فرحانة .

دموع بفرحةٍ حقيقية: جوي جوي يا ابوي؛ انهارديه اتحدت مع واد عمي، ووافج اكمل علامي .

الأب بابتسامة: مجولتيش من وجت ما رجعنا ليه ؟

دموع وهي تقبل رأس والدها بحبٍّ: حجك عليا؛ راحت عن راسي .

الأب: محصولش حاجه يا بتي .

دموع وهي ترى ألبوم الصور إلى جانبه، وتقترب من الألبوم، وتحمله بين يديها، وابتسامة حزينة تزيّن وجهها الجميل، جلست إلى جانب والدها، وفتحت الألبوم، ونظرت إلى صور والدتها.

دموع: لساتك يا ابوي بتتفرج عليهم ؟

الأب بحزن: أمك في جلبي يا دموع، مش الصور هيه اللي هتفكريني بيهه .

دموع: الله يرحم موتانا وموتى المسلمين أجمعين

الأب: آمين يا بتي .

****

بعد مرور عدة أيام، وفي أحد منازل رجلٍ يُعدُّ من كِبار هوارة، يُدعى (هاشم الهواري)، رجل في حوالي الخامسة والخمسين من العمر، يشبه إلى حد كبير الفنان عبد العزيز مخيون بملامحه الحادة، يتسم بكرهه إلى رحيم الهواري بقوة؛ فقد كان يطمع في أن يكون كبير هوارة.

لديه ولد يدعى (همام الهواري) شاب في الثامنة والعشرين من العمر، يتسم بالعقل، وزينة شباب هوارة، ويتميز باحترامه لـ (رحيم) الكبير، حتى أنه أغضب والده

عدة مراتٍ؛ لمحاولات والده تشويه سمعة رحيم وقول الأكاذيب عنه، همام حاصل على كلية طب بيطري، وقام بفتح مزرعة مواشٍ، والحمد لله أصبحت المزرعة اثنين بفضل الله تعالى، همام فتي يتميز ببشرة خمرية، وعيون باللون الأسود الغامق، ووجه يتميز بملامح رجولية شرقية، إنه يشبه إلى حد كبير الممثل التركى بوراك أوزجيفيت..(الذي قام بدور بالي بيك في حريم السلطان) ...

كان (همام) بغرفته يقوم بتغير ملابسه للذهاب إلى منزل (رحيم الهواري)؛ فاليوم هو يوم عرسه،

حين وجد الباب يفتح، ويدخل والده بكل عصبيه: بردك هتمشي اللي فى راسك ؟

همام وهو يربط عمامته: يا بوي ديه فرح كبيرنا لازمن كيلتنا نبجي موجودين .

الأب بغيظ: مفهمش .

همام وهو يجلس على أحد الكراسي، ويرتدي حذاءه، فقد كان جذاباً إلى حد بعيد بالزي الصعيدي، والجلابية والعباءة، والعِمة، كل شيء رائع عليه وجعله أكثر وسامة

همام بجدية: أجصد يا ابوي انك لازمن تيجي، وتجف في الفرح؛ انته معدود من كوبرات هوارة.

الأب بتفكير: ايوه صوح عيندك حج، استنه هبابه، هجهز حالي وجاي وياك .

همام بابتسامة، وهو يحدث نفسه، فوالده رغم عصبيته وغضبه إلا أنه دائما متذبذب الرأي، يقتنع بأي شيء، وهناك الكثير ممن يسممون أذنيه، ويؤججون نار الكره بداخله تجاه رحيم .

****

على الجانب الآخر بمنزل كبير هوارة، كان صوت طلق النار، وصوت الطبل يملأ المكان، والفرس ترقص على المزمار، كان كل شيء يدعو إلى البهجة والسعادة ..

نعم.. فاليوم يوم غير عادي؛ اليوم هو يوم زفاف كبير هوارة (رحيم الهواري) وزوجته (دموع الهواري) التي لا يوجد لها في هوارة مثيلا في الجمال ..

كانت (دموع) تجلس محاطة بالنساء، إلى جانبها ليلي وليالي، كلا منهم تبتسم لها، ولكن عيون (ليالي) مليئة بالحزن منذ وصولهم أمس، ودموع تسألها عما بها، ولكن دائما تتهرب منها، ولهذا اتصلت دموع بوالد (ليالي)، وطلبت منه أن يظلوا لديهم بالصعيد أسبوعاً، على وعد أن تقوم هي وزوجها بتوصيلهم ..

فوافق الأب؛ فهو يعز (دموع) مثل ليلي وليالي، ويعرف أخلاقها، وأنها من بيت أصيل، ولكن (دموع) قررت بداخلها أن تترك ليالي حتى تهدأ، وحين ينتهي الزفاف، وتهدأ الأمور ستعرف ما بها، ما يقلقها الآن هو أنها بعد قليل من الوقت ستكون وحدها مع (رحيم)..

مرت الأيام سريعاً، وفجأة وجدت نفسها اليوم عروساً تزف له، لا تعلم كيف مرت الأيام سريعاً، وكأنها كانت تجري بسرعة، لم تشعر بسرعة الساعة كما شعرت الأيام الماضية.

وأخيراً وجدت النساء تقتربن منها، وزوجه عمها تقف أمامها، وتنزل طرحتها على وجهها، وبعدها تمسك بيدها، وتجعلها تقف، والنساء خلفها يطلقن الزغاريد، والأغاني الصعيدية الجميلة تتردد بطريقة جميلة ..

وأخيراً وجدت نفسها وحيدةً، تجلس بالجناح المخصص لها هي ورحيم بمنزل جدها، وفجأة وجدته يدخل ويغلق الباب خلفه، انتفضت بقوةٍ حين سمعت صوت الباب يغلق

رحيم بهدوء: دموع ..

الفصل السابع

رحيم بهدوء، وهو بعيد عنها: دموع ..

لم ترفع دموع رأسها، وإنما همست له بنعم بصوت يكاد يسمع، اقترب منها (رحيم) وجلس بجانبها، وجدها تبتعد عنه بخجل، ولكن (رحيم) اقترب بيده من يدها، وأمسك بيدها المرتعشة بين يديه، حاولت سحب يدها، ولكن هو لم يتركها ..

رحيم بهدوء: دموع أتى مرتي دلوك، يعني ديه حجي .

حينها تركت يدها بين يديه، شعر حينها (رحيم) بالتشجيع، وأمسك بكتفيها، وجعلها تنظر له، وبعدها قام برفع طرحتها عن رأسها، كانت تنظر إلي يديها المتشابكتين بفعل التوتر، ولكن (رحيم) وضع يده تحت ذقنها، ورفع وجهها، ونظر إليها لأول مرة دون أن يشعر بالذنب، فقد أصبحت ملكه وحده، ولن يفرقهم سوي الموت ..

رحيم بإعجاب: بسم الله ما شاء الله .

احمرَّ وجه (دموع) خجلا أكثر وأكثر.

رحيم بجدية وهو يقف بسرعة، ويبتعد عنها: جومي جددي وضوءك عشان نصلوا.

أشارت له دموع بالموافقة، وبالفعل جددت وضوءها، ووقفت خلفه، وبدأ الصلاة، كان صوته رائعا بتلاوة القرآن، وأخيرا حين انتهيا، وضع يده على رأسها، وقال دعاء ليلة الزفاف، وبعدها أمسك بيدها، وهما ما زالا على سجادة الصلاة ..

رحيم بجدية: جبل اي حاجه لازمن اتحدت وياكي .

دموع بتوتر: خير يا واد عمي .

رحيم بابتسامة هادئة مطمئنة: متخافيش يا بت عمي، اني رايد اطمنك؛ عشان ميجيش اليوم اللي تتضايجي ميني .

نظرت له (دموع)، وهي تقدر كلامه، وتفهمه، وهي تشير له أنها تفهم، وتعي ما يقول رحيم... معوزكيش تخافي ميني واصل اني رايد اكون اجرب حد منيكي معوزش حاجه بينتنا تخروج برانا.

أشارت له دموع بالموافقة .

رحيم: وأيوتها حاجه تعوزيها تجوليلي طوالي .

أشارت له دموع بالموافقة، حينها اقترب منها رحيم وقبل مقدمة رأسها بكل رقة وحب، ارتعشت دموع بين يديه، فقبل خديها بكل رقة وحب، واقترب من شفتيها، وقبلها قبلة هادئة مطمئنة لها، أنه هو زوجها وأن ما يحدث الآن حلال لها وله، وقف رحيم، وأمسك بيد دموع، وحين وقفت حملها بين يديه، وتوجه بها إلى التخت ليبدأ معها حياتهما كأيّ زوجين، كان رحيم يعاملها بكلِّ رقة وحنية، يخشى عليها حتي من نفسه..

أخيراً أصبحت له، وبين يديه حلقت معه (دموع) في بحرٍ من المتعة واللذة؛ فهو حلالها أولا وأخيراً .

****

بينما على الجانب الآخر في الصباح الباكر ،قررت (ليالي) أن تخرج قليلا، دون أن تخبر أحداً، وهي تقول لنفسها أنها لن تمشي بعيداً، مشت قليلا، وأخيراً جلست بجانب إحدى الأشجار، كانت تنظر أمامها بكل حزن، حتى سمعت صوتاً قاسياً

حسن الهواري بغضب: جاعده اهنيه ليه دلوك؟ وجايه مع مين ؟

ليالي بغضب وهي تقف، وتنفض ملابسها: وانت مين انت عشان تكلمني كده؟ انت مالك اصلا .

حسن بغضب: أحمدي ربك انك مره، والاه واللي خلج الخلج كت دفنتك مطرحك.

ليالي بعصبيه: استغفر الله العظيم، ابعد عن وشي الساعه دي، انا مش نقصاك، روح العب بعيد .

حسن بصدمة كيف تتحدث له هكذا هو من يخافه أقوى الرجال تحدثه امرأة هكذا.

حسن: اتي بتتحدتي أكده وياي اني ..

ليالي بسخرية: لا مع خيالك يا فالح، واضح انك عقل نمله وجسمك جسم فيل، أظن كلامي واضح انه ليك .

لم يستطع (حسن) أن يتحمل أكثر من هذا، وصفعها على وجهها بقوة، نظرت له (ليالي) بغضب، ودفعته، وذهبت مسرعةً، وجدها تدخل منزل عمه (زين الهواري)، فعلم أنها من ضيوف العرس، ولكن كيف فعلها ؟! فهو لأول مرة يضرب امرأة، ولكن تلك الفتاة أهانته، وقللت منه، وكان لابد من تأديبها .

****

في الجانب الآخر، كان (وائل) يجلس مع أحد أصدقائه، وأخبره بحكايته مع (ليالي)

وائل: بس يا سيدي .

صديقه بخبث: تصدق انك اهبل، معاك حاجة مش عارف تستفيد بيها .

وائل بتعجب: ازاي ؟

صديقه: تطلب منها فلوس قصاد الصور .

وائل: بس دي على قدها خالص .

صديقه: هتتصرف متتقلقش دي سمعتها، انت بس اطلب خمسين ألف منها مقابل الصور، وإلا هتفضحها، بس خد بالك ليا فيهم عشر تلاف .

وائل بابتسامة: متقلقش لو دفعت ليك مني عشرة .

أصبح الشباب سيئين؛ فقد نسوا الله، ونسوا أن لهم أخوات بنات، وأنه سيكون لهم أبناء وبنات، وأن لهم زوجة، وأم، وعمة، وخاله، نسوا أن الله منتقمٌ جبار، وأنه ليس بغافل عما يفعلون، يتاجرون بشرف فتاة أخطأت، ولكن كانت تعتقده رجلاً، وأنه سيتزوجها، ولكن هل هذا يعطيه الحق أن يفعل بها ذلك؟ هل هذا ما علمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن نفضح بعضنا البعض، لا والله فالمسلم الحق هو من يستر أخاه .

****

على الجانب الآخر، في المساء كان (زين الهواري) يجلس بمجلس داره، حين وجد (حسن الهواري) يدخل عليه ..

حسن الهواري: السلام عليكم .

زين بترحاب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلا أهلا

دخل حسن وسلم علي عمه باحترام وجلس، طلب له (زين) القهوة، وحضرت سريعاً، كانا يتحدثان بالأحوال، وأخبره (زين) أنه سيذهب بعد العشاء للقاء ابنته (دموع) والاطمئنان عليها

حسن بتساؤل: مين الصبية اللي جاعده اهنيه ؟

زين: فيه بتين توءم اهنيه صحبات بتي (دموع) من مصر.

حسن بتساؤل: مين منهم اللي خرجت انهارديه الصوبحيه ؟

زين وهو يتذكر: ايوه ايوه ديت (ليالي)، بس مخبرش مين جبلها، ومد يده عليهه، بس انته عيرفت منين أن البنيه خرجت ؟

حسن بتوتر، وهو يبلع ريقه: اني يا عمي الراجل ديه .

زين بدهشة وتعجب: انته يا (حسن) ممصدجش !

حسن بجدية: عشان أكده اني جايلك دلوك .

زين بتعجب أكثر: خير يا ولدي .

****

الفصل الثامن

حسن: اني رايد اتجوز ليالي .

زين بتعجب: كيف يعني مفهمش ؟

حسن بتوتر أكبر وصوت عالٍ نسبياً: جري ايه يا عمي؟ اني بتحدت بالوينجي؟ بجولك رايدهه على سنه الله ورسوله .

زين وهو يهز رأسه: خابر يا ولدي بس يعني ..

حسن بتفهم: فهمت جصدك اشمعينه هيه .

أشار له العم بالموافقة.

حسن: مليحه بت جويه كيف ماني رايد مرتي، مخفتش ميني، ولمن مديت يدي عليهه مبكتش جدامي واصل، اني رايدها يا عمي .

زين: هجولها يا ولدي .

حسن: اني رايدك تتحدت وياهه انهاردیه، وترد عليه .

زين: بأمر الله يا ولدي .

****

بينما على الجانب الآخر، كان يجلس (همام) بصحبة ابن عمه، ورفيقه، وكاتم سره، يدعي (صادق الهواري)

همام: مخبرش كيف هتصريف ؟

صادق بحدة: مخبرش كيف هتتصريف ايه؟ هنعيدوه تاني، وتجعد مطرحك، وتروح من يدك تاني يا واد عمي .

همام بتنهيده: مش جادر اتجدم ليه .

صادق بسخرية: هتجدر تتحمل انه اتكون لغيرك تاني ؟

همام بألم ظاهر بعينيه: لاه مجدرش .

صادق: يبجي انته تستنه لمن عديته تخلوص، وتروح تتجدم لحسن الهواري، وتطلب يد خيته (جميلة)

همام بتنهيدة: ان شاء الله .

****

بينما على الجانب الآخر، استيقظت (دموع) من نومها، وجدت أن (رحيم) ما زال نائما، ظلت تتأمله لثوانٍ، وتذكرت كم كان مختلفا عما رسمته بخيالها؛ فهو يعاملها بكل رقة وحنية، وليله أمس جعلها تشعر كم يخاف عليها حتي من نفسه، حتى عندما نام كان يضمها إليه بقوةٍ، وكأنه يخشى أن تذهب بعيداً عنه، ولا يشعر بها، حاولت (دموع) أن تبعد يده التي تحيط خصرها، فوجدته يفتح عيونه، ويبتسم لها، احمرَّ وجهها فوراً من شدة الخجل، ونظرت إلى صدره

رحيم بابتسامة جذابة: صباحيه مباركه .

دموع بخجل: يبارك فيك يا واد عمي .

رحيم بمشاكسة: كتي بتشيلي يدي ليه ؟

دموع بتوتر: بدي أجوم كفاينه أكده نوم عاد .

رحيم بحب وهو يعتدل، ويمرر يده على خدها بإعجاب: لساتني ممصدجش انك مرتي

دموع بابتسامة خجولة: واني كماني .

انفجر (رحيم) بالضحك، وضمها إليه بقوة، وذهب بها ثانية إلى عالمه الخاص، فهو مازال لا يصدق أنها زوجته، وأنها ملك له بالكامل، وكم يعشق خجلها الذي يجعلها أكثر جمالا ..

وليتم تأجيل كل شيء لوقتٍ لاحقٍ؛ فهو الآن ملك لزوجته فقط .

****

بينما على الجانب الآخر، كانت (ليالي) تجلس أمام والد دموع، بعد عودتهم من منزل دموع، وكم فرحت دموع بهم، ولكن لم يستطيعوا الحديث سوياً؛ لكثرة المباركين، ولكن وعدتهم دموع أنه في الغد ستكون متفرغة لهم

ليالي: خير يا عمو .

زين بجدية: خير يا بتي إن شاء الله، اني رايد اتحدت وياكي بموضوع اكده .

ليالي: اتفضل يا عمو

زين: اني رايد أجول انك اتجدملك عريس من عندينه .

ليالي بتعجب: ليا انا ! مين ده ؟

زين وهو يبلع ريقه: الراجل اللي جابلتيه لمن خرجتي، هوه اللي اتجدملك حسن الهواري، وهوه اللي جالي انه مد يده عليكي، وهوه رايد يعريف رديك انهارديه جولتي ايه يا بتي ؟

****

الفصل التاسع

ليالي يتعجب، وهي ترفع يدها دون شعور، وتتحسس مكان صفعة يده

ليالي بسخرية: ايه حابب يصلح غلطه فيتجوزني !

زين بجدية: يا بتي حسن الهواري مش ايوتها راجل، لاه ديه زينت الرجالة

ليالي بسخرية: اه واضح أوي !

زين بجدية: عيندي حل .

ليالي بحدة طفيفة: حل لإيه يا عمو؟ طلبه مرفوض أصلا .

زين بجدية: الصبر يا بتي، متستعجليش في رديك دلوك، فكري لاول .

ليالي: يا عمو بس

زين بمقاطعة: بجولك ايه، ما تجعدي وياه وتشوفيه مرة تانية، بس المره ديت صوح وبعديها جولي رأيك.

ليالي بتفكير: حاضر يا عمو .

****

في منزل رحيم الهواري، استيقظت (دموع) من نومها، وهي تتحسس التخت بجانبها، ولكن لم يكن موجوداً إلى جانبها كعادته، فالتخت فارغ، حتى حين لمست مكانه، كان بارداً، لم يكن دافئاً مكان جسده، حينها علمت أنه استيقظ منذ وقت طويل، قامت دموع واتجهت إلى هاتفها، لترى كم الساعة وجدتها الثامنة صباحاً، مازال الوقت مبكراً، إلى أين ذهب ؟ لا تعلم.

دخلت إلى الحمام، وحين خرجت، غيَّرت ملابسها، وارتدت عباءة منزل باللون الموف، وحجاب مناسب لها، وخرجت من غرفتهم، واتجهت إلى غرفة جدتها؛ كي تلقي التحية عليها.

طرقت دموع الباب، وسمعت صوت الجدة يأمر بالدخول، دخلت (دموع) وعلى وجهها ابتسامة واسعة:

دموع: كيفك يا ستي ؟

الجدة بفرحة: تعالي يا ست العرايس، صباحك عسل وجشطه ؟

دموع وهي تدخل، وتقبل يدها بحب: كيف صحتك ؟

الجدة بحب: زينه وبجيت احسن لمن شفتك .

دموع: يخليكي ليه يا ستي .

الجدة: رحيم زين وياكي ؟

دموع وجهها يحمر بسرعة حين ذكرت الجدة اسمه: زين جوي يا ستي، كت ظلماه، وكت فكراه جاسي جوي، وهوه مش أكده واصل، مشفتيش في حنيته حد واصل .

الجدة: رحيم مش جاسي، رحيم في الحق بس جاسي، غير أكده كيف النسمه .

دموع: عيندك حج يا ستي .

الجدة: حماتك راجعه انهارده من حدا جرايبها .

دموع بتوتر: ترجع بالسلامة .

الجدة وهي تمرر يدها على ظهرها بحب: معوزكيش تخافي من حد واصل، اتي مرت كبير هوارة.

دموع وهي تشير لها بالموافقة، ولكن بداخلها تخاف تلك السيدة العجوز؛ فهي معروفة بالقسوة والقوة، لم يحدث بينهم شيء، ولكن تخاف منها، وحمدت ربها أنها بعد زفافها قد حدثت وفاه أخيها، وذهبت إلى هناك، ولم ترجع حتى الآن.

ولكن وقت اللقاء لا مفر منه.

****

على الجانب الآخر، كان حسن الهواري يجلس بغرفته، ينتظر أيَّ خبر من عمه (زين)، حتى دقَّ باب غرفته ..

حسن: ادخل .

دخلت (جميلة)، وهي تحمل بيدها كوباً من القهوة، وضعته إلى جانبه

حسن بتعجب: ايه الرضا ديه كله ؟!

جميلة: هههههههه طول عمرك فجسني .

حسن وهو يرتشف القهوة، وينظر لها بتركيز: رايده ايه ؟

جميلة: رايده اكمل علامي يا واد ابوي .

حسن بضيق: هنعيدوه تاني يا جميلة ؟

جميلة بترجي: ابوس يدك .

حسن بتنهيدة: هشوف واجولك .

جميلة وهي تبتسم، وتقترب منه، وتقبل رأسه: يخليك ليه .

ابتسم (حسن) لها؛ هي ليست شقيقته، بل هي طفلته الصغيرة التي لن تكبر أبداً ..

أخيراً رنَّ هاتفه، وأخبره عمه أن (ليالي) ستكون بانتظاره بالغد بمنزله بعد العشاء؛ للحديث سوياً قبل أي شيء، وافق (حسن) ووعد عمه بالحضور غداً.

****

على الجانب الآخر، كانت (ليالي) تجلس بالأعلى، في منزل (زين) بالغرفة المخصصة لهما، حين رنَّ هاتفها برقم ذلك الخسيس (وائل)، لم ترد أول مرتين، ولكن وجدت رسالة منه، حين فتحتها، وجدته يطلب منها الردَّ أفضل لها؛ فردت سريعاً خوفاً أن يفضحها ..

ليالي: ألو

وائل بغضب: مبترديش من أول مره ليه ؟

ليالي ترتجف وهي تتحدث، ولكنها تظاهرت بالقوة: مكنتش جنبه .. نعم خير في حاجه ؟

وائل بحدة: تتكلمي كويس احسنلك، ولا تحبي ابعتلك كام صورة ؟

ليالي بتوتر: انت عاوز مني ايه ؟

وائل ببرود: ولا حاجه عاوز خمسين ألف جنيه .

ليالي بصدمة: نعم خمسين ألف منين؟ وعاوزهم مني ليه ؟

وائل: مقابل الصور، منين ماليش فيه، من أي مكان، المهم قدامك أسبوع، يكون المبلغ جاهز وإلا هتلاقي صورك على النت، فاهمه يا حلوه ؟

ليالي ببكاء: حسبي الله ونعم الوكيل فيك .

****

في اليوم التالي، هاهي (ليالي) تجلس أمام (حسن) منذ دقائق، ولكن صامتة

حسن: مالك أكده ساكته مش بعاده ؟

ليالي وهي تنظر له: انت قلت انك عاوز تتجوزني صح ؟

حسن بتأكيد: صوح .

ليالي: انا موافقة بس ليا شرط .

حسن: شرط ايه ؟

****

الفصل العاشر

ليالي وهي تنظر له بتوترٍ، وتبتلع ريقها: أنا ليا أخت توءم اسمها ليلي .

حسن: شبهك جوي ولا لاه ؟

ليالي: نسخة واحدة .

حسن: ما شاء الله .

ليالي بكذب: أنا أختي (ليلي) كانت بتحب واحد وبعدين يعني ..

حسن الهواري: وبعدين ؟

ليالي: بصراحه كده بعتت له صور ليها بلبس بيت يعني عريان شويه، وهو دلوقتي بهددها بالصور دي، وعاوز منها فلوس، وبهددها انه هيفضحها، انا شرطي انك تخلص اختي من الموضوع ده، وانا موافقه اتجوزك .

حسن الهواري بتفكير: خيتك كيف تيعمل أكده ؟

ليالي: كانت بتحبه، وفاكره انسان كويس .

حسن الهواري: اني هتصريف، وبعديها هاجي اتجدم لابوكي .

ليالي: هتتصرف ازاي ؟

حسن: كيف ديت بتاعتي اني وبس، اني رايد كل حاجه عن الواد ديه .

ليالي أخبرته عن (وائل) كل شيء عنوانه، وعنوان عمله، ورقمه، ووصفته له، وبعدها أخبرها (حسن) أنه حين ينتهي من أمره سيتصل بها علي رقمها بعد أن أعطته له .

****

على الجانب الآخر، كانت (دموع) تجلس بغرفتهم تشاهد التلفاز، حين دخل

(رحيم) ...

رحيم وهو يبتسم: السلام عليكم .

دموع وهي تقف بسرعة، وتتجه إليه، وترد التحية بكل شوق: عوجت عليا .

رحيم وهو يغلق الباب، ويتجه إليها، ويقبل خدها بحب: كان عيندي شغل كتير جوي .

دموع: احضيرلك الوكل .

رحيم: لاه .

دموع بتعجب: لساتك مجوعتيش، انته من الصوبحيه بره الدار.

رحيم: لاه ما انى كلت ويه العمال .

دموع: بالهنه والشفه .

رحيم بحب، وهو ينظر إلى شفتيها بشوق: اتوحشتك .

دموع وجهها احمرَّ خجلا سريعا : واني كماني اتوحشتك جوي .

حينها لم يستطع (رحيم) تمالك نفسه، اقترب من شفتيها التي اشتاق لها طوال اليوم، وقبلها قبلة طويلة، جعلتهما يحلقان سويا في عالم خاص بهما وحدهما ..

****

على الجانب الآخر، وصلت والدة (رحيم الهواري) أخيراً الي المنزل، فهي خديجة الهواري

امرأة معروفة بالقوة والقسوة، كانت معروفة بكرهها إلى والدة دموع؛ لأن والدة دموع كانت محط أنظار الجميع، والجميع يشكر بها، كانت تشعر بالغيرة منها، وحين طلب (رحيم) يد(دموع) غضبت، ولكن (رحيم) لم يسمع لها، كانت تشبه إلى حد كبير

الفنانة سوسن بدر بعيونها السوداء الواسعة، وشعرها الأسود الذي تختلط به بعض الخُصل البيضاء من الشعر، طويلة القامة، ولديها نظرات مخيفة، تجعل من تنظر له يخاف، ويرتجف من الداخل ... كانت الخادمة والمخبر السري لها، تجلس أمامها، وتخبرها ما حدث بغيابها ..

الخادمة: ورحيم بيه مجلعها جوي يا ستي .

خديجة بعصبيه: بجي أكده يا واد بطني، بس واللي خلج الخلج لسود حياتك يا بت (وفاء)، ولساتك مشفتيش حاجه واصل .

****

بعد مرور يومي، كان (وائل) يخرج من عمله، ولكن لا يعلم أن هناك من يراقبه بكل خطوة له، وأخيراً جاءت اللحظة المناسبة لخطفه، وبالفعل تم خطفُه في سيارة بسرعة كبيرة بمكان هادي نسبيا، كان يمشي به وحيدا، وتم ضربه على رأسه ففقد وعيه، وهاهو الآن يفتح عيونه بصعوبة، ليجد نفسه ينظر بعيون (حسن الهواري) الغاضبة

حسن: فوج يا ابن المركوب .

****

الفصل الحادي عشر

حينها فتح (وائل) عينيه برعب حقيقي، من هذا الرجل؟ وماذا يريد؟ لابد أنه يحلم، لا لا مستحيل

وائل بخوف: انت مين ؟!

حسن بسخرية: اني عملك المهبب بطين على نفوخك .

وقام (حسن) بسحبه من ياقته، فوقف (وائل) أمامه، رغم طول قامته إلا أنه كان يشعر أنه قزم أمامَ هذا الرجل، قام (حسن) بصفعه عده مرات على وجهه بقوة حتى نزفت شفتاه

وائل بخوف: ابوس ايديك كفايه، انا عملتلك ايه طيب؟ قولي عاوز مني ايه ؟

حسن: فينه تليفونك يا ابن المركوب ؟

وائل: في جيبي .

بحث (حسن) في جيبه، حتي أخرج الهاتف، وحين فتحه، وجد الصور التي قالت عليها ليالي، لم يدقق بها؛ فهو يظن أنها شقيقتها ..

حسن وهو يمسح كلَّ شيء، ويضع الهاتف بجيبه: فيه صور تانيه غير ديت ؟

وائل بصدق: والله لا هما بس .

حسن: مؤكد دلوك عيرفت اني هتصريف أكده ليه .

وائل وهو يكاد يموت رعبا: ايوه بس والله ما هعملها تاني، أخر مره، انا اسف بجد .

حسن بجديه: النوبه ديت هسيبك تيروح، بس النوبه الجايه هجتلك .

وائل بخوف وتوترٍ: لا والله ولا هتسمع عنى تاني .

حسن لرجاله: كسيروا رجليه، وبعديها ارموه فيه ايوتها داهيه .

وائل وهو يحاول أن يقترب منه، ويقبل يده، ولكن ابعده رجال حسن: ابوس ايديك، لا ابوس رجلك، والله أخر مره، انا غلطان ومحقوق ليك، بس ابوس ايديك سبني اروح، انا بصرف علي امي واخواتي البنات، لو انكسرت مش هيلاقو ياكلو .

حسن بحدة: عينديك ولايه وبتيعمل أكده ؟! جبر يلمك .

ونظر الي رجاله

حسن: روجعوه وبلاش تيكسوره، رايد ضرب يوجع ميعميلش اثر .

وبالفعل انقض عليه رجال (حسن) وأوجعوه بشدة، من قوه ضربهم كان يتذلل ويترجي، ولكن هو لم يرحم (ليالي) ودموعها، كيف الآن يطلب الرحمة من (حسن)، فليتحمل نتيجة فعلته الشنعاء، وهذا نتيجة غدره وابتزازه لمن وثقت به .

****

على الجانب الآخر، استيقطت (دموع) منذ وقت طويل، كانت تنتظر أن يستيقظ (رحيم)، وكانت تخشى أن يذهب، وهي نائمة؛ لهذا استيقظت مبكراً ..

وأخيرا وجدته يفتح عيونه، ويجلس بالتخت، كانت تجلس تراقبه، وهو نائم، بينما هي كانت تجلس على كنبة مقابل التخت تراقبه دون ملل

دموع: صباح الخير .

رحيم وهو يفرك عيونه: صباح النور، بجينا جديه دلوك .

دموع وهي تنظر بهاتفها: لسه بدري الساعه لساتهه تمانيه .

رحيم وهو يقف من التخت، ويتجه إليها، ويجلس إلى جانبها، ويحتضنها: ايه اللي جومك من جاري ؟

دموع وهي تنظر له بحب: كت رايده اتحدت وياك، وخوفت تيمشي جبل ما اجوم.

رحيم بابتسامه مشجعة: اتحدتي .

دموع بخجل: اني رايده اعزم ليالي وليلي على الغده عندينا انهارديه جبل ما يروحوه بكره .

رحيم بسرعة: وديت محتاجيه سؤال بردك .. موافج .

دموع بفرحة، وهي تقبل خده: يخليك ليه .

رحيم وهو يرد قبلتها بحب: حاجه تانيه ؟

دموع: لاه مستغناش يا واد عمي .

حينها قبل رحيم جبينها، وانطلق إلى الحمام، وبعدها خرج، وارتدي ملابسه، وذهب بينما بعد خروجه ارتدت (دموع) ملابسها؛ حتى تنزل إلى الأسفل؛ لعمل الغذاء بعد أن اتصلت بليالي وليلي، وطلبت منهم أن يحضروا اليوم للغذاء، ففرحوا بذلك؛ أخيرا سيستطيعون الحديث سوياً

دخلت (دموع) إلى المطبخ، وجدت حماتها تجلس على كرسي، وبيدها كوب شاي

ابتسمت (دموع) وقالت: صباح الخير

ألام بدون نفس: صباح الخير

دموع وهي تقول بتوترٍ وخجلٍ وتتحرك بتوتر: اني جولت لرحيم اني هعزم صحباتي ع الغدة انهارديه، ووافج .. لو رايده حاجه اعميلها ليكي، جولي يا مرت عمي .

الأم بحدة: أكده تجيبي اللي علي كيفك وجت ما انتي رايده، كأن الدار ملهاش صاحب .

دموع بصوت مخنوق؛ فلم تتوقع ذلك الهجوم منها: يا مرت عمي ..

الأم بمقاطعة: اعيملي اللي جوزك وافج عليه، لكن آخر مره تيعملي حاجه، واني مخبراش عنهه حاجه، فاهمني يا بت وفاء .

دموع بحزن: حاضر يا مرت عمي .

****

على الجانب الآخر، كانت جميلة تمشي بشوارع قنا، أمام محلات الملابس تحاول شراء بعض الأشياء،

وبعد أن وافق (حسن) على خروجها، بعد أن ترجته، وأخبرته أنها تشعر بالخنقة والضيق ..

كانت تمشي، ولا تنظر أمامها، بل تتابع المعروض في المحلات، حتى وجدت نفسها تصطدم بقوة في أحدهم، رفعت (جميلة) نظرها لترى من ذلك، فكانت صدمتها التي جعلت وجهها شاحباً كالموتي

جميله: كرم !!

****

الفصل الثاني عشر

كرم: كيفك يا بت عمي؟

جميله بوجه شاحب وصوت مهزوز من الصدمة؛ فلم تتوقع رؤيته نهائيا، كان آخر شخص بالعالم تتوقع أن تراه ثانية، ردت وهي تحاول التماسك: زينه جوي .

كرم بحدة: كيف يعني؟ تكونيش فريحتي لمن االطجنا ؟

جميله وهي تقول له بكل الكره الذي تكنه له: عمري ما كت فرحانة جد دلوك .

كرم بغضب: لساتك علي عناديك ديه ؟

جميله بغضب: ورحمه ابوي يا (كرم) أن مبعدتش عني لجول لأخوي حسن .

كرم بسخرية: فاكراني هموت في جلدي لمن تجولي أكده، لاه مهبعدش وهترجعيلي.

جميله بحدة: الموت أهون علي من رجوعي ليك يا واد عمي .

كرم بصدمة في تلك المرأة كانت تعشقه، كيف الآن تشع عيونها بالكره والحقد والغل تجاهه

كرم بعدم استيعاب لما يراه: ممصدجش حالي اللي شايفهه دلوك هيه مرتي اللي بتعشجعني ؟!

جميله بقرف: كان يا واد عمي، كان لكن دلوك (جميله) اللي تيعرفيهه خلاص ماتت .

كان سيهم (كرم) بالردّ عليها، ولكنها أعطته ظهرها، ومشت مسرعةً تجاه السيارة التي تنتظرها، ولم تعره أيَّ انتباه، بينما كان (كرم) يغلي غضباً مما رآه اليوم أمامه، وكيف تحولت زوجته إلى تلك الأنثى القوية التي تشع عيونها بنار الكره والغضب؟ كيف تحولت هكذا ؟ هو من فعل ذلك بها، فقد كانت تنتظر دائما إشارة منه رغم قسوته

معها، إلا إنها كانت دائما تظهر له كم تحبه، ولكن منذ أن قام بضربها، وقد تحولت إلى نمرة شرسة، وابتعدت عنه، بل وانفصلت عنه أيضا، والآن حين ظن أنها حينما تراه ستحنُّ إليه ثانية، ولكنه وجد الكره والغل، ولكن لا .. لن يتركها، فسوف يرجعها إليه مهما كان، لن يصمت، وستعود إليه زوجته رغم أنف الجميع .

****

على الجانب الآخر، وصلت ليالي وليلي إلى منزل (دموع) التي أخفت حزنها، وتناولت الغذاء مع صديقتها وأختها، وسط جو من المرح والسعادة حتى قالت ليالي ..

ليالي: انا اتقدملي (حسن) ابن عمك، وانا وافقت .

فقد كانت تعلم علم اليقين أن (حسن) سيخلصها من (وائل) رغم كذبها إلا أنها ليس بيدها شيء، ولتسامحها أختها على ذلك.

دموع: واه بتجولي ايه ؟ واد عمي حسن .

ليالي: ايوه .

ليلي بتعجب: ووائل يا ليالي، وحبك ليه، فجأة كدة خلاص بح، هتتجوزي واحد تاني .

ليالي بتوتر: لا بس انا ووائل خلاص فركشنا من قبل ما اجي هنا، وبصراحة انا شايفة العريس كويس وفرصة .

ليلي بجدية: وانتي هتقدري تتحملي عادات وتقاليد وجو الصعيد، وبعدين ازاي قدرتي بالسرعة دي تنسي حبك؟ ايه هو زورار تضغطي عليه وتنسى !

دموع: بكفياكي يا ليلي، اصطبري لمن نشوف كيف حصول ديه .

حكت لهم (ليالي) ما حدث، وكيف تقدم لها (حسن)، ولكن أخفت عنهم الشرط، وبالطبع لا أحد يعلم موضوع الصور من دموع وليلي ..

دموع: ابوي هوه الواسطة !

ليالي: ايوه بس هو بصراحة قالي افكر، واشوف حسن، وشكر في أخلاقه .

دموع بفخر: حسن واد عمي زينة شباب الصعيد كيلاته .

ليلي: انا بصراحه مش مقتنعة، لكن انتي حره، دي حياتك، وانتي تتحملي نتيجة اي قرار ليكي .

ليالي: فعلا وانا متحمله نتيجة قراري سواء كانت النتيجة وحشه أو حلوة .

ليلي بأمل: أتمنى ظني يخيب، وتكون حياتك كلها سعادة .

****

على الجانب الآخر،في منزل همام الهواري، كان يجلس بجوار والده، وهو يشعر بالتوتر، لأنه يريد أن يخبره بعزمه على الزواج من جميلة، وأنه يريد أن يتقدم إليها

همام: ابوي

الأب وهو ينظر إلى برنامج وائل الإبراشي بتركيز ولكن رد عليه: نعم يا ولدي

همام بتوتر: اني رايد اتجوز .

نظر له الأب بفرحة وقال: زين يا ولدي، خبر زين جوي، ومين ديت اللي عليهه العين؟

همام وهو يبلع ريقه بصعوبة: جميله الهواري .

الأب بحدة، وهو يعقد حاجبيه: أخت حسن الهواري .

أشار له همام بالموافقة، حينها انتفض الأب واقفا: على جثتي لو ديه حصول .

همام بجدية: يا ابوي اني مش لساتني صغير، لو انته رافض اني مهعصاش ليك أمر، لكن متطلبش مني اتجوز واصل .

الأب بحدة: بتحط العجدة في المنشار.

همام بحزن: لاه يا بوي، بس اني رايد بت عمي، ومهتجوزش غيرهها واصل .

الأب بتفكير: أكده يا ولدي واني موافج، بس مرضيش عنها الجوازه ديت .

همام: كتر خيرك يا بوي، وديت حياتي اني، واني هكون سعيد اكده .

الأب: ربنا يسعدك يا ولدي .

همام وهو يقترب منه ويمسك بيد والده ويقبلها: يخليك ليه يا بوي .

****

على الجانب الآخر، بعد عودتهم من منزل (دموع)، غطت ليلي في نوم عميق، لا تعلم ماذا بها منذ وصولها إلى الصعيد، وهي تقضي أغلب وقتها بالنوم، وكأنها تعوِّض ما فقدته من النوم أثناء المذاكرة،

كانت ليالي تجلس على التخت، وهي تمسك بهاتفها، تتفحص حسابها على الفيس بوك، حين وجدت رقماً غريباً يرن، لم ترد أول مرة، وفي الثانية فتحت الخط، ولم تتحدث

حسن: ألو.

ليالي: مين ؟

حسن بصوت أجش: حسن الهواري.

****

الفصل الثالث عشر

ابتلعت ليالي ريقها ببطء، لا تعلم لماذا حين سمعت صوته شعرت بجفاف حلقها

ليالي: اه .. أهلا ازيك .

حسن بجدية: مليح كيفك انتي ؟

ليالي: الحمد لله كويسه .

حسن بتساؤل: ميته هترجعوا بلدكم ؟

ليالي: هنرجع القاهرة بكره، انهارده كنا عند (دموع) بنودعها قبل السفر.

حسن بجدية: زين يبجي أكده تحددي مع ابوكي ميعاد؛ عشان ندلوا مصر نطلبك منيه .

ليالي بتوتر: انت عملت اللي قلتلك عليه ؟

حسن بحدة غير مقصودة: الموضوع ديه معدلوش أتر، وديت اخر مره هنتحدتوا فيه، بس اني فيه حاجه نفسي اعريفها .

ليالي: ايه هي ؟

حسن: كيف خيتك تيعمل أكده ؟ ممصدجش حالي كيف اتجلل من نفسيهه أكده ؟ مخبرش مؤكد مجلعه .

ليالي بدفاع عن شقيقتها، التي أصبحت ملطخة في أعز ما تملك شرفها، وسمعتها، ومن فعلها؟ شقيقتها التوءم، جعلت حسن الهواري يراها فتاة مستهترة، عديمة التفكير، لا تصلح أن تكون زوجة له .

ليالي: على فكرة بقي ليلي اختي متفوقة جدا، وفي كلية طب، وبابا وماما عمرهم ما دلوعنا دلع يبوظنا، ومش علشان حبت واحد وطلع واطي ووثقت فيه تبقي وحشه، لو سمحت بلاش تكلم عليها كده تاني، ولا حتي تكلمها في الموضوع ده، انت قلت آخر مره هنتكلم فيه، ويا ريت فعلا ده اللي يحصل .

حسن: زين واني عيند حديتي، ابجي حددي الوجت، واتصلي جوليلي .

ليالي: ان شاء الله

حسن: مع السلامة .

ليالي وهي تغلق الخط، وتنفجر في بكاء مرير

ليالي: الله يسلمك .

كانت تبكي ما فعلته بتوءمها، تبكي خستها ونذالتها، ولكن ذلك الحقير هو سبب كل شيء، كانت ليالي تضع الحق في كل ما حدث على (وائل)، رغم أنها مخطئة مثله تماما ..

استيقظت (ليلي) على صوت بكاء شقيقتها، فقامت مسرعةً، واقتربت منها بقلق

ليلي بفزع: ليالي ...

رفعت (ليالي) وجهها الملطخ بالدموع، ونظرت إلى شقيقتها التي كان القلق ظاهراً بعيونها، وارتمت بحضنها، واحتضنتها بقوةٍ، وبكت أكثر وأكثر.

احتضنتها (ليلي) بحب، وقوة، ومررت يدها على ظهرها بحنية.

ليلي: مالك يا حبيبتي؟ ايه مزعلك؟

ليالي وهي تشهق من البكاء، وتحتضن أختها أكثر، وصوتها مخنوق: مفيش .

ليلي بحب: طول عمرك لما تبقي عامله حاجه تعيطي كده، عملتي ايه المره دي ؟

ليالي وهي تبتعد عنها بتوتر، وتمسح دموعها: مفيش معملتش حاجة .

ليلي وهي تنظر لها بدقة: ماشي هصدقك، بس عاوزه أقولك حاجة .

نظرت لها ليالي بتركيز، وهي تتحدث، وأشارت لها برأسها كي تكمل حديثها

ليلي وهي تنظر بعيون شقيقتها: انا اختك التوأم، يعني روح واحدة، يعني بحس بيكي، انا وانتي نفس الروح والشكل، لو تعبتي بتعب، لو زعلتي بزعل، لو فرحتي بفرح، انا أقرب ليكي من أي حد حتي من بابا وماما، انا جزء من روحك .

ليالي: ليه كلامك ده كله ؟

ليلي: كلامي ده عشان أفهمك وأعرفك اني هكون ستر وغطا ليكي، اني انا اكتر حد في الدنيا كلها بيخاف عليكي، ونفسي تفتحي قلبك، وتحكي مالك، انا مش هجبرك تحكي، بس هستني اليوم اللي تيجي تحكي فيه كل حاجه، وأتمني يكون قريب .

وقبَّلت جبهة (ليالي)، ورجعت لنومها مرةً ثانية .

****

على الجانب الآخر، كان (رحيم الهواري) يعود من عمله بآخر اليوم، كان اليوم شاقاً وطويلاً، لا يعلم لماذا كل دقيقة كان ينظر بساعته يري كم مر من الوقت، وكلما أراد الذهاب يظهر له شيء يعطله ثانية، وكأنهم يريدون تأخيره عن رؤية حبيبته ..

دخل الي المنزل، وجد والدته أمامه، قبَّل رأسها بحب واحترام ..

رحيم: كيفك يا امه ؟

الأم بحب: زينه يا ولدي طول ما انته زين .

رحيم بحب وهو يجلس جانبها، ويقبل يدها: اتوحشتك لمن غبتي عني .

الأم: يخليك ليه يا ولدي .

رحيم: امال فينها دموع ؟

الأم بخبث: مخبرش يا ولدي، هيه من وجت ما الضيوف مشوا واني مراتهاش عيني، حتي في الصوبحيه نزلت جالت اطبخ ايه، ومشفتهاش غير وجت ما جت تاخد الوكل .

رحيم بضيق: وهيه معملتش حاجه وياكي .

الأم بخبث: لساتها عروسة يا ولدي .

رحيم وهو يقف، ويظهر عليه الضيق: طيب اني هطلع اتسبح .

الأم بخبث؛ فهذا ما تريده إشعال النيران بينهما: براحتك يا ولدي .

صعد (رحيم)، وهو يشعر بالغضب بداخله، حين أخبرته أنها تريد أن تعزم صديقتها وافق، ولكن لم يكن يعلم أنها ستكون ملكة، ووالدته خدامة تخبرها ما تريد، وتأخذ كل شيء على الجاهز، لا وألف لا ، فإن كانت تربت على وجود من يخدمها في منزل والدها، فلتنسي ذلك؛ فوالدته ليست خادمة لها ..

دخل (رحيم) الغرفة، وجدها تجلس، وتشاهد التلفاز بصوت عالٍ، حتي أنها لم تلاحظ دخوله

رحيم بغضب: دموع ..

****

الفصل الرابع عشر

انتفضت (دموع) من صوته العالي، ووقفت مسرعة

دموع: مالك يا واد عمي ؟

رحيم وهو يغلق الباب بقوة: انتي خابره ايه اللي حصول زين .

دموع بتعجب من لهجته القاسية الغاضبة: مخبراش انته هتتكلم عن ايه ؟

رحيم: لمن طلبتي ميني انك تجيبي صحباتك اهنيه، انى وافجت صوح ؟

دموع: صوح .

رحيم بغضب: طيب لمن هو صوح، يبجي ديه جزاتي ؟

(دموع) ودموعها تنهمر من قسوته عليها، ونظرات عيونه الغاضبة لها، كانت تتألم من نظرات عيونه إليها، لا لم تكن تلك عيون زوجها حبيبها الذي جعلها تحلق من السعادة، وتشعر بالقوة منذ ليلة زفافهم، الآن من يقف أمامها هو رحيم الهواري الذي كانت تخشاه، وتخاف أن تتزوجه، الآن تراه أمامها بكل وضوح، من الواضح أن النمر الذي بداخله لم يستطع أن يخمل أكثر من ذلك، وقرر الخروج لينقض عليها كما تخيلت دائما ..

دموع بألم: اني مخبراش انته بتحدتت عن ايه؟ وليه طريجتك ديت معاي ؟

رحيم وهو يقترب منها، ويتحدث بغضب: كيف اتخلى امي هيه اللي تيعمل الوكل، وانتي جاعده اهنيه كيف البرنسيسة ؟

دموع بصدمة، وهي تشير إلى نفسها: اني يا واد عمي، والله اللي احسن من الكل اني اللي عامله الوكل كلاته، ومرت عمي محطتش يدهه في حاجه واصل .

رحيم بعصبيه: جصدك ايه ان امي بتكدب ؟

دموع بحزن: لاه يا واد عمي، انته سألتني واني جاوبت عليك، مجصديش حاجه واصل، ولا أجدر أجول حاجه عفشه عن مرت عمي .

واقتربت من الكنبة ثانية، وحملت حجابها، وهي تقول له

دموع: بالإذن يا واد عمي، هدي لستي العلاج .

وخرجت مسرعة من الغرفة، ولكن وقفت بعدها في منتصف الطريق إلى غرفة جدتها، وانفجرت في بكاء مرير؛ لظلمه لها، واتهامه لها هكذا، وعدم تصديقه لكلامها، وأكثر ما يحزنها هو ما فعلته زوجة عمها، امرأة في مثل عمرها وتكذب، لم تفعل طوال اليوم أي شيء يغضبها، بل كانت تقول على كل شيء نعم وحاضر فقط، وكانت تتحمل كلامها الذي يحمل أكثر من معني، وأحيانا كانت تشك أنها حين تشتم الخادمة، وكأنها توجه الحديث إليها، ولكن لم تفعل شيئا حتي لا تثير غضب حماتها ورحيم، ولكن كانت النتيجة عكس ما توقعت، فهي لم تتركها تعيش بسلام، بل وضعت الدسائس بينها وبين ولدها، جعلت حياتهم السعيدة تتحول اليوم إلى مسار لم تريده دموع نهائياً، والمحزن أكثر أن رحيم قد صدقها، فإن كان هو زوجها يظن بها هكذا وهو أقرب الناس إليها، فماذا يكون حال الآخرين ؟

توقفت (دموع) عن البكاء حتى لا يراها أحد، لم تكن تعلم أن والدته تراقبها، وعلى وجهها ابتسامة فرحة؛ لرؤيتها تبكي، مسحت دموع وجهها، وتوجهت إلى غرفة جدتها، وطرقت الباب، ودخلت وهي مبتسمة

دموع: كيفك يا ستي ؟

الجدة تنظر لها بدقة، وهي تقترب منها وتقبِّل يدها: زينه .. مالك يا بتي .

دموع وهي تخفي وجهها، وتهرب بالبحث عن العلاج: اني مفيش حاجه واصل .

الجدة بجدية: كتي هتبكي ليه يا دموع ؟

لم ترد دموع لدخول (رحيم) المفاجيء، لم ترفع وجهها لتنظر له، بل حين دخل أعطته ظهرها بحجه تجهيز العلاج .. دخل (رحيم) وقبل يد جدته احتراماً، وحياها بكل حب، وجلس يتحدث معها، ولكن عيونه كانت تراقب (دموع) التي تتجاهله نهائياً

الجدة: انهارديه لازمن تدوج الوكل، وتجول رأيك صوح .

رحيم يتعجب: ليه الوكل فيه حاجه انهارديه ؟

الجدة وهي تنظر إلى دموع: امال ايه مش (دموع) هي اللي عيملت الوكل، لازمن كلاتنا ندوجه، ونجول رائينه، اني عن نفسي الوكل كان كيف الشهد والعسل .

شعر (رحيم) بالتوتر، ونظر إلى (دموع) التي وجدها تمسح دموعها بسرعةٍ؛ خشية أن يراها أحد منهم، ولكنه رآها، وتمزق قلبه، إن كانت هي من قامت بتحضير الطعام فلماذا والدته قالت ذلك؟ لماذا كذبت لما جعلته يفعل ذلك مع زوجته؟ وما هدفها؟ والآن ماذا سيفعل مع (دموع) التي يرى عليها حزن شديد؟

فدعا ربه في سره أن يمررها على خير، فاق (رحيم) من شروده، على صوت طرقات الباب، فقالت الجدة للطارق أن يدخل، فوجدت أن من دخلت لم تكن سوي (جميلة) التي رحبوا بها بشدة، وخصوصاً (دموع) فهي تحبها بشدة، وتعتبرها أختها الكبرى

الجدة بعتاب: لسه فاكره تيجي تزوري ستك ؟

جميله بأسف، وهي تقبل يدها: حجك عليا يا ستي بس، اني مكنتش جادره اخرج واشوف ايوتها حد واصل .

دموع: نحمد ربنا انه عدت على خير.

وجد (رحيم) أنهم نساء سوياً فقرر الخروج

رحيم وهو يقف: طيب استأذن اني .

وكان يهم بالتوجه إلى الباب، حين سمع صوت (جميله)، ينادي عليه، فتوقف بسرعة، ونظر لها

جميله: واد عمي .

رحيم: خير يا بت عمي ؟

جميله بتوتر: كرم طليجي أتعرض ليه، وهددني .

رحيم بصدمة: بتجولي ايه ؟

حكت له جميله ما حدث معها من طليقها، وحين انتهت خرج (رحيم) دون كلمه وهو يغلي من الغضب.

****

على الجانب الآخر، كان كرم يجلس برفقة والده يشاهدان التلفاز، حين دقَّ الباب بقوة شديدة، جعلتهما ينتفضان فزعاً، واقتربا من الباب سريعاً

كرم: مين ؟

رحيم بصوت عالٍ غاضب: اني رحيم الهواري .

****

الفصل الخامس عشر

شعر (كرم) بالقلق بداخله، ماذا جاء به الآن، ولكنه فاق من شروده على صوت والده، وهو يأمره بفتح الباب

الأب: افتح لكبيرنا يا ولدي .

اقترب كرم من الباب، وحين فتحه أصابته لكمة قوية من (رحيم) أطاحت به على ظهره، أصيب الأب بالصدمة، واقترب سريعاً من ابنه الملقى أرضاً؛ يطمئن عليه، ويحدث (رحيم) بعتاب.

الأب: ليه اكده يا رحيم ؟

رحيم بغضب: لان ولدك مش راجل، مش هواري صوح .

كرم وهو يقف ويستند على والده: واني عيملت ايه ؟

رحيم بغضب، وهو يهجم عليه، ويمسكه من ياقة جلبابه: كيف تتعرض كيف الحراميه لبت عمي ؟

كرم بتوتر: ديت مرتي .

الأب بصدمة: واه مرتك كيف؟ ديت طليجتك؟ كيف توجفها وتتعرض كماني لبت عمك؟

كرم وهو يبرر فعلته: اني رايد ارجيعها لزمتي تاني يا بوي .

رحيم بغضب وهو يمسك بفك (كرم) بقوة بين يديه، ويضغط عليه، وينظر له بعيون غاضبة، جعلت كرم يموت رعباً من نظراته إليه كأنه يود قتله: علي جثتي تيرجعلك، مش هيحصول طول ما انى عايش،

وديه اخر تحذير ميني ليك .

وتركه وخرج دون حتى أن يلقى السلام، كرم بغضب بعد خروج (رحيم) قام بدفع أحد الكراسي بقدمه بغضب: مهسيهاش يا (رحيم) ديت مرتي، وهرجيعها غصب عنيك.

الأب وهو يقول له بغضب: انته اكده تبجي ناوي على موتك يا ولدي؛ رحيم مهبزرش وياك، رحيم المره الجايه ممكن يجتلك .

كرم بثقة: رحيم ميجتلش واصل .

الأب وهو يبين له شيئاً آخر قد سقط من رأسه: لو رحيم معملهاش، حسن هوه اللي هيجتلك، وحسن مهيفكرش كيف رحيم، لاه حسن لو عنديه خبر صدجني يا ولدي هيجتلك، كله إلا العرض يا ولدي .

كرم بعصبية: واني يا بوي معملتيش حاجة عفشه، اني رايد ارجع مرتي .

الأب: وهي معوزاش ترجعلك يا ولدي، يبجي بكفياك اكده .

كرم وهو يحاول مجاراة والده حتى ينهي هذا الحديث: حاضر يا بوي .

نظر له الأب بدقة، فهو يعلم ولده إن أراد شيئاً لا يتركه نهائياً، ولكن تلك المرة وقع بين من لا يرحم حسن الهواري ورحيم الهواري، دعا الأب بسره أن يهدي ولده، وأن يمرر الأيام القادمة على خير.

****

في منزل ليالي، كانت تجلس وحدها بغرفتها، منذ عودتها من منزل (دموع)، ومن يوم أن أخبرتهم بخبر زواجها، وأن هناك رجلاً من الصعيد يريد الزواج منها، غضبت الأم بشدة؛ لأنها لا زالت صغيرة من وجهه نظرها، ولكن السبب الأقوى أنها لا تريد لابنتها أن تبتعد عنهم هكذا

ولكن ليالي صممت على رأيها، والأب ساعدها؛ لأنه وافق طالما أن بذلك سعادتها، وافقت الأم على مضض منها، ولكن ليس بيدها شيء، فتلك حياه ابنتها، ولن تغصبها على شيء

هاهي تمسك بهاتفها، وقامت بالرن على (حسن) جرس واحد، وأغلقت الخط، كانت تشعر بالتوتر والخوف أن يعرف الحقيقة، كان كلما حدثها أو سمعت صوته تشعر بالرعب من اليوم الذي سيعلم الحقيقة به

دقيقه ووجدت هاتفها يرن برقم حسن، فتحت الخط:

ليالي: الو.

حسن: السلام عليكم.

ليالي: وعليكم السلام.

حسن: كيفك؟

ليالي: الحمد لله كويسه.

حسن بجدية: زين جولتي لابوكي.

ليالي: ايوه عشان كده كلمتك، بابا قال أي وقت يناسبك تقدر تتفضل فيه، بس تبلغنا قبلها .

حسن: زين يبجي يوم الجمعة الجايه، هنكون عنديكم نطلب يدك .

ليالي: ماشي هبلغ بابا .

حسن: في حاجه لازمن نتحدتو سوه فيهه .

ليالي بقلق: خير؟

حسن: انى رايد نكتب الكتاب طوالي؛ عشان محبش اخرج وياكي، وانتي مش مرتي .

ليالي بتوتر: بس بابا ممكن ميوافقش .

حسن: ابوكي اني هتكلم وياه وهجنعه، اني رايد اعريف رأيك انتي .

ليالي وهي تاخد نفس عميق، فلن يفرق شيئا إن كان اليوم أو حتى بعد سنه، فهي ستتزوجه مهما كان.

ليالي: انا معنديش مانع .

حسن: زين.

تبادل معها حسن القليل من الكلام، وانتهي الحديث على التأكيد على موعد اللقاء يوم الجمعة الساعة السابعة مساءً، وأخبرته (ليالي) عنوان منزلهم، ورقم والدها، وأغلقت الخط .

وهي تفكر هل ستمر الأيام ولن يعلم (حسن) أنها هي صاحبة الصور، وليست (ليلي)، أم سيعرف الحقيقة ووقتها هل تتحمل نتيجة فعلتها؟ دعت ربها بداخلها أن يسترها، ويمرر الأيام القادمة على خير.

****

على الجانب الآخر، رجع رحيم إلى المنزل متأخراً؛ فقد ذهب وجلس برفقة (حسن) بعض الوقت حتى تهدأ أعصابه، وهاهو يعود الآن، وجد الكل طبعا يغطون في نوم عميق، صعد إلى غرفته، وفتح الباب.

وجد أن (دموع) مازالت تجلس بانتظاره، دخل (رحيم) وهو متعجب؛ كان يعتقد أنها ستكون نائمة.

رحيم وهو يغلق الباب: السلام عليكم.

دموع بجدية: وعليكم السلام.

دخل رحيم إلى الغرفة، وبدأ بخلع ملابسه، وهو يعطها ظهره، حتي وجدها تقول

دموع بجدية: واد عمي .

التفت (رحيم)، ونظر لها كانت عيونها متورمة من شده البكاء، ووجهها أحمر، والحزن يبدو على كل شيئ بها، ولكن هناك نظره تحدي وعناد بعيونها، يشوبها بعض الخوف منه.

رحيم: خير يا بت عمي ؟

دموع: اني رايده اروح عيند ابوي .

****

الفصل السادس عشر

نظر لها رحيم لثوانٍ، ولم يرد؛ فهو لا يريد أن يزيد الخلاف بينها وبينه، وأعطاها ظهره، وأكمل تغيير ملابسه.

رحيم: خير عمي بعافيه، ولا حصول حاجه معريفهاش ؟

دموع بصوت متحشرج من كتمها لدموعها: لاه ابوي زين، اني اللي رايده ارجع دارنا.

نظر لها (رحيم)، وجلس أمامها، وهو ينظر لها بتركيز جعلها تتوتر بقوةٍ، ولكنها نظرت بعيونه بتحدٍ رغم خوفها.

رحيم بحدة بسيطة: دارك اهنيه يا بت عمي، واني راجلك، وميصوحش كبير هوارة مرته تهمل داره، وكيف تخرجي من اهنيه وانتي لساتك عروسه؟ نسيتي عوايدنا ؟

دموع ببكاء، فلم تستطع التحكم بدموعها أكثر: اني مجدراش اجعد اهنيه واصل .

وقف (رحيم) واقترب منها بهدوء، وأمسك بيدها، وسحبها إليه برقة، وجلس ثانية، وأجلسها على قدميه، وضمها إلى صدره بقوةٍ، وهي تشهق، وتبكي بقوةٍ.

رحيم وهو يحاول أن يجعلها تضحك: ديه كلاته عشان زعجت وياكي؟ لاه أكده ضرب النار أهون .

دموع بجدية وهي تبتعد عنه، وتنظر بعيونه، ودموعها على وجهها، وشعرها يحيط وجهها، كانت تشبه الأطفال وهي ترفع يدها لتمسح دموعها، كان يراقبها ويشعر بالغباء والضيق من نفسه، كيف يشك ويغضب عليها بتلك السرعة، وهو كبير هوارة، ورجل كل شيء يفعله لابد أن يكون عادلاً، كيف هكذا وهو ظلم زوجته ؟ حتى لم يستمع إليها، ولكن والدته هي المخطئة، وسيتحدث معها لاحقاً

دموع: اني مصدجتش اتهامك ديه، كيف تيفكر اني ممكن اتعامل أكده مع حد أكبر ميني؟ لاه وكمان أمك يبجي كيف يا رحيم، واني مش صغيرة، وفاهمه كل حاجه زين، واعريف الأصول مليح، ابوي وامي ربوني زين يا رحيم .

رحيم وهو ياخذ نفس عميق: حجك علي .

نظرت له دموع بدهشة، هل اعتذر لها أم أنها تتوهم، نزلت دمعة من عيونها، دمعة عتاب، اقترب بيده من وجهها، ومسح بأصابعه دموعها

رحيم: متبكيش تاني واصل، اني جلبي مبيجدرش يتحمل بكاكي .

دموع بهدوء: رحيم .

رحيم: نعم .

دموع بجدية: اني مش عاوزك تيعمل أكده معاي تاني، اني رايده حياتنا زينه، معوزاش مشاكل، اني خايفه من الأيام الجايه، ومعريفش ليه مرت عمي هتعمل أكده ليه .

رحيم بهدوء، وهو يضع شعرها خلف أذنها: معوزكيش تفكري في حاجه واصل، وامي اني هتحدت وياها، وان شاء الله خير، ومعوزكيش تزعلي مني واصل، وحاجه كماني .

دموع بتعجب: خير.

رحيم بجدية شديدة: معوزكيش تجولي انك رايده تهملي دارك، وتجعدي بعيد عني.

دموع بحزن: حجك علي، بس اني صعبت علي نيفسي، مجدرتش يا واد عمي، الظلم شين جوي جوي.

رحيم بحنية: خلاص يا (دموع)، عاوزين ننسوا اللي فات، ومعوزكيش تزعلي مني واصل؛ اني زعلك مبجدرش عليه .

دموع بابتسامة جذابة خجولة: تسلم يا واد عمي .

رحيم وهو يضمها إلى صدره بقوة: يخليكي ليه يا بت عمي .

****

بينما على الجانب الآخر كانت والدة (رحيم) تجلس بغرفتها صباح اليوم التالي، بانتظار أي خبر عن (دموع)، وأن ما فعلته أتى بنتيجة، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، دخل (رحيم) بعد أن طرق الباب، وسمحت له بالدخول، دخل (رحيم) باحترام، واقترب منها، وقبَّل يدها؛ فاحترامُها واجبٌ حتى لو أخطأت، فهي أمه أولا وأخيرا، وان كان هو لن يتحملها من سيتحملها غيره، وأيضا لا يمكنه أن يفعل شيئاً معها سوى عتاب منه علَّه يأتي بنتيجة.

رحيم: كيفك يا امه ؟

الأم بحب: زينه يا ولدي .

رحيم بهدوء: ليه أكده يا أمه؟ ليه رايده تعكري حياتي ؟

الأم وهي تمثل الحزن: اني يا ولدي .

رحيم: يا أمه اني عيرفت الحجيجة، وعريفت أن دموع هيه اللي عيملت الوكل كلاته، كيف انتي تجولي ليه غير أكده، كتي عاوزه ايه يا أمه ؟

الأم بعصبية: بسرعة صدجتها، وكدبت أمك ؟

رحيم :أني معريفتش من (دموع)، اني ستي كانت بتتشكر في وكلها جدامي، وجالت الحجيجة من غير ما تكون داريه بأيوتها حاجه .

الأم وهي تمثل البكاء: اني عارفه اني هطلع اني شينه وسطيكم، خلاص يا ولدي اني محجوجه لمرتك.

رحيم وهو يمسك يدها، ويقبّلها بحب: يا أمه اني رايد انتي ودموع تكونوا زين ويه بعضيكم، مش أكده يا أمه (دموع) غلبانة ويتيمة، عشاني اني يا أمه بلاش تجسي أكده، وغيري طريجتك في الحديت هبابه، دي مش ايوتها حد يا امه، ديت مرت ولدك، كبيرك، رجلك كبير هوارة، مش ديه كلامك ؟

الأم: حاضر يا ولدي .

رحيم بفرحة، وهو يقبل يدها ثانية: متشكر جوي يا امه، متتصوريش اني فرحان جد ايه دلوك .

الأم: متجلجش يا ولدي، اني هعمل كيف ما انته رايد .

ولكن هذا مجرد كلام؛ فبداخلها بركان يغلي من انتصار (دموع) عليها، بل والأكثر أنه يعاتبها، ويترجاها من أجل تلك الفتاة، مؤكد أنها قامت بسحره، كما فعلت والدتها سابقاً .

****

في القاهرة وبعد مرور يومين، هاهم رجال هوارة حسن الهواري ورحيم ووالد دموع، وغيرهم من كِبار هوارة، يجلسون بصالون بيت (ليالي) من أجل طلب يدها، كانت ليالي تجلس بغرفتها حين دخل والدها عليها، وقفت ليالي حين رؤيته بتوترٍ، خافت؛ هل أخطأ (حسن) وأخبره عن الصور، فوجه والدها غير مفهوم ..

ليالي: مالك يا بابا ؟

الأب بجدية: اقعدي يا ليالي .

جلست ليالي وهو إلى جانبها، وقال الأب: حسن عاوز يعمل خطوبة، وكتب كتاب الخميس الجاي، وقالي إنك موافقة، هل ده صحيح ؟

نظرت له ليالي بتوترٍ، وأشارت برأسها بالموافقة

الأب: واثقة من كده ؟

ليالي: ايوه .

الأب بجدية: انا اتكلمت معاكي كتير، بس دي حياتك، وده جواز مقدرش أجبرك على حاجه، ومدام مصممة خلاص .

ليالي: شكرا يا بابا .

الأب وهو يقبل جبينها: ألف مبروك يا بنتي، ربنا يسعدك دايما يارب .

****

صوت إطلاق نار بالخارج يملأ السماء، وكأنه يوم عرس، ماذا حدث؟ نزلت (دموع) سريعاً على صوت الرصاص، وجدت والدة رحيم أمامها

دموع بتوتر: مرت عمي حصول ايه ؟

الأم: مخبراش حاجه واصل .

واقتربت من أحد الشبابيك تنظر إلى الخارج، لعلها تعلم ماذا يحدث، ولكن فجأة فتحت فمها من الصدمة مما رأت

الأم بصدمة: مش معجول يكون هوه ..

****

الفصل السابع عشر

دموع وهي تقترب منها وتسأل بتوتر: مين يا مرت عمي ؟

الأم وهي تنظر لدموع بشرود: عمك محمد ريجع تاني من الغربه بعد العمر ديه كلاته ليه !

دموع بتذكر: اني فاكره كويس جوي انه سافر بعد جتل امي الله يرحمها .

الأم بتوتر: اني خايفه يكون راجع فاكر انه هيبجي كبير هوراة .

دموع: كيف يا مرت عم؟ رحيم كبير هوارة، وورثها أبا عن جد، وكماني هما صحيح عمي محمد وعمي ابو رحيم أخوات بعد ما ابو عمي محمد مات، جدتي اتجوزت اخوه، وخلفت منه بنات، لكن هو كان عنديه ولد من مرته التانية، ورث من بعده زعامة هوراة، وولده ورثها لرحيم جوزي، يعني عمي محمد ملوش أيوتها حاجه عندينا، ومش معجول يوريثها لولد أخوة مش ولده .

الأم بتوتر: انتي مخبراش حاجه، محمد ديه حنش .

دموع بخوف من طريقتها: ربنا يستر.

****

تم استقبال (محمد) بالترحاب الشديد؛ من سنوات طويلة لم يأتِ، وسافر إلى الخارج بحجة العمل..

رحيم وهو يدخل له المنزل: منور دارك يا عمى .

محمد بكل لؤم الدنيا: طبعا يا رحيم ده بيتي .

رحيم: واه مستغرب لغوتك جوي يا عمي .

محمد: بحكم العيشه والاختلاط، بس منستش الصعيدى واصل .

رحيم بضحك: ايوه أكده، حسسني انك صعيدي صوح .

محمد: أمي فينها ؟

رحيم: اتفضل يا عمي .

وأخذه إلى مكان الجدة، وهي الأم الذي تزوجت الأخين، ولذلك بعد أن تزوجت عمه اعتقد أنه سيكون الكبير، فإن والدته ستؤثر على عمه، وستؤثر عليه أن يعطيه الزعامة بعده، ولكن لم يوافق نهائياً، وأعطاها إلى ابنه، ولكن لم يكن ظلما، يقسم هذا الرجل أنه لو كان أهلاً لها لأعطاها له، ولكنه كان يسير بالموالد والأفراح خلف الراقصات، يذهب إلى القاهرة كثيراً إلى النوادي الليلية، كيف بالله عليكم يعطي زعامة، وحقوق ناس بيد شخص مثل هذا، حاول معه الكثير، حاول إصلاحه بكل الطرق، ولكن لم تأتِ بفائدة .

محمد الآن في حوالي الخمسين من العمر، يشبه إلى حد كبير الفنان محمود عبد العزيز.

صعد (رحيم) إلى الأعلى حيث غرفة جدته، ودخل بعد أن طرق الباب، وسمحوا له بالدخول ..

كانت (دموع) ووالدة رحيم معها يخبراها بوصول ولدها، لا يعتبر (رحيم) أنها ليست جدته، لا فهي والده لأبيه، والده نفسه يقول لها أمي، فهي أم للجميع، لم تفرق بين أحد منهم يوماً ..

دخل (رحيم) وبعده (محمد) الذي ارتمى سريعاً في حضن والدته الباكية فرحاً لرجوعه.. وأخيرا ابتعد عنها.

رحيم بمداعبة: بكفياكي يا ستي مهبرش منيكي .

الجدة بحب: اتوحشته يا ولدي .

محمد: اني كماني اتوحشتك جوي .

وبعدها نظر إلى والدة رحيم: كيفك يا أم رحيم ؟

والدة رحيم: زينه يا واد عمي، حمدلله على سلامتك، نورت دارك .

محمد: تسلمي .

بعدها نظر إلى (دموع) بتساؤل ..

الجدة وهي تقول بابتسامة: مخبرش مين ديت واه، مبتفكركش بحد ؟

محمد دون شعور: وفاء .

الجدة: اسمله عليك .

رحيم وهو يقترب منها، ويضع يده على كتفها: (دموع) مرتي بت عمتي دموع

محمد باقتضاب: أهلا وسهلا .

الجدة: دلوك تلاجيك تعبان وجعان يا حبة جلبي .

محمد: فعلا جعان، بس جعان نوم .

الأم يتعجب: بجيت تتحدت كيف البندر .

محمد: هههههه معلش، لسه مخدتش على الجو .

الأم: متنساش أصلك يا ولد بطني .

ونظرت الجدة إلى والدة رحيم، وأخبرتها بتحضير غرفة له والغذاء، بينما انسحب رحيم ودموع بسرعة من الغرفة دون أن يشعروا بهما ..

دموع وهي تسحب يدها منه: رحيم مالك سحبني أكده ليه ؟

رحيم بصوت خافت: هشش بكفياكي تعالي نتحدت جوه .

ودخلا إلى غرفتهما، وأغلقا الباب

دموع: في ايه ؟

رحيم وهو يقترب منها، ويضمها إليه: بحبك ... اتوحشتك .

دموع بخجل: واه رحيم، اعجل يا كبير هوارة .

رحيم وهو يحملها بين يديه إلى عالمه الخاص: معاكي مفيش عجل لكبير هوراة، جلب وبس .

****

على الجانب الآخر، كانت (ليالي) بانتظار وصول (حسن)؛ للذهاب لشراء الشبكة، لم يذهب معها سوى (ليلي)، كانت ترتعش من حدوث أى رد فعلٍ من (حسن) تجاه (ليلي)، أخيرا وجدت هاتفها يرن:

ليالي: ألو.

حسن: السلام عليكم .

ليالي بخجل: وعليكم السلام .

حسن: اني تيحت البيت مستنيكم .

ليالي بسرعة: نازلين حالا سلام .

وأغلق الخط، نزلت كل من ليالي وليلي التي حين رآها (حسن) استغفر ربه.

ليالي وهي تجلس إلى جانبه: صباح الخير.

ليلي وهي تجلس بالخلف: السلام عليكم.

رد على كل منهم، ولكن (ليالي) بطريقة لطيفة، وليلي بكل قرف

جعلها تشعر بالحزن من طريقته، لماذا هل أغلقت باب السيارة بقوة أم فعلت شيئاً، لا تعلم أو من الممكن أنه كان يريد أن يذهبا وحدهما، لا تعلم، ولكن آخر مرة تخرج معهما، أخرجت هاتفها، وظلت تعبث فيه، حتى تنسي ما حدث ..

حسن بجدية لليالي: عاوزك تجيبي كل اللي نيفسك فيه فاهمه، ومهمكيش المال .

ليالي: حاضر، هو انت هتبات في القاهرة .

حسن: ايوه همشي الصوبحيه ليه ؟

ليالي: لا عادي بسأل .

حسن: عندينا اهنيه عماره ملكي اني ورحيم، ولينه كل واحد شجه خاصه بيه، لمن ندلوا مصر بنجعدوا فيها .

ليالي: كويس .

وأخيرا وصلوا عند الصايغ، كانت ليالي وليلي تقومان بتنقية كل شيء، ودائما ما تختار ليالي ما يعجب ليلي، مما جعل هذا يثير حنق (حسن) ..

حسن: ليالي .

نظرت له ليالي بابتسامة: نعم .

حسن.... عاوزك بره هبابه .

خرج حسن وهي خارج المحل، وكان ظهرهما إلي المحل

حسن بحدة: انتي جايه اهنيه تنجي شبكتك مش شبكة خيتك .

ليالي: في ايه يا حسن ؟ انا بحب ذوق اختي جدا، وبعدين انا وهي واحد فى كل حاجة.

حسن: لاه مش واحد، والا مكنتش اتجوزتك .

ليالي بتعجب: وده ليه يعني؟ انا وليلي توءم زي بعض .

حسن بغضب: متجوليش كيف بعض، وله شكلك نسيتي اختك واللي عيملته، وصورها وفضايحها اللي لمتها، وعديت الدور .

أوقف رد (ليالي) عليه صوت (ليلى)، وهي تقول: ليالي .

انتفضت (ليالي)، ونظرت إلى أختها، وهي مرعوبة أن تكون قد سمعتهما: نعم يا ليلي.

ليلي: يله عشان انتى عارفة عندي مذاكره وكده .

ليالي بتنهيدة: حاضر وراكي على طول .

حين دخلت ليلي، التفت له ليالي، وهى تقول: آخر مرة تفتح الموضوع ده، وتتكلم عن اختي كده، ولو حصل تانى أنا مش هتجوز يا حسن ماشى، واحنا كان بينا اتفاق انك متفتحش الموضوع ده، وتنساه وانك تعامل اختي عادي، وانت اللي رجعت في كلامك .

حسن بعصبية: مجدرتش الدم ضرب في نفوخي .

ليالي برجاء: أرجوك يا حسن .. ليلي لأ .. لو ليا غلاوة عندك .. ليلي لأ .

حسن: حاضر يا ليالي .

****

في المساء بمنزل ليلي وليالي، وبعد تنقية الشبكة وذهاب (حسن)، وفرحة الأم والأب وفرحتهم، وحديثهم الطويل، هاهما الآن ليالي وليلي وحدهما بغرفتهما أخيرا

ليلي وهي تقف أمام ليالي التي تجلس على تختها: صور ايه يا (ليالي) وفضايح ايه اللي انا عملتها، وحسن ليه بيعمل كده، ومتكدبيش انا عاوزة اعرف الحقيقة، والا والله العظيم هنسي انك اختي، وهتبري منك .

****

الفصل الثامن عشر

ليالي بتوتر: انا مش فاهمه قصدك .

ليلي بحدة وعصبية، ولكن بصوت منخفض؛ خوفا أن يسمعهم والدهم أو والدتهم: انتي هتستهبلي يا ليالي، انا سمعت كلام حسن كويس، واضح أوى إن في حاجة مهمة عني، وانتي تعرفيها، ودي سبب كلام حسن، بس انا عمري ما عملت حاجة، والحمد لله كل الناس تحلف بأخلاقي، حتى عمري ما صاحبت حد، يبقي غلط ايه اللي انا عملته ؟ انا لازم افهم وإلا هسأل حسن نفسه .

ليالي وهي تنفجر بالبكاء: خلاص هقولك كل حاجه، بس أرجوكي ليا طلب منك قبل ما أحكي.

ليلي: اتفضلي .

ليالي: اللي هقوله هيفضل بينا، وكمان بلاش بابا يعرف، وحاجة كمان أتمني تسامحيني بعد ما تعرفي.

ليلي بتنهيدة: اتكلمي يا ليالي .

أخذت ليالي نفساً عميقاً، ونظرت إلى يديها، وهي تحكي لها كذبها على حسن، وقولها أن صاحبة الصور ليلي، وأنها من كانت على علاقة بوائل لم تكن سوى ليلي شقيقتها التوءم، وكان الزواج مقابل تخليص شقيقتها .

ليلي وهي تجلس على التخت بصدمة: انتي ازاي كده جالك قلب تعملي كده ؟ تخدعي بابا وماما وثقتهم فيكي وتبعتيله صور، وتخبي عني، وتطلبي مساعدة الغريب، لا وكمان تطعني أختك نصك التاني توأمك في ضهرها، وتخلي سمعتها في الأرض، كل ده بس علشان نفسك .

ليالي ببكاء: أنا كنت خايفه يا ليلي، افهميني أرجوكي .

ليلي وهي تنفجر في البكاء: افهم إن انا في نظر حسن دلوقتي بنت منحلة، افهم إن أختي هي اللي وسخت سمعتي، أفهم إن دلوقتي بس اكتشفت إن عايشه معاكي طول عمري وأول مرة اكتشف حقيقتك، أنا مش عارفة انتي جبتي الأنانيه دى منين؟ للدرجة دي بتحبي نفسك ؟

ليالي ببكاء وهستيريا: كنت عاوزه أخلص من الحيوان اللي كان بيهددني .

ليلي بحدة: كان في مليون طريقة بدل الطريقة دي، تفتكري لما حسن يعرف هيكون رد فعله ايه، ازاي هتبني جوازكم بالكذب؟ ازاي ؟

ليالي ببكاء: يا ليلي حرام عليكي، متزوديهاش عليا، كفايه اللي أنا فيه أرجوكي يا ليلي، وبلاش ارجوكي حد يعرف، وخصوصا حسن، وارجوكي تسامحيني، كان غصب عني والله، كنت خايفه، ومش عارفة افكر.

ليلي بحزن، وهي تتجه إلى باب الغرفة؛ لتخرج منها، فقد كانت تشعر بالاختناق بشدة: برده مش همك غير نفسك . وخرجت، وأغلقت الباب .

خرجت ليلي من غرفتهما، ومنها إلى غرفة الصالون، وأغلقت عليها لتكمل بكاءها، وحسرتها، وصدمتها مما حدث، كانت تتمنى أن ما حدث يكون كابوساً، وسوف تستيقظ منه، ولكن مع الأسف هو حقيقة، ولن تهرب منها، لا تستطيع التفكير، تبكي فقط على ما فعلته أقرب الناس معها، بكت خيانة أختها لها، بكت من أنانيتها المفرطة، وبكت وبكت حتى غطت في النوم من شدة البكاء على كنبه الصالون .

****

بينما على الجانب الآخر، كانت دموع ورحيم مدعوين على العشاء بمنزل زين الهواري، دخلت (دموع) إلى منزلهم مسرعة، وهي تشعر بالفرح والشوق إليه والي أبيها، ومكان ورائحة والدتها، وكل مكان جمعها بها في هذا المنزل، افتقدت ملابس والدتها التي كانت تشمها وترتها يوميا ..

زين وهو يضمها إلى صدره: اتوحشتك جوي يا دموع

دموع وهي تضمه إليها بقوة: اني كماني اتوحشتك جوي يا ابوي، وفرحانه جوي اني رأيتك .

الأب وهو يرحب برحيم، ويسلم عليه: أهلا يا ولدي كيفك .

رحيم وهو يسلم على عمه: زين يا عمي طول ما حسك في الدينيه .

رحب الأب بهم كثيرا، والخدم رحبوا بدموع بقوة، وبعدها هاهم يجلسون سوياً لتناول الطعام .

دموع وهي تتناول الطعام: تيعرف يا ابوي مين ايجه انهارديه ؟

زين: لاه مين يا بتي خير ؟

رحيم بسرعة: متشغلش بالك، ديه عمي محمد .

توقف (زين) عن تناول الطعام؛ بسبب السعال القوي الذي أصابه، قامت (دموع) مسرعةً، وخبطت على ظهره عدة مراتٍ، وأعطاه رحيم كوباً من الماء، وأخيراً هدأ، واستطاع الكلام ..

دموع بخوف: ابوي انته زين .

الأب بصوت متحشرج من أثر السعال: الحمد لله متخافيش يا بتي .

رحيم: الحمد لله عدت على خير.

أكملوا تناول الطعام، وهاهو زين ورحيم يتناولان الشاي وحدهما، بينما صعدت (دموع) إلى الأعلى؛ لترى غرفة والدتها، وغرفتها فقد اشتاقت لكل شيء.

زين بتساؤل: متعريفش رجع ليه يا (رحيم) دلوك بعد السنين دي كلاتها ؟

رحيم بجدية: مخبرش يا عمي، بس مش خابر ليه ممرتحش له واصل .

زين بداخله: وهو في حد هيرتاح طول ما الخاين ديه موجود ؟

رحيم: يتجول حاجه يا عمي ؟

زين: متحرمش يا ولدي، بجولك كيف أحوالك ؟

وأصبح الحديثُ عادياً بينهما ولكن (زين) كان يرسم الهدوء والسعادة، بينما بداخله بركان يغلي غضباً .

****

على الجانب الآخر بمنزل هاشم الهواري، كان يجلس هاشم الهواري بمندرة منزله، وهو مكان يستقبل به الضيوف، ومفتوح طول الوقت لأي شخص مهما كان .. دخل الغفير الخاص به ..

الغفير: يا سعاديت البيه، في واحد بره رايد يجابلك .

هاشم: دخله لمن نشوف مين ديه .

دخل الضيف والذي حين رآه هاشم انصدم بقوة: محمد الهواري

محمد وهو يقترب منه، ويتبادلان السلام؛ فهما أصدقاء منذ الصغر: وحشتني أوي يا هاشم .

هاشم وهي يخبط علي كتفه وبضحك: عجزت يا هواري .

محمد وهو يبتعد عنه، ويجلس: الغربه وحشه، وغيرتني كتير، كلامي، معاملتي، كل حاجه بس ده ميقولش إن أنا نسيت الصعيد، لا .. الصعيد في بالي ودايماً فاكركم .

هاشم بدون مجاملة سأله مباشرة؛ فهو وحده من يعرف محمد الهواري معرفة صحيحة، ويعلم علم اليقين أن لرجوعه الآن هدفاً ما

هاشم: ريجعت ليه يا محمد .

محمد بتعجب: مش فاهم قصدك .

هاشم بجدية: اني وانته فاهمين بعض زين جوي، وعاوز اعريف انته ايه اللى رجعك بعد اللي عيملته، ولا ناسي اني وعيت ليك .

محمد بتوتر: راجع أعيش وسط أهلي، أدفي بهم، وأمي وحشتني، فيها حاجة دي؟ وبعدين أنا نسيت اللي حصل .

هاشم بحدة: نسيت اللي حصول بسهولة أكده؟ نسيت إنك جتلت وفاء الهواري؟!

****

الفصل التاسع عشر

هاشم بضيق: نسيت اللي حصول بسهولة أكده؟ نسيت انك جتلت وفاء الهواري؟

محمد بعصبية من كلام هاشم، وتذكيره بما حدث: مكنش قصدي اقتلها، مكنتش هي المقصودة، وانت عارف كده، وعارف أني بتعذب من يومها، وعارف وفاء كانت عندي ايه .

هاشم بتنهيدة: لساتك على عنادك، بس اني ممرتحش لمجيتك دلوك، حاسس أكده إن وراك حاجه.

محمد بجدية: لا متخفش .

هاشم بتمني: ربنا يخيب ظني يا واد عمي، وانته كيف أحوالك ؟

محمد: زي ما روحت زي ما جيت، راجع بشوية فلوس بسيطة .

هاشم بتعجب: ليه أكده ؟ اني كنت سامع انك شغال زين جوي .

محمد بتوتر: انت عارفني بحب أنزه نفسي، وبصراحة كده كنت مرافق واحدة خلصت على كل فلوسي .

هاشم بضيق: ديه آخره الحرام يا واد عمي .

محمد: المهم سيبك من كل ده، أنا عاوز منك خدمه .

هاشم: خير يا رب .

محمد: هقولك .

****

بينما على الجانب الآخر، هاهي دموع ورحيم يجلسان على تختهم سوياً، ودموع

تنام على صدره، وهو يضمها بكل حب ..

دموع: رحيم .

رحيم: ايوه .

دموع بتوتر: اني رايده منك حاجه اكده .

رحيم وهو يعبث بشعرها: جولي .

دموع وهي ترفع وجهها وتنظر له بكل حب: بصراحه أكده اني رايده اروح عيند ليالي صحبيتي جبل كتب الكتاب بيوم، اجعد وياها، كيف ما عيملت وياي .

رحيم بسرعة: لاه تبعدي عني .. لاه

دموع برقة: ديه ليله واحده .

رحيم بضيق: ولا دجيجه .

دموع بحزن: بس أكده ليالي هتزعل، وهي جت وجعدت وياي جبل فرحي، وساعدتني كتير، كيف مجفش وياها ؟

رحيم بحدة: مخبرش بس كل اللي اعريفه أن مفيش بيات بعيد عني واصل مهما حصول، وديه حديت تحطيه حلجه في ودنك .

دموع وهي تقول بحزن: حاضر يا رحيم .

همت دموع بالابتعاد عنه، ولكنه حال دون ذلك، وضمها إليه ثانية

رحيم بحب: مجدرش ازعيلك مني واصل، عشان أكده هنروحوا جبليها بيوم، ونباتوا بشجتي اللي هناك.

دموع بفرحة: حجيجي .

رحيم وهو يقبل خدها: طبعا حجيجي؛ ديت كلمة من كبير هوارة، وكلمته عهد .

دموع بحب: واني بعشج كبير هوارة .

قالتها دون وعي، دون شعور منها، قالتها بكل حب وصدق، قالتها من داخلها بكل إحساس لديها، قالت ما تشعر به تجاهه منذ أول يوم زواج، توقف الكلام بينهما، بينما دفنت (دموع) وجهها بصدره، وهي تحمر خجلا، ولكن (رحيم) رفع وجهها إليه، ونظر لها بكل لهفة وحبٍّ ..

رحيم بتساؤل: صوح اللي سميعته ديه يا دموع انتي بتعشجيني اني ؟

دموع بخجل: رحيم بكفياك عاد .

وحاولت الهرب منه، ولكنه لم يتركها، وكرر سؤاله عليها، كادت (دموع) تبكي من شدة خجلها، رغم أنه زوجها أقرب الناس إليها، ولكن مازالت تخجل منه بقوة، أشارت له (دموع) بالموافقة برأسها؛ حتي يتركها، ولكن (رحيم) لم يتركها، وإنما قبَّلها بقوة، وضمها إلى صدره، وهو يشعر بسعادة غامرة، فقد قالت أنها تعشقه، وهذا ما كان يتمناه، والآن تحقق حلمه، أصبحت له قلبا وقالبا .

****

بينما على الجانب الآخر بمنزل حسن الهوارى، كانوا يجلسون بصالة منزلهم يتحدثون عن كتب الكتاب

الأم: عاوزين ناخدوا وبانه زيارة زينه .

الجدة: صوح يا مرت ولدي، خدي وياكي اللي يليج بمجامنه .

جميله بفرحة: نفسي أشوف العروسة جوي جوي، وأشوف مين ديت اللي وجعت حسن الهوارى .

الأم بسخرية: شوفوا احنه في ايه، وهيه في ايه !

جميله بضحك: في ايه يا أمه ؟ هو ولدك كل يوم هيتجوز، وبعدين (حسن) ديه

الغالي، ولازمن ياخد الغالي .

في تلك اللحظة دخل (حسن)، وهو يلقي السلام، ورد عليه الجميع، بينما هو دخل، وقبل يد جدته، ورأس أمه، وجلس إلى جانب جميلة، وحين جلس أمسك بيدها، وقبلها بحب

حسن: مفيش أغلى منيكي عيندي .

جميلة بدموع: يخليك ليه .

****

بينما علي الجانب الآخر في القاهرة، كانت العلاقة فاترة بين ليالي وليلي، لا تتحدثان سويا إلا في وجود أحدٍ من والديهما؛ لا يشعروا بشيء، بينما فيما بينهما ترفض (ليلي) أي حديث مع (ليالي)، وكل منهما في عالم، واحدة تشعر بالخوف من ظهور الحقيقة والفضيحة، وخوفها الأكبر من (حسن) ورد فعله، وخوفها الأكبر كونه صعيدي، والرجل الصعيدي أهم شيء لديه هو الشرف، من الممكن أن يقتلها إن علم، بينما (ليلي) تفكر ماذا تفعل مع شقيقتها؟ هل تقول الحقيقة ؟ ولتتحمل (ليالي) نتيجة فعلتها، أم تصمت حتى لا تدمر كل شيء ..

وأخيرا اتخذت (ليلي) قرارها، قرار لا عودة فيه، وقررت أن تخبر (ليالي) به ..

دخلت ليلي إلى الغرفة، وأغلقت الباب، ونظرت إلى ليالي، التي كانت تنظر إليها، وهي متلهفة لسماع أي شيء منها ..

ليلي بجدية: أنا اتخذت قراري .

ليالي بتوتر: إيه هو ؟

****

الفصل العشرين

ليلي بتنهيدة حزينة: أنا معرفش انتي ازاي تعملي كده، بس اللي حصل حصل، أنا جوايا حاجة اتكسرت، كسرتيني من جوه يا ليالي، حاسة كأنك جبتي سكينة وغرزتها جوه قلبي، حاسه إني عاوزه أصرخ ومش قادرة، عارفه يعني إيه توءمك اللي كنتم نفس النبض، والنفس، وكل حاجة عيشنها سوا لحظة بلحظة، فجأة انتي نسيتي كل ده، ومفكرتيش غير في نفسك، تفتكري أنا لو كنت مكانك كنت أعمل كده ؟ مستحيل لأني مقدرش أأذى نفسي، لأن أنا وانتى روح واحدة، انتي اذيتي نفسك زي ما اذتيني بالظبط يا ليالي .

كانت دموعهما تنهمر سويا، ليلي وهي تقول ما بداخلها، وليالي من قسوة الكلام، وتأثيره عليها ..

ليلي: أنا مش هتكلم يا ليالي، بس ليا شرط عشان أسكت خالص، وبابا ميعرفش وأنسى الموضوع ده .

ليالي بسرعة: ايه هو شرطك، ووعد هنفذه ؟

ليلي بجدية: شرطي صعب متتسرعيش في الموافقة، اسمعي الأول شرطي، وبعد كدة قرري، إذا كنتي هتنفذي أو لا .

ليالي: حاضر يا ليلي .

ليلي بجدية وهي تأخذ نفساً عميقاً: إنك تقولي لحسن الحقيقة قبل الجواز.

ليالي بفزع وخوف: مستحيل كله إلا حسن، ده ممكن يقتلني .

ليلي بجدية: البلد مش سايبه، وأنا هكون في ضهرك، وده شرطي يا ليالي، ولازم توافقي عليه، مينفعش تبني حياتك معاه من الاول على الكدب ده كله، هتعملي إيه لو (حسن) اكتشفها بعد الجواز ؟ ساعتها فعلا هيقتلك بجد، لأنك هتكوني هناك معاه لوحدك، تحت أمره، وهتكوني مراته، محدش هيقدر يقوله بتعمل إيه، إنما دلوقتي احنا لسه على البر، صارحيه بكل حاجة يا ليالي؛ عشان حياتك تتبنى صح.

ليالي بتوتر: أنا خايفه .

ليلي: الخوف عدو الإنسان، وطول ما انتي خايفة طول ما كدبتك هتكبر وهتكبر لحد ما تخنقك يا ليالي، أنا شرطي قلته، وأنا مش بجبرك توافقي، لا انتي حرة، فكري وقرري وأنا معاكي على أي وضع.

ليالي بشرودٍ: طيب.

****

نزلت دموع برفقة رحيم صباحا؛حتى تفطر برفقته، وتعد طعام الإفطار لهم.

أعدت (دموع) كل شيء، وأخذته إليه على إحدى الصواني الكبيرة، ولكنه لم يكن وحده، كان يجلس برفقة والدته، وضعت (دموع) الإفطار، وهي تلقي تحية الصباح على والدته التي ردت عليها بفتور.

جلسوا يتناولون الإفطار، بينما كانت (دموع) لا تستطيع أن تبتلع لقمة واحدة من نظرات تلك العجوز الشمطاء إليها، كانت تنظر لها بقرف من حين لآخر، وتبتسم بوجه ولدها فقط.

رحيم وهو ينظر لدموع التي لا تأكل: مبتاكليش ليه يا دموع ؟

دموع وهي تمسك بقطعة خبز، وتضعها بطبق الفول: باكل اهوه .

الأم بسخرية: كل انته يا ولدي، انته راجل، وعاوز غذيه، هيه مهتسهاش عن نفسيه واصل .

دموع كادت تختنق من حديثها، وشعرت بالدموع تحرق عيونها من شدة الخجل من حديثها، ولكن (رحيم) ردَّ بكلِّ حبٍّ: تاكل كيف ماهيه رايده، اني افرح جوي أكده لمن تاكل وتتغذي .

وأمسك بيد دموع وقبلها، وأكمل بفخر: وبعدين ديت مش ايوتها واحدة، ديت (دموع الهواري) مرت كبير هوارة .

الأم بغيظ وهي تقف بغضب: الأم خليك انته أكده جلعها، لحد لمن تتمرع عليك أول واحد .

وتركتهم وذهبت، وهي تدعي على (دموع) بسرها

رحيم لدموع التي نزلت دمعة شاردة على وجهها، مسحها (رحيم) بطرف يده، وهو يقول: حجك عليا اعتبريها أمك .

دموع بابتسامة، وهي تنظر له: مزعلناش بكفياك انته علي .

رحيم بضحك: ايوه أكده، اضحكي خلي الشمس تطلع .

فابتسمت له (دموع) بقوة، حينها وقف، واقترب منها، واحتضنها بقوة، وقبَّل رأسها، وودعها بكلِّ حبٍّ، بينما وقفت هي تنظر له، وتريد أن تمنعه من الذهاب؛ فما أطول تلك الساعات التي تمضيها وحدها من دونه

****

على الجانب الآخر بمنزل هاشم الهواري ..

همام وهو يجلس إلى جانب والده، بعد أن ألقى السلام بكل احترام، وقبل يد والده: هتيجي ويانه كتب كتاب واد عمي حسن ولا لاه يا ابوي ؟

هاشم بتفكير: مخبرش .

همام بتنهيدة: يعني هتيجي ولا لاه ؟ عريفني عشان أعمل حسابي، ويبجالك مكان .

هاشم: ليه انته مهتروحش بعربيتك ؟

همام بجدية: امال هروح بإيه يا ابوي بس ؟ أكيد هيركب حد معاي، عشان أكده بسألك؛ عشان احجيزلك مطرح .

هاشم بسرعة: خلاص اني جاي وياك .

همام: على بركه الله .

****

على الجانب الآخر، كانت ليالي بغرفتها تجلس، منذ أن تركتها ليلي تفكر، وتفكر ماذا تفعل، وأخيراً وصلت إلى الحل، بحثت حولها عن هاتفها حتى وجدته، وقامت بالاتصال برقم حسن، الذي رد بعد ثالث جرس تقريبا

حسن: السلام عليكم .

ليالي: وعليكم السلام .

حسن: كيفك يا ليالي .

ليالي: الحمد لله كويسه انت عامل ايه .

حسن: زين .

ليالي بتوتر: حسن .

حسن بجديه: نعم .

ليالي: أنا عاوزك تيجي القاهرة بكره ضروري عاوزك في موضوع مهم جدا .

حسن: بقلق في حاجه .

ليالي: بسرعة لما تيجي هقولك .

حسن: رغم اني مفهمش حاجه بس حاضر بكره هكون عيندك .

ليالي: في انتظارك مع السلامة .

حسن: الله يسلمك .

أغلقت ليالي الخط وهي تقول: استر يارب، وعدي بكره على خير.

****

الفصل الحادي والعشرين

في صباح اليوم التالي، في منزل حسن الهواري، نزل (حسن) إلى الأسفل، بعد أن قام بارتداء ملابس كاجول، وكان جميلاً للغاية، حين دخل على والدته وجدته

قالت الأم بحب: بسم الله تبارك الله ربنا يحفظك يا ولدي .

ابتسم حسن وقبل رأس أمه، ويد جدته ..

الجدة بحب وهي تمسح علي رأسه بيدها: تسلم يا جلبي .

حسن وهو ينظر لها باحترام وحب: انتي اللي جلبي يا ستي، وجاعده جوه، وومستيربعه كماني .

الجدة بضحك: حديتك حلو جوي يا حسن .

حسن وهو يهمس لها: ديه عشانك بس مفيش غيرك .

انفجرت الأم والجدة بالضحك؛ لمزاح حسن إلى جدته.

الأم بتساؤل: انته مسافر مصر يا ولدى ؟

اعتدل حسن وهو يرد عليها: أيوه يا امه، وان شاء الله هرجع انهارديه .

الجدة بتمني: ترجع بالسلامة يا ولدي .

ودع حسن أهله، وسأل عن جميلة، وأخبرته والدته أنها نائمة بالأعلى ، لأنها كانت مستيقظة لوقت متأخر.

أخبرهم (حسن) أن يخبروها سلامه، وأن تحدثه حين تستيقظ من النوم؛ ليصبح عليها .

وهاهو الآن بطريقه إلى القاهرة؛ من أجل لقاء (ليالي)، لم ينم (حسن) للحظة واحدة طوال الليل؛ يفكر فيما ستطلب (ليالي) منه، أو فيما ستقوله له، لا يعلم هل سترفض الآن الزواج منه بعد أن قام بتخليص شقيقتها من ذلك الخسيس .. لا يعلم، ولكن عليه أن ينتظر حتى يصل إلى القاهرة .

****

بينما على الجانب الآخر، خرجت ليالي من غرفتها، وجدت الجميع يتناولون الإفطار..

ليالي: صباح الخير.

رد الجميع عليها حتى ليلي؛ حتى لا تثير شك والديهم

ليالي بعد أن جلست علي الطاولة: بابا حسن جاي انهارده .

الأب بابتسامة: يشرف يا بنتي، بس خير في حاجه .

ليالي: لا جاي عادي، وجاي يعرفني شوية حاجات من عاداتهم؛ عشان يوم الخطوبة، وكمان عشان نتكلم مع بعض شوية، انت عارف احنا مقعدناش سوا قبل كده نتكلم، ونتعرف اكتر، وعارف كمان اختلاف هنا وهناك، وبصراحة انا طلبت منه يجي، ويقولي اتصرف ازاي، والتعامل معاهم ازاي وكده .

الأم: طيب أقوم أنا عشان الحق أعمل أكل، قبل ما الراجل يوصل، أكيد لازم يتغدي معانا .

الأب: طبعا واجب، اعملي أحسن حاجة عندك، ده مش اي حد.

ونظر الي ليالي وابتسم ثم قال: ده عريس ليالي .

نظرت ليلي إلى ليالي، وهي تفكر هل ما تسمعه حقيقي، ليالي طلبت من حسن الحضور، معني ذلك أن ليالي قررت أن تعترف لحسن بكل شيء، لا تعلم ليلي لماذا شعرت بالخوف، حين فكرت برد فعل حسن، ولكن ماذا سيفعل ؟ وهو هنا بينهم ووالدتها ووالدها معهم والجيران وغيرهم، ويمكنهم الاتصال بالشرطة في حالة تصرفه أي تصرف مجنون، ما تعلمه علم اليقين أن الساعات القادمة لا تبشر بالخير نهائياً، وممكن حدوث أي شيء لا تتوقعه .

****

بينما على الجانب الآخر بمنزل رحيم الهواري، كانت (دموع) تجلس بغرفتها، بعد أن أعدت طعام الغذاء، وكانت بانتظار عودة (رحيم)، كانت تقرأ في إحدى المجلات، حين وجدت الباب يفتح بقوة، جعلتها تنتفض فزعا، نظرت بخوف إلى الباب؛ لترى من فعلها، لم تكن غيرها، والدة رحيم التي دخلت، وأغلقت الباب خلفها .

دموع وهي تقف مسرعةً، وتقترب إليها بترحيب متوترٍ: أهلا يا مرت عمى

الأم بغل وحقد: لو فاكريه يا بت وفاء إنك هتاخدي ولدي ميني، تبجي غلطانة جوي .

دموع بتعجب ودهشة: فيه ايه يا مرت عمي؟ وليه حديتك ديه ؟

الأم بكره: أيوه يا بت مثلي علي، واعميلي جطه مغميضه، بس مش علي اني، اني فهماكي زين جوي.

دموع ودموعها تنهمر علي وجهها: كتر خيرك يا مرت عم .

الأم بحدة: ربنا يريح مرت عمك منيكي يا شيخه وياخدك .

وتركتها وخرجت، وهي تدعي عليها، بينما انفجرت (دموع) في بكاء مرير مما حدث معها، ماذا فعلت لتعاملها هكذا ؟ هل تلك المرأة عاقلة تكره راحة ولدها واستقراره ؟ والمصيبة الأكبر أن (دموع) لا تفعل أي شيء يثير حنقها، لا ترد عليها مهما فعلت، ولكنها لا تتركها بحالها نهائياً، وما يحزن (دموع) أكثر أنها تذكر والدتها دائما بكل غلٍّ وحقد، بكت (دموع) وبكت ،وهي لا تعلم متى ينتهي هذا .

****

بينما على الجانب الآخر، وصل (حسن) أخيرا إلى منزل (ليالي)، وتم الترحيب به بشدة، وبعد تناول الطعام .. هاهو وليالي يجلسان وحدهما في الصالون ..

حسن بجدية: في ايه يا ليالي ؟

ليالي بتوتر وهي تقول بعد أن أخذت نفساً عميقاً: ليلي يا حسن .

حسن بضيق: مالها ؟

ليالي: بكذب للمرة الثانية: ليلي عرفت إن أنا اللي خليتك خلصتها من (وائل)، ويوم ما كنا بنشتري الذهب، أجبرتني أحكلها، وقلتلها انى عرفتك، وأنت اللي خلصتها منه، وهي زعلت جداً، وفاكره دلوقتي ان إنت جبرني على الجواز، وخايفه إنك تعايرني بعد كده باللي هي عملته .

حسن بضيق: ديه بدل ما تشكرني .

ليالي: يا حسن أنا مش عاوزه منك غير حاجة واحدة بس .

حسن: خير.

ليالي بتوتر: عاوزاك لو ليلي سألتك إنت عارف الحقيقة، قلها اه، واقولها إنك رغم كده موافق نتجوز.

حسن بجدية : وديت الحجيجة، اني موافج نتجوز، واختيك ديت ملناش صالح بيها .

ليالي بارتياح: متشكرة أوي يا (حسن) انك قدرت تتفهم الموضوع .

في تلك اللحظة دخلت ليلي، وهي تحمل الشاي، وضعت ليلي الشاي، واعتدلت، ونظرت إليهما بتوتر، وجدت الهدوء يسود على الجو بينهما ..

ليلي بجدية: أستاذ حسن انت عرفت الحقيقة ؟

حسن: ايوه .

ليلي: وقرارك ؟

حسن بجدية: هتجوز ليالي مهمن حصول .

ليلي بارتياح، وهي تأخذ نفساً عميقاً: ربنا يوفقكم، وألف مبروك مقدماً .

وتركتهما، وخرجت، بينما كانت ليالي تفكر بداخلها، ماذا تخبئ لها الأيام؟ وإلى متي ستكبر كذبتها؟ وهل ستكشف الحقيقة ؟ لا تعلم ماذا سيحدث، ولكن كل ما تعلمه أن الخوف سيكون رفيق دربها من الآن .

****

الفصل الثاني والعشرين

في غرفة (دموع)، قامت (دموع) بتغيير ملابسها، وغسلت وجهها من أثر البكاء؛ لا تريد أن تعكر صفو حياتها مع (رحيم)، فعليها التحمل قليلا، ولتعتبرها مثل والدتها، ولتتحمل تلك الدقائق التي تغضب عليها بها؛ فكل شيء ببدايته صعب، وتلك المرأة أولا وأخيرا والدته، لن يتحمل عليها شيئاً، فمن أجله فقط ستتحملها دون شكوى، كانت تنتظره، ولكن وجدت من تساعد جدتها تقول لها، أنها تريدها، فذهبت إليها، دخل (رحيم) إلى غرفتهما، وهو مبتسم، ولكنه لم يجد (دموع) بانتظاره، كان سيهم بالخروج؛ للبحث عنها، ولكنه وجدها تفتح الباب، وتدخل عليه، وتغلق الباب خلفها ..

دموع بابتسامة: انته جيت ؟

رحيم بحب: ايوه كتي فين أكده ؟ مش مستنظراني كيف عادتك ليه ؟

دموع وهي تقترب منه بحب، وتمسك بطرف جلبابه: كت عيند ستي اتوحشتني، وبعتت ليه، روحتيلها، وجعدت وياهه حبه .

نظر (رحيم) إلى (دموع) بدقة، كانت تتحدث، ولا تنظر بعيونه، تنظر إلى يديها التي تعبث بملابسه، تتهرب من النظر بعيونه، لذلك قام برفع وجهها إليه؛ لينظر بعيونها، فابتسمت له ابتسامة مصطنعة حزينة، حينما نظر إلى عيونها وجد جفونها متورمة وحمراء، كانت تبكي، ولكن لم البكاء ؟

رحيم بهدوء: فيه ايه يا دموع ؟ كتي بتبكي ليه ؟

دموع بابتسامة حزينة وهي تقول بكذب: نيمت هبابه أكده بعد ما حضرت الوكل، وحليمت بأمي، ولمن فوجت بكيت عشان اتوحشتها جوي جوي .

ونزلت دموعها دون توقف، وكأنها شلالات، كانت تبكي الظلم الذي تتعرض له،

تبكي أن أمها ليست هنا لتدافع عنها ..

رحيم وهو يضمها إليه بقوة، ويرفع يده، ويمسح دموعها: بكفياكي بكه، اني مش مكفيكي بجي .

دموع وهي تنظر له بحب: انته أحسن حاجه حصولت ليه، ربنا عوضيني بيك الحمد لله، بكفايه عليه حنانك يا رحيم، انته هدية من عيند الله .

رحيم بحب: يبجي مفيش زعل بعد أكده عاد .

دموع بابتسامة: حاضر.

رحيم بحب: اتوحشتك جوي .

دموع يخجل وهي تقوم بتغير الموضوع: احضيرلك الوكل .

رحيم بابتسامة ماكرة: لاه مش دلوك .

وضمها إلى صدره بقوة، وبعدها حملها إلى تختهم ليأخذها إلى عالم خاص بهما وحدهما، رحيم هو سندها وأمانها، هو مصدر قوتها، تشعر معه بالراحة، وتشعر بالخوف ببعده، لا تريده أن يفارقها نهائيا، وتخشى مما تخبئه لها الأيام، وتخاف تلك المرأة؛ فكرهها لدموع لا ينذر بالخير.

****

على الجانب الآخر، ودع حسن ليالي، وانطلق في طريق العودة إلى الصعيد بالطائرة كما جاء،

بينما هاهي ليالي تجلس بغرفتها تفكر بما فعلت، هل أخطأت أم لا ؟ لا تعلم ولا تستطيع التفكير، فهي تخاف منه وبشدة، وتخشى رد فعله إن علم، وهي تعرف عادات وتقاليد المجتمع الصعيدي، وأن أهم ما لديهم هو الشرف، وحسن سيظن أنها خدعته،

وحينها سينتقم منها، وربما قام بقتلها ..

أفاقت ليالي من شرودها على صوت ليلي: ليالي عاوزين ننزل نشتري فساتين .

ليالي بشرود: اه طيب .

ليلي وهي تجلس إلى جانبها: ليالي أنا هنسي اللي حصل؛ لأننا أخوات، وكمان عشان منبوظش فرحتك، وانتي عارفة إن أنا عمري ما أزعل منك، وقامت باحتضانها، حينها قامت ليالي بضمها إليها أكثر وبقوة، وبكت بهستيريا وانهيار..

ليالي بشهقات من شدة البكاء: احضنيني أوي يا ليلي أوي .

ليلي بقلق، وهي تمسح علي رأسها بيدها: مالك يا حبيبتي ؟

ليالي ببكاء: تعبانة أوى، حاسه اني تايهه، حاسه إن كل حاجة في حياتي ماشية بالعكس .

ليلي بتساؤل: ليالي انتي بتحبي حسن .

ليالي بجدية: لا .

ليلي بتعجب: طيب وليه هتجوزيه ؟

ليالي بقهر وحزن: وهو الحب كان عملي ايه غير الهدلة وقلة القيمة والفضايح ؟ أنا مش عاوزه أحب تاني، أنا هفكر بعقلي من هنا ورايح مش قلبي، وعشان كده هتجوز حسن؛ لأنه عريس مناسب، وميترفضش، وبصراحة أنا عاوزه أبعد .

ليلي: أتمني يكون تفكيرك صح، وحياتك تكون زي ما انتي عايزه .

ليالي بسخرية: مش هتفرق كتير، حياتي كده كده متشقلبه لوحدها .

ليلي بدهشة: ايه يا بنتي كمية التشاؤم دي ؟ انتي عروسه! انتي واحدة بائسة .

ليالي وهي تغير مجرى الحديث: سيبك كنتي عاوزه ايه ؟

ليلي: كنت بقولك على الفساتين .

كانت ليالي تتابع شقيقتها، وهي تتكلم، ولكنها بعالم آخرَ تفكر هل ستنكشف أم لا؟ هل ستعرف ليلي أنها خدعتها للمرة الثانية؟ وأنها لا تستحق ذلك الغفران، ولا هذا الحب، كم تشعر بالألم بداخلها، ولكن انتهي الأمر، وانطلق السهم، ولتتحمل نتيجة كذبها .

****

في منزل رحيم، كانت والدة رحيم بداخل المطبخ، تقوم بتجهيز العشاء للجدة، حين دخل محمد عليها

محمد بسخرية: ازيك يا أم رحيم .

والدة رحيم بضيق: زينه .

محمد وهو يجلس على كرسي وجده إلى جانبه: مالك بتعامليني زي الكلب الجربان كده ليه ؟ ده احنا حتي دفنينه سوا .

والدة رحيم بحدة: انته تجصد إيه؟

محمد وهو يقف، ويقول بخبث: أقصد إن مش أنا لوحدي كنت ورا قتل (وفاء الهواري)، انتي شريكتي ولا ناسيه يا أم رحيم؟

لم يكن محمد ولا والدة رحيم يعلمان أن هناك من سمعهم وعلم الحقيقة

دموع بحسرة وألم: همه اللي جتلوا أمي مش معجول !

وفجأة .. وجدت الدنيا تظلم حولها، وتدور بها بقوة، فوقعت على الأرض مغشياً عليها .

****

الفصل الثالث والعشرين

كان رحيم يجلس بغرفته، ينتظر عودة (دموع)؛ فقد ذهبت إلى المطبخ لتحضر له القهوة المخصصة له.

ولكن فجأة سمع صوت صراخ خادمة جدته، وهي تنادي باسمه ..

الخادمة: يا رحيم بيه .

كان صوتها يصل إليه، وجعل قلبه ينتفض رعباً على جدته؛ ظن أن جدته حدث معها شيئ؛ لذلك ارتدي جلبابه، وخرج مسرعاً ليرى ما حدث، وجد الخادمة تنادى من الأسفل، انطلق ينزل السلالم بسرعة رهيبة يكاد يطير من شده الخوف، وفجأة وصل إليها، وجد (دموع) ترقد بين يديها، وكأنها جثه هامدة، ووالدته تقف إلى جانبها بوجه شاحب متوتر .. اقترب (رحيم) منها سريعا، وجلس على ركبتيه، وأخذها بحضنه، وهو يخبط على وجهها عده مرات، دون استجابة، كانت شاحبة كالموتي.

لذلك لم ينتظر رحيم أكثر، حملها بين يديه سريعا، وتوجه إلى الخارج، ومنها إلى سيارته، ووضعها بالكرسي الملاصق له، ووقاد سيارته بسرعة جنونية حتى يصل إلى المستوصف الموجود بالبلد.

وبالفعل دقائق وكانت الطبيبة تكشف عليها، رحيم وهو يقف إلى جانبها بخوف وقلق: خير يا دكتورة .. مرتي زينه؟

الطبيبة وهي تخبر الممرضة بتعليق محلول إلى دموع وحقنه لرفع الضغط: متقلقش هي ضغطها انخفض شويه، واضح انها كمان زعلانه، هي هتعلق محلول ملح دلوقتي، وهتبقي تمام، وبعدها نقيس الضغط تاني .

رحيم: هيه هتنهه أكده نايمه ؟

الطبيبة: دلوقتي تفوق .

وبالفعل دقائق قليلة، وفتحت دموع عيونها، وحين فتحتها تنفس رحيم بعمق، فقد كان يتألم من الداخل، يقسم أن ضربات قلبه كانت تؤلمه من خوفه عليها؛ فهو يحبها وحينما وجدها مستلقية على الأرض بتلك الطريقة فاقدة الوعي، شعروكأن الدنيا من حوله تحطمت، شعر بضيق في التنفس، كان فى سيارته كلما نظر لها، كان يتألم، كان يبكي من الداخل لرؤيتها هكذا، نعم يحبها، الآن فقط أدرك أنه يحبها وبقوة، ولا يستطيع أن يعيش لحظة واحدة بدونها؛ فهي نبض القلب، وغذاء الروح ..

رحيم بلهفة: دموع كيفك ؟

دموع وهي تنظر إليه بتركيز قليل؛ فهي لم تستعد وعيها وتركيزها كليا: اني فين ؟

رحيم: احنا في المستوصف .

دموع وهي تضع يدها على رأسها وتئن من الألم: راسي هتطوج من الوجع .

رحيم بحنية: دلوك تبجي زينه .

دموع وهي تتذكر ما حدث، وكلام محمد ووالدة رحيم حينها تجمعت الدموع بعيونها.

رحيم بقلق: دموع مالك ؟

دموع وهي تمسح دموعها: لاه مفيش حاجه ؟

رحيم بجدية: لساتك راسك وجعاكي ؟

دموع: هبابه .

رحيم بحب: دلوك المحلول ديه يريحيك، ونروحوا دارنه، وتبجي زينه جوي .

دموع بابتسامة متوترة وبسيطة لم تصل إلى عيونها؛ فكل ما يشغلها الآن معرفة الحقيقة، وهناك شخص واحد عليها أن تحدثه، وتعلم منه كل شيء، ولكنها لن تخبر رحيم بأي شيء الآن دون دليل؛ فهو لن يتحمل أن تتهم والدته هكذا دون دليل، وربما وقتها تركها من أجل تلك العجوز الشمطاء، فلتنتظر قليلا، ولتكتم ألمها حتى تحصل على دليل إدانتهم لقتلهم والدتها دون شفقة ولا رحمة، ماذا فعلت لهم حتى يحرموها من حنان وعطف أمها ؟

دموع: إن شاء الله .

****

على الجانب الآخر، بمنزل رحيم الهواري ..

أم رحيم بحدة: عجبك أكده ؟

محمد ببرود: وانا اعمل ايه يعني ؟ وكنت أعرف منين إنها بتتسنط علينا؟ وبعدين انتي خايفه من ايه؟

أم رحيم بعصبية: انته جايب البرود ديه كلاته منين ؟ البت عيرفت إننه جتلنه (وفاء) ومش عاوزني أجلج ؟

محمد بخبث: طبعا متقلقيش، أولا فين الدليل إننا عملنا كده؟ وكلامنا قصاد كلامها، وبعدين معتقدش إنها تعمل كده، لو انتي خوفتها شويه، وهي واضح إنها بتخاف منك، زودي العيار معها شويه، هديديها إنها لو اتكلمت هيحصل لها زي أمها، وقوليلها إني هقتلها لو فتحت بوقها، ومحدش هيخلصها مني .

والدة رحيم بعدم ارتياح: ممرتحاش للموضوع ديه، البت ديت لازمن نخلصوا منها .

محمد: ازاي ؟ نقتلها ؟

والدة رحيم: لاه اني هجولك .

****

على الجانب الآخر، كان حسن يجلس بغرفته، حين دقت عليه شقيقته الباب ..

حسن: خشي يا جميله .

دخلت جميله وهي تبتسم إلى شقيقها، وتجلس إلى جانبه: ايه اللي مسهيرك لدلوك مش بعاده ؟

حسن: ولا حاجه مجيليش نوم .

جميله بخجل: اني رايده منيك حاجه اكده .

حسن وهو ينظر لها بمشاكسة : واني بردك بجول مش بعاده انك تسالي عليا في الوجت ديه .

جميله بضحك: هههههه لاه انته عريفني زين .

ضحك حسن ثم سألها ماذا تريد

جميلة: دموع هتروح عيند عروستك جبلهه، وانته كماني عريفت من أمي إنك هتروح جبلها بيوم .

حسن: ايوه .

جميله برجاء: خدني وياك .

حسن: بس ..

جميله بسرعة، وهي تترجاه : والله ما هجولك عاوزه حاجه، ولا هزعيلك واصل، وكماني هيكون وبايه دموع، واني نيفسي اشوف عروستك .

حسن بابتسامة: موافج

جميله وهي تقبل يده بحب: يخليك ليه .

حسن: ويخليكي ليه .

****

هاهي دموع تدخل غرفتها هي ورحيم، وساعدها رحيم بتغير ملابسها، وهاهو يضمها إلى صدره، وهم نائمون على تختهم ..

دموع بتساؤل: جلجت عليه ؟

أخذ رحيم نفساً عميقاً، وضمها إليها أكثر، وهو يقول: كنت حاسس اني مجدرش أتنفس .

دموع وهي ترفع وجهها، وتنظر إليه: بعد الشر عنيك .

رحيم بجدية، وهو يمرر يده على وجهها برقة: فيه حاجه مزعيلاكي ؟

دموع: لاه اني زينه جوي، بس مكنتيش كلت زين .

رحيم بزعل: ليه أكده يا دموع؟ مش حرام عليكي .

دموع: آخر مره .

رحيم وهو يقبل جبينها: متيعملهاش تاني واصل، اني لمن شفتك أكده كت ..

ولم يكمل كلامه، وإنما اقترب من شفتها، وقبلها قبلة عميقة، يخبرها بها كم

يحبها، بل يعشقها وأنه مهما قال لها، وتحدث عما شعر به، لن يكون ربع ما شعر به داخليا، حين كانت فاقدة الوعي، تقسم دموع أنها رأت الدموع تلمع بمقلتيه، وهو يقبلها، ويضمها إليه

وأخيرا ابتعد عنها، وضمها الي صدره

رحيم بحب: نامي دلوك؛ عشان متتعبيش .

دموع وهي فعلا تشعر بالتعب والرغبة بالنوم: تصبح على خير.

رحيم: وانتي من أهله .

وأغمضت دموع عيونها، وغطت في ثبات عميق بسرعة فائقة، فقد أعطتها الطبيبة حقنة مهدئة حتى تنام، بينما كان رحيم يعبث بشعرها برفق، وقال دون شعور، وهو يضمها إليه أكثر، وكأنه يريد أن يجعلها تدخل بداخله ليكونا جسداً واحداً ..

رحيم: بحبك يا دموع جوي .

****

الفصل الرابع والعشرين

في القاهرة بمنزل ليالي مرت الأيام سريعا، وكل شيء أصبح جاهزاً للخطبة، وكتب الكتاب، وقد أتت دموع إليها برفقة زوجها، كانت لا تفارقها هي وجميله شقيقه حسن سوى عند النوم .

وهاهي الخطبة اليوم، ولكن الغريب أن ليالي اختارت لها هي وليلي نفس الفستان، ونفس كل شيء، وصممت على ذلك بشدة، وهاهم الرجال بالداخل ينتظرون حضور المأذون، ونساء الصعيد وضيوف ليالي كل منهم ينظر إلى الآخر باستغرابٍ وتعجب من ملابس الآخر..

الكل يرقص ويفرح، ولكن ليالي بدنيا أخرى، فجأة وقفت وانسحبت إلى غرفتها، وخلفها ليلي ودموع، كان الجميع لا يستطيع التفريق بين ليلي وليالي، كان الجميع يخطئ في التفريق بينها وبين شقيقتها، حتى اسمهما متشابه لحد كبير، كانوا يقومون بعكس اسميهما بينهما

دموع وهي تغلق الباب خلفهم بقلق: فيكي ايه يا ليالي ؟

ليالي بجدية وتوتر: عاوزه حسن اتكلم معاه دلوقتي .

ليلي: بدهشة: دلوقتي يا ليالي !

ليالي بحدة: أيوه وحالا .

وبالفعل رضخوا إلى طلبها، وحضر حسن برفقة والدها، وجههم يبدو عليه القلق والخوف

حسن بقلق وهو يخطئ، ويحدث ليلي : فيه ايه يا ليالي ؟

ليالي من خلفه: أنا ليالي يا حسن ؟

ونظرت إلى أبيها ودموع: لو سمحت يا بابا انت ودموع سبونا لوحدنا شوية، انا وحسن وليلي معانا .

الأب: حاضر يا بنتي.

وخرج الأب هو ودموع وكان الأب يعاملها على أنها كبيرة، مدركة لكل تصرف، وأعطاها حرية وثقة، وجعلها هي صاحبة القرار بكل شيء هي وليلي، لا يفرض عليهم شيئا نهائيا ..

هنا بدأت ليالي حديثها دون تردد، رفعت وجهها، ونظرت إلى حسن بألم وحزن، حسن أنا مش هقدر أتجوزك .

ليلي بدهشة: ليالي !

ليالي: لو سمحتم محدش يقاطعني لحد ما خلص كلامي، ولازم انتم الاتنين تسمعوه كويس .

حسن بجدية: كملي حديتك يا ليالي .

ليالي وهي تأخذ نفسنً عميقاً : انا مش هقدر أكمل معاك في الكدب ده كله، بدايه كدبي يا حسن لما قلتلك إن وائل بيحب ليلي، لا يا حسن ..

وانفجرت في بكاء مرير، ونظرت أرضاً بخجل

ليالي: لا يا حسن، أنا اللي كنت بكلم وائل، وكنا بنحب بعض، الصور كانت صوري أنا يا حسن مش ليلي، ليلي أختي بريئة، وعمرها حتي ما كلمت حد، وكملت كدبي عليك لما قلتلك ليلي فاكره إني مغصوبة على الجواز، لا يا حسن ..

وشهقت من شدة البكاء، وتحدثت ببكاءٍ، وصوت متحشرج من شدة بكائها ..

ليالي: لا يا حسن، ليلي عرفت الحقيقة، وعرفت كدبي عليك، وقالتلي لازم أقولك، لكن أنا كدبت عليكم انتم الاتنين، خليتها فكرت إنك عرفت الحقيقة، وكدبت عليك

تاني، بس معتش قادرة والله أكمل في الكدب ده، معتش قادرة أتحمل نظرات الحب والثقة من ليلي ليا وفرحتها، مش قادرة أتحمل بابا وماما اللي خنت ثقتهم فيا، مش قادرة أتجوزك وأنا كل حاجه بيني وبينك كدب .

اقتربت منها ليلي، وضمتها إليها، وهي تبكي.

ليالي بأسف حقيقي، وهي تبكي على كتفها: أنا آسفة يا ليلي .

ليلي بابتسامة مشجعة: هش بس خلاص بطلي عياط، انتي عملتي الصح، وأنا فخوره بيكي إنك اعترفتي بغلطك ومكملتيش، مش مهم أي حاجة، المهم إننا سوا، وأنا دايما جنبك مش هسيبك، ومش مهم نغلط، المهم نعترف بغلطنا ومنكرروش تاني، هو ده الصح يا حبيبتي، وانتي عملتي كده، قاومتي شيطانك، وده هو اللي كان لازم يحصل، مكنش ينفع تبني حياتك على كدب .

بينما كان حسن صامتاً لا يصدر أي رد فعل، يسمع فقط ولا يتحدث، وأخيرا قال لها.

حسن بسخرية: والناس اللي جت، والفضيحة ديت، وأمي وفرحتها بولدها، وشكلي جدام الخلج، جايه دلوك تجولي ليه الحجيجه، دلوك !

ليالي بألم: أنا آسفه .

حسن بغضب: واني اسفيك ديه هيمنع الفضيحه، قسما باللي خلجني وخلجك، لوله الفضيحه والخلج اللي جاعده دلوك، مستنيه كتب لكتاب، كنت جتلك بيدي .

ليالي بخوف: وانا مش هتجوز يا حسن بعد ما قلت الحقيقة .

حسن بغضب: هجتلك يا ليالي، انتي متعريفنيش زين لحد دلوك .

ليلي بغضب: انت ايه ؟ بتقولك مش عاوزه تتجوز، مفيش فهم؟ ولا هو أي حد

وخلاص، المهم تتجوز.

حسن بضيق، ولكن يتحكم بنفسه حتى لا يصير فضيحة، ويصبح مسخة أمام الناس.

حسن: لاه مش عشان اتجوز، عشان حسرة أمي، والناس اللي هتتحدت في الموضوع ديه، وهبجي مسخه الخليج عندينه .

ليالي ببكاء وهي تنظر إلى شقيقتها برجاء

ليالي: ليلي عشان خاطري، أنا مش هقدر، هموت نفسي والله لو أجبرتوني اتجوز .

ليلي بحنية: متخافيش، أنا جنبك .

حسن بجدية وهدوء ولكن من الداخل بركان يغلي: ومين جالك إني هتجوزك طولت العمر ؟ لاه ديه شهر بالكتير جوي وهطلجك .

ونظر لها بقرف وقال: ميشرفنيش اتجوز واحديه زيك اكده .

ليالي بخوف وهيستيريا: ليلي .. لا عشان خاطري، ده عاوز يتجوزني عشان يموتني بعدها، ولما أبقى مراته هيقتلني، أنا مش هتجوز، أنا عارفه عاداتهم، دموع قالتلي، وهو زيهم هيقتلني يا ليلي، ساعديني أرجوكي .

ليلي وهي تنظر إلى حسن بجدية: شهر واحد بس .

حسن بجدية: أيوه .

ليلي وهي تأخذ نفساً عميقاً: تتجوزني أنا شهر وتطلقني، وأظن ده أفضل حل، ومش هتفرق ليلي من ليالي معاك، المهم اليوم يعدي .

ليالي: طيب والناس وبابا ؟

حسن بجدية: اني هتكلم ويه ابوكي وهجوله أن اني كنت رايد ليلي من لاول، واني

غيلطت بيناتكم، وجلت ليالي لكن الحجيجه اني أن وليلي معجبين ببعضينه، وعشان أكده انتي مجبلتيش اجوزك، والناس من عيندينا مهيخدوش بالهم؛ لأنكم الخالج الناطج كيف بعضيكم .

ليلي بجديه: وانا موافقة، بس يكون في علمك هو شهر واحد وهتطلقني وتنساني خالص انا واختي من حياتك، وأظن اني عملت معاك الواجب، هتحمل يبقي اسمي مطلقة بس عشان ميحصلش فضيحة، وعشان أختي متتئذيش، لكن ده ميخلكش تفتكر اني ضعيفة، أو ممكن تستغلني، أو اني ممكن أخاف منك زي ليالي، لا انا ليلي مش ليالي يا حسن، خد بالك من دي أوي.

حسن وقد شعر بالإعجاب بتلك الفتاة وقوتها، وشعر بالراحة أكثر؛ لأنه لن يضطر أن يتزوج ليالي فإن كان تزوجها يقسم انه كان من الممكن ألا يتحكم بنفسه، وربما قتلها، ولكن كل شيء تغير بلحظة، وأصبحت من يكرهها هي عروسه، وشعر بالسخرية من نفسه؛ لأنه ظن بها السوء طوال الوقت، وأن ليالي استطاعت الكذب عليه ..

حسن بجدية: منسيش حاجه واصل .

خرج حسن من الغرفة، وعاد بعد قليل بوالد ليالي، الذي حين وجد ابنته تبكي شعر بالخوف

الأب: في ايه مالك يا ليالي يا حبيبتي ؟

حسن بجدية: اني اجولك .. لمن كانت في الصعيد وجتها اني شفت ليلي، وكت رايد اتجوزهيه، لكن لمن سألت دموع عنها جالتلي ليالي، لكن اني كنت رايد ليلي، وكانت عجباني جوي، واني كماني كنت عجبها، لمن اتجدمت وليالي وافجت، وجتها عريفت الحجيجه، حاويلنه نكملوا سوا مجدرناش، وهيه مجدرتش تتجوزني .

الأب بدهشة: والناس اللي بره، والمأذون هنقولهم ايه ؟ العريس غلط بينهم واختار

بالغلط، عاوز الناس تضحك علينا ؟

ليلي بجدية، وهي تجاري حسن بكذبه: محدش هيضحك علينا يا بابا، أنا وحسن هنتجوز، ونرجع كل حاجه لوضعها الطبيعي، وكده ليالي متخسرش سعادتها، وميبقاش في مشاكل، وأنا وحسن نتجوز.

الأب بتعجب: انتم بتقولوا ايه ؟

حسن وهو يقول بجدية: بجول اني بطلب ليلي مش ليالي، وعاوز اكمل وياهيه باجي حياتي .

الأب بتوتر: بس يا ابني الناس ..

حسن: محدش بيعريف يفرج بيناتهم، وافج يا عمي، واوعيدك اني هشيلهيه فوج راسي .

الأب وهو ينظر إلى ابنتيه، ويري الرجاء بعيون ليالي أن يوافق، ونظرات قلقة من ليلي بانتظاررد فعل الأب: موافق .

وبعدها خرج الأب وحسن لكتب الكتاب .

ابتسمت حينها ليالي بارتياح وضمت ليلي إليها ..

ليالي: ،نا مش عارفة أقولك ايه؟ انتي بجد أحسن أخت في الدنيا، عمري ما هقدر اوفيكي حقك .

ليلي بحب: انتي اختي يا ليالي، ومش بس كده، بنتي الصغيرة كمان، وعمري ما هسمح لحاجة تضرك مهما كان .

قامت ليالي بتعديل ماكياجها، وخرجت هي وليلي، وأخبرت دموع بكل شيء التي عاتبتها بقوة، وكان من الممكن أن تخبرها، وحينها كانت ستخبر رحيم، وحينها كان

سيتصرف، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

وأخيرا خرج الأب، وأخبر الأم أنه تم كتب الكتاب، والدة ليالي علمت بكل شيء من زوجها قبل كتب الكتاب، أخبرها الأب حتي لا تثير مشكلة، وأخبرها أن ليلي وافقت، وأنه لا يريد أي حديث الآن حتى يصبحوا وحدهم، لذلك التزمت الأم الصمت، أخبرت الأم الجميع أنه تم كتب الكتاب، حينها توالت المباركات والزغاريد من شدة الفرح.

استغربت جميله ما يحدث، وأن ليلي هي زوجة أخيها، بينما في الحقيقة خطيبته ليالي، أخبرتها دموع أنهم لم يريدوا إحراجها، لذلك لم يعدلوا لها الاسم، تقبلت جميلة الحديث، ولكن دون اقتناع، لا يهمها أن كانت ليلي أو ليالي فكلاهما واحد، ولكنها كانت تحب ليلي أكثر، وتمنت لو كانت هي عروس شقيقها، لابد أن حلمها تحقق، وتزوج بالفعل من ليلي وليس ليالي .

أخيرا وجدت ليلي والدتها تقول ..

الأم: تعالي يا ليلي .

أخذت الأم ليلي إلى غرفتها، وحينها وجدت حسن بانتطارها..

الأم وهى تشير للطعام: ألف مبروك، اتعشوا بالهنا مع بعض، ولما تخلصوا قولولي.

وأغلقت الباب وخرجت

حسن بسخرية: مبروك يا عروسيه .

كانت ليلي تشعر بالدهشة مما حدث، وأنه هنا بغرفتها ينتظرها؛ ليأكلا سويا بكل برود، لم ترد ليلي عليه، وإنما اقتربت من طاولة الطعام تأكل، وهي لا تعيره أدنى انتباه، جعل حسن يموت غيظاً، فاقترب منها، وأمسك بيدها، وسحبها حتى وقفت أمامه، ونظر لها بحدة: إياكي تيعمليهه تاني، وتديري راسك ليه، ومتعبرنيش .

ليلي بضيق: هو انته ليه محسسني اني مراتك ؟ وأننا متجوزين بجد، فوق يا

حسن، احنا شهر وهنطلق .

حسن باستفزاز: مين جال اكده ؟

ليلي بتوتر وجهها يشحب بقوة: تقصد ايه ؟

نظر حسن إليها، وفجأة قبلها بشفتيها بسرعةٍ قبلة خاطفة سريعة، أراد بها أن يثبت لها أنها بالفعل زوجته حلاله، لا يعلم لماذا تغيرت نظرته لها، وهي تتحداه منذ قليل، وإعجابه الشديد بقوة شخصيتها وحبها لشقيقتها وعدم خوفها منه، جعلها تنال إعجابه، كان يريد الزواج بامرأة مثل ليلي، ولكنه أخطأ وخطب ليالي، ولكن القدر لا يتغير مهما كان، وأصبحت ليلي هي زوجته

حسن بجدية: اني مهطلجش واصل .

****

الفصل الخامس والعشرين

ليلي بغضب: انت بتهزر، وبترجع في كلامك عادي كده ؟

حسن وهو يبتعد عنها، ويجلس على طاولة الطعام بهدوء، فهو كان يستفزها فقط، حسن الهواري لا يجبر امرأة على الاستمرار معه، كيف يجبرها، ويتحمل أن يرى الكره في عيونها كل يوم، لكنه أراد فقط أن يتحداها، ويرد عليها باستفزاز لها، ويثير حنقها جزاء لمعاملتها المستهترة معه.

حسن: اني مرجيعتش في حديتي، انتي اللي يتجلى أدبك، واني مجبلش أكده، عاوزاني اطلجك، ونمشوا الاتفاج، اني موافج، بس تحتيرمي نيفسك، وطولت الشهر ديه تاخدي بالك زين اني جوزك، وبعديهه اعميلي كيف ما انتي عايزه .

ليلي بحدة: انا الحمد لله مؤدبة، وانت اللي بتستفزني، وبعدين ايه كل شوية جوزك جوزك، فوق يا حسن دي تمثيلية عشان الناس وبس .

حسن بجدية، وهو يقف، ويتجه إلى الباب، ولكنه التفت إليها، ونظر لها بجديه وقال: شهر وهطلجك، وجدام الخلج متنسيش انى جوزك، واللي بيناتنه محدش يعريفه.

ليلي بغيظ: مستفز.

حسن بابتسامة مستفزة لها: مع السلامة .

****

بشقة رحيم ودموع بالقاهرة، رحيم وهو ينظر لها، فمنذ عودتهم وهي تشاهد التلفاز معه، ولكن تجلس بجانبه بجسدها فقط، بينما عقلها بدنيا أخرى، منذ أيام وهي على هذا الحال، شاردة بعيده عنه، وكلما اقترب إليها تهرب منه، وتأخذ المرض حجة لها، حتى لا يقترب منها، تحمَّل رحيم، ولم يجبرها على شيء بل كان يعاملها بكل حنية ورفق، ولا يرفض لها طلباً، ولينتظر قليلا، وليتحمل حتى تعود إلى طبيعتها، ولكن اليوم كانت جميلة للغاية، وشعر بشوقه يزداد إليها ..

رحيم وهو يقترب منها، ويمسك بكف يدها، ويقبله برقة: ايه اللي شغليك ؟

دموع بابتسامة بسيطة: ولا حاجه .

رحيم بحب، وهو ينظر بعيونها: اتوحشتك جوي .

واقترب منها حتى يقبلها، ولكن وقفت دموع بسرعة، ولم تسمح له بتقبيلها، وقالت مسرعة: اني مجدراش اجعد اكتر من أكده .

رحيم وهو ينظر لها بتركيز، وهي تتهرب من النظر بعيونه، كان يتابعها بكل صمت وغيظ، ولكنه سيطر على نفسه وقال بهدوء: ليه يا دموع ؟

دموع بتوتر: ليه ايه ؟

رحيم وهو يقف أمامها وينظر بعيونها: ليه ممتحملاش لمسيتي؟ ومعوزنيش اجرب منيكي؟ بجالك وجت على الحال ديه، واجول لنيفسي سيهيه، دلوك تفوج، وتيرجع كيف لاول .

دموع وهي تحاول أن تهرب من أمامه بتوتر: مش وجت الحديت ديه يا رحيم .

ولكن رحيم حين همت من أن تمر من جانبه، أمسك بيدها، فقالت له بهستيريا، حين امسك بها، وكانت تحاول أن تبعده عنها؛ ظنا منها أنه سيأخذها بالقوة: هميلني يا رحيم، بجولك هميلني .

حينها قال رحيم بغضب، وقوة أفزعتها : متفكرتيش اني عشان مليح وياكي تسوجي فيها، لاه يا دموع اني رحيم الهواري كبير هوارة، ومش اني اللي أجبر حرمه على حاجه وخصوصي مرتي، اني عفيكي يا دموع، وجهيزي حالك هنسافروا في الصوبحيه .

وتركها ودخل إلى غرفة أخرى، غير التي استقروا بها منذ وصولهم، دموع وهي تجلس أرضاً على ركبتها، وتنفجر في البكاء: حجك عليا يا رحيم، بس مجدراش يا واد عمي .

****

علي الجانب الآخر بمنزل كرم الهواري، كان كرم يجلس بغرفته، يفكر ويفكر كيف يستعيد جميلة إليه ثانية؛ فهي ملك له، وقد كانت تعامله وكأنه أمير، كل شيء مجاب، لم تغضبه يوما بل كانت تتحمل كل شيء منه، قسوته، وغضبه، وإهماله دون أن تشتكي، ولكن هو المخطئ حين ضربها، لم يكن يتوقع أن يكون هذا رد فعلها، توقع أن تغفر له كالعادة، ولم يكن يعي أن قلب جميله تحوَّل إلى حجر من ناحيته، والآن هاهو وحيد لا يستطيع أن يرجعها إليه، والمصيبة أن الطريق إليها يسده كل من رحيم وحسن، ولن يستطيع الوصول إليها بوجودهم، ولكن ماذا سيفعل؟ لا يعلم، ولكن كل ما يعلمه أنه سيفعل المستحيل حتى ترجع إليه جميله، ولن يسمح لحسن الهواري أو رحيم الهواري أن يمنعوه من تحقيق حلمه.

****

علي الجانب الآخر بمنزل ليلي بالقاهرة ..

مر يومان منذ يوم الخطبة، لم تهرب ليلي ولا ليالي من تأنيب الأم والأب، ولكن أخيرا صمتوا، وتمنوا لهم التوفيق ..

كانت الساعه تشير إلى الثالثة صباحاً، وليلي وليالي تجلسان أمام التلفاز تشاهدان أحد الأفلام،

حين سمعتا صوت والدتهم تنادي عليهم بصراخ، انتفضت كلا منهما، وأسرعتا إلى غرفة الأم والأب، وفتحت ليلي الباب ودخلت، وخلفها ليالي، كلا منهما تبدو عليها الرعب والفزع والخوف، ماذا حدث؟ ولماذا تصرخ الأم ؟

الأم وهي تنظر لهما، ودموعها تنهمر على وجهها: الحقيني يا ليلي، أبوكي بيموت يا بنتي .

****

الفصل السادس والعشرين

في القاهرة كانت الدنيا مظلمة أمام ليلي بقوة منذ ساعات، وتبدَّل حالهم للغاية منذ ساعات، والألم والخوف هو المسيطر عليهما، كانت كلا منهما تنتفض من الداخل، تشعر بالخوف الحقيقي من فقدان الأب، منذ دخولهما إلى غرفة أبيهم، ووجوده أمامهم بتلك الحالة التي كان يشبه بها الأموات كثيرا، والحال تغير كانت ليلي هي الأكثر صلابة وقوة، قامت بالاتصال بالإسعاف، وعمل الإسعافات لوالدها، وأخيرا هاهم في إحدى المستشفيات الحكومية، كانت عائله ليلي كلها بانتظار الاطمئنان على والدها، ولكن أخبرهم الطبيب أنه يحتاج إلى عملية بالقلب، سوف تكون تكلفتها خمسين ألف جنيهٍ، من أين؟ لا أحد يعلم، وإن انتظروا أن يأتي دور والدها سيكون في تلك الحالة ميت لا محالة ..

لم تعلم أيا منهما ماذا تفعل، كانت تنظر ليالي إلى والدتها وشقيقتها التي كانت تفعل كل ما بوسعها، وتتصل بكل قريب وغريب من أجل المال، ولكن لا حياة لمن تنادي

وأخيرا قررت الاتصال بحسن الهواري زوج شقيقتها، هو وحده من سيساعدها، وبالفعل ابتعدت عنهم، وقامت بالاتصال عليه، لم يرد حسن سوى بعد الاتصال الثاني، وحين أخبرته وهي تبكي بما حدث، أخبرها أنه سوف يحضر إلى القاهرة على أول طائرة، وأنه سوف يحضر المال في الحال، وأن لا تقلق.

وبالفعل ساعات قليلة، وكان يدخل إلى المستشفي بكل قوته وجاذبيته التي تخطف الأنفاس، وأخيرا وجدهم أمامه ..

حسن وهو ينظر إلى زوجته، نعم يا سادة يستطيع أن يفرق بينهما نظرة التحدي والكره بعيونها، تجعله يعرفها في أي مكان وزمان.

حسن: السلام عليكم .

ردت عليه الأم وليالي، ولم ترد هي، شعر بالغيظ منها، ولكنه تغاضى عن ذلك، أخبر حسن الأم أنه سوف يتم نقل الأب إلى مشفى أخرى، وأنه قام بتجهيز كل شيء، ما عليهم سوى النزول معه، شكرته الأم كثيرا، وهي تبكي؛ فقد كان طوق النجاة لهم، ولكن هي لم تتحدث، أرادت الصراخ، ورفض مساعدته، ولكن سيكون الضحية والدها، لم يكن أمامها سوى الرضوخ إلى الأمر الواقع الآن، ولكن ستفعل المستحيل حتى ترد له كل مليم قد أنفقه على علاج والدها ..

وبالفعل نزل الجميع إلى الأسفل، وهاهو الأب يتم نقله بكل راحة، أحضر حسن سيارة كانت بانتظاره بالمطار، وطلب منهم الركوب ..

الأم ببكاء: لا انا هركب معاه في الإسعاف .

ليالي ببكاء: وأنا كمان يا ماما عشان خاطري .

الأم وهي تنظر إلي ليلي، وتربت على كتفها بحب: خلاص يا بنتي، أنا هركب أنا وأختك مع أبوكي، وانتي خليكي مع جوزك .

ليلي باعتراض: بس ..

الأم وهي تنظر لها برجاء؛ فقد فعل الكثير من أجلهم، وافقت ليلي مضطرة، وركبت إلى جانبه.

ليلي بعصبية: فلوسك هترجعلك حتي لو اشتغلت ٢٤ ساعة هرجعهالك، ومتفكرش اني عشان سكت، وقبلت انك تدفع الفلوس اني هقبل بيك انك تكون جوزي، انا هعتبرك مديني قرض وهسدده ليك، وملكش حاجه عندي تاني، وبلاش تمثل دور الطيب المنقذ؛ مش لايق عليك .

أصدرت السيارة صوتاً رهيباً من قوة الفرامل، واصطدمت هى بتابلوه السيارة، التفتت لتصب غضبها عليه ولكنها وجدت نظرة قاتلة من عيونه، ألجمت لسانها، وجعلتها ترتعد من الداخل ..

تقسم أنه لو كانت النظرات تقتل لقتلتها نظرات حسن الهواري.

حسن بهدوء حذر وهو يجز على أسنانه: اني مخبرش لحد ميته هتحملك، اني مجدر اللي انتي فيه، لكن بكفياكي عاد، اني صبري جرب ينفد .

ليلي وهي تنفجر في بكاء مرير: وأنا صبري خلاص خلص، انت من ساعة ما دخلت حياتنا، وهي عماله تروح للأسوأ، فجأة لقيت نفسي مراتك، وفجأة بابا يتعب، وكل الناس محدش يساعدنا، وانت تيجي كده بكل بساطة تدفع كل حاجة، وانت عارف كويس ان مش هقدر أسددها دلوقتي، وطبعا لازم أحط لساني جوه بوقي، وأتحمل أي حاجه منك، ويكون رد الجميل إني أكمل حياتي معاك، بس أنا مش هعمل كده، مستحيل .

حسن بهدوء؛ فقد شعر بالألم من حديثها، وشعر بالشفقة عليها، وهي تبكي أمامه مثل الأطفال التي لا حيله لها

حسن: اني مطلبتش منيكي حاجه واصل، وعاوزك تعريفي حاجة، اني مستحيل يكون تفكيري أكده، اني لمن جيت جيت للراجل اللي جبلني في داره وكرمني، جيت لان لو كان حد غريب في الموجف ديه، كنت هتصريف بردك اكده، مخبرش ليه انتي لازمن ايوتها حاجه من يميتي تبجي عفشه، اني مش عفش جوي زي ما انتي مفكيره اكده، لاه انتي لسه متعرفنيش زين .

ليلي وهي تمسح دموعها، وتشعر بالحرج مما فعلته: انا اسفه، بس أنا أعصابي

تعبانه، وانا طبيعي مبتصرفش كده مع حد، بس انت حساك بتحاول تحطني جوه دايره وتقفل عليا، وده خنقني، أنا فلوسك هرجعهالك، وشكرا لإنك جيت بجد .

حسن بابتسامة هادئة، وهو يشاكسها: جولتلك انتي مرتي .

ليلي وهي تضحك بقوة: انت رخم أوى بجد .

حسن بابتسامة ساحرة: وانتي ضحكتك مليحه جوي .

ليلي بوجه احمرَّ من شده الخجل: ممكن تتحرك بقي، انا خايفه يوصلوا قبلنا .

حسن بثقة: طول ما انتي وياي، اوعاكي تخافي .

ليلي بخجل: يله يا حسن .

حسن بابتسامة واسعة لأول مرة تناديه باسمه، ويسمعه منها، فابتسم لها بقوة، وهي أدركت لماذا ضحك هكذا، لأنها دون شعور خاطبته باسمه، فابتسمت بخجل، ونظرت إلى يديها، بينما انطلق حسن، وهو يشعر براحة وهدوء داخلي ونفسي كبير.

****

بينما على الجانب الآخر بمنزل رحيم الهواري.

رحيم: ليه يا دموع ؟

كان ينظر لها بحزن، وهي تغط في نوم عميق، منذ أيام وهي متوترة للغاية كلما نظر لها، منذ أيام وهي تتهرب من عيونه ونظراته إليها، منذ أيام وهي تحولت من زهرة متفتحة إلى زهرة فقدت روحها، كان يشعر وكأنها تتحرك مثل الآلة، لا يعلم ماذا بها، ولكن ذلك الحزن والبعد عنه يجعله يتألم ويتألم، وخصوصا أنه يريد أن يقترب منها، يريد أن يضمها إلى صدره، ويشم رائحتها وعطرها الأخاذ، يريد أن يتذوق رحيق شفتها، يريدها هي فقط دموع زوجته وحبيبته، ولكن إلى متي سينتظر؟ إلى متي ستحن عليه وتخبره ماذا حدث لها ؟ ولكن لن يكون رحيم الهواري إن لم يعلم ماذا حدث؟ ولم تغيرت هكذا؟ سيعلم بالأمر حتي لو أجبرها في النهاية علي إخباره بما حدث ..

كان رحيم يشعر بالاختناق، يريد أن يضمها إليه ولا يستطيع؛ لذلك خرج من غرفتهم، وتوجه إلى غرفة جدته، طرق الباب، وحين سمحت له بالدخول دخل.

الجدة بحب: تعالي يا حبه جلبي، مالك يا ولدي ؟

رحيم وهو يقترب منها، ويقبل يدها، وينام ويضع رأسه على قدمها: تعبان جوي يا ستي .

ظلت الجدة تردد آيات من القران الكريم، وترقيه الرقية الشرعية، وتدعو له بصلاح الحال وراحة البال، لا يعلم لماذا كلما شعر بالحزن يأتي إليها؛ فهي وحدها من يستطيع أن يظهر ضعفه أمامها، وتجعله بأفضل حال ..

الجدة بجدية: جوم يا ولدي، ارجع جاعتك .

رحيم وهو يقبل يدها: تتمسي بالخير يا ستي .

الجد: ربنا يصلح حالك يا ولدي .

خرج رحيم من الغرفة، وتوجه إلى غرفته هو ودموع، فتح الباب وهو يأخذ نفساً عميقاً ؛ حتى يسيطر على نفسه لأقصى حد، ولكن كانت المفاجأة أمامه، أن دموع كانت تقف بمنتصف الغرفة.

دموع بلهفة حين فتح الباب ودخل، وهي تقترب منه بسرعة، وترتمي بحضنه، وتبكي بهستيريا: كنت فين يا رحيم ؟

لم يفهم رحيم ماذا بها، ولم تبكي هكذا، والغريب أنها هنا بحضنه، ضمها إليه بقوة؛ علها تهدأ قليلا.

رحيم وهو يبعدها عنه، ويمسح دموعها: بكفياكي .

دموع ببكاء: حليمت حلم عفش جوي .

رحيم بابتسامة: مش جولتلك جبل سابج متخافيش واصل؛ انتي مرت كبير هوارة.

دموع وهي ترتمي في حضنه: متبعدش عني واصل يا رحيم .

رحيم وهو يضمها إلى صدره، ويحملها بين يديه، ويتوجه إلى تختهم

رحيم: مجدرش أبعد عنيكي واصل .

ووضعها على تختهم، واقترب منها يقبلها في شفتيها قبلة اشتاق إليها بقوة، أيام وهي تحرمه من رحيق شفتيها، وأخيرا تبدل الحال، ورجعت إليه ليحلقا معاً في عالم خاص بهما وحدهما ..

ولكن هل سيستمر الحال هكذا ؟ أم تنقلب الرواية رأسا على عقب ؟

****

الفصل السابع والعشرين

مرت عده أيام، كان حسن الهواري لا يفارق المشفى، ظل إلى جانب ليلي وأهلها، كان يفعل ما بوسعه حتى يوفر لهم ما يحتاجون إليه، وهاهو الأب تم بحمد الله ونعمته مروره من تلك الأزمة، وتم نقله إلى غرفته، وهاهم حوله يشعرون بسعادة غامرة ..

الأم وهي تقبل يد زوجها: حمدالله على سلامتك يا ابو البنات .

الأب بابتسامة متعبة وهو يشد على يدها: الله يسلمك يا أم البنات .

ليالي وهي تنفجر في البكاء، وتضم أبيها: وحشتني أوى يا بابا، أوعي تعمل كده تاني؟ أنا مقدرش أعيش من غيرك .

بينما اقتربت ليلي من أبيها، وقبلت رأسه، وهي تقول بسعادة: حمدالله على السلامة يا حبيبي .

الأب بحب: الله يسلمك يا حبيبتي .

ونظر إلى حسن : أنا مش عارف أشكرك ازاي، أم البنات قالتلي اللي انت عملته معايا و..

قاطع حسن حديثه بجدية: بكفياك حديت دلوك، ومتنساش حاجه، انك دلوك زي ابوي تمام، وديه حجك عليا .

لم تنظر ليلي إليه، ولكن كان بداخلها شعور كبير بالأمان والراحة بوجوده، كان حينما يختفي لدقائق تشعر بالضياع، تخشى أن يتركها وحدها دون أن ينقذها، فهو كان طوق النجاة إليهم في الأيام الماضية، ماذا كان سيحدث إن لم تكن تزوجت به ؟ ماذا كانت ستفعل ؟ لا .. لا لن تفكر هكذا؛ فالحمد لله على كل حال، وقد مر هذا الوقت العصيب على خير..

فجأة فتح الباب، ودخل الطبيب، وكان شاباً في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر، يدعي عصام وهو دكتور بالجامعة على (ليلي)، ويعرفها جيدا لتفوقها، وحين رآها ابتسم.

عصام: أهلا يا ليلي .. خير انتي هنا ليه ؟

ليلي بوجه متوتر: أهلا يا دكتور، ده والدي واحنا هنا معاه .

قام الطبيب بفحص المريض، وهو يتابع حديثه: لا ألف سلامة، الحمد لله كل شي تمام، متقلقيش انا شغال هنا وموجود لو احتاجتي حاجه .

كانت تهم بالرد، وشكره ولكن جاء الرد من ذلك الأسد الغاضب حسن: مهتعوزش حاجه من حد واصل، وجوزها موجود .

نظر الطبيب إلى حسن بنظرة تعجب من غيرته عليها، ولكن لديه حقاً؛ فليلي ونعم الفتاة التي تجعل من يراها يتمني نظرة منها.

الطبيب بحرج: اه طبعا ربنا يخليكم لبعض، وألف سلامه مره ثانيه .

وانطلق مسرعا، فكان يشعر أن حسن على وشك قتله من شدة غيرته، فهو رجل صعيدي، وآهٍ من غيره الصعيدي، ويا ويلها اللي يحبها صعيدي.

اقتربت ليلي من حسن، ووقفت إلى جانبه، وهي تقول بهمس: مكنش في داعي تكلمه كده، ده دكتور عليا في الكلية .

حسن بغيظ: ديه كان جبل سابج، دلوك انتي مرتي، وكل حاجه لازمن يبجلها حساب .

ليلي وهي تنظر له بتعجب وتبتسم: انت غيران ؟

حسن بكذب: لاه اني مهغيرش واصل، ديت اصول .

ليلي وهي تبتسم أكثر له: لا ما هو باين .

ابتسم حسن لابتسامتها، فقد شعر بسعادة كبيرة لرؤيتها تبتسم له هكذا، بينما كانت الأم تتابعهم، وتدعو بداخلها أن يديم الله عليهم السعادة .

****

بينما على الجانب الآخر، استيقظ رحيم الهواري من نومه، وجد دموع تنادي باسمه، التفت إليها بتعجب.

رحيم: خير يا دموع ؟

دموع برجاء: اني رايده اروح عيند ابوي انهارديه اتغدي عنديه .

رحيم بتفكير: موافج واني هبجي اجي اخدك، واني راجع .

دموع وهي تقترب منه، وتقبل خده بشكر وامتنان: يخليك ليه .

رحيم وهو يضمها إليه بمشاكسة: لاه أكده هخليكي تروحي عيند ابوكي على طول.

انفجرت دموع بالضحك، فقال لها بحب، وهو يقبل مقدمه رأسها: تدوم الضحكة يا ست البنته .

دموع بخجل: واه بكفياك يا رحيم .

انفجر رحيم في الضحك؛ فزوجته إلا الآن مازالت تخجل منه، وهذا ما يزيد عشقه إليها أكثر وأكثر،

وبالفعل ذهبت دموع إلى منزل والدها الذي رحَّب بها بشدة، وهاهما يجلسان وحدهما.

الأب: مالك يا دموع ؟ حسك أكده فيكي حاجه .

دموع وهي ترفع عيونها، وتنظر له بحزن: فيه حاجه عاوزه أسألك فيها يا ابوي .

الأب: خير يا بتي ؟

دموع وهي تأخذ نفساً عميقاً: انته تيعرف أن محمد الهواري هو اللي جتل امي

انصدم زين الهواري بشدة، كيف علمت أن محمد الهواري هو قاتل أمها؟ نعم يعلم فقد أخبرته زوجته قبل وفاتها، ولكنه صمت، ولكن لم ينسَ، ولن ينسى ثأره مهما حدث؛ فقد قتل أعز ما يملك، قتل زوجته وحبيبته ..

زين بتساؤل: مين اللي جالك أكده ؟

دموع ودموعها تنزل على وجهها: سمعته يا ابوي وهو بيتحدث مع مرت عمي، وعريفت كماني انها كانت عارفه، انه هو اللي جتل أمي .

زين بحزن: أيوه يا دموع، اني خابر انه هو اللي جتل أمك .

دموع بصوت متحشرج غاضب: كيف تكون عارف، وتسكت، ليه يا ابوي مبلغتش عنيه ؟

الأب بحزن: محمد وجتها هرب، ومرجعش وانتي كتي لساتك صغيرة، اني مش ناسي تاري يا دموع، وكت مستنيه يرجع، وكت عارف انه راجع مهما طال الزمن، ودلوك أجدر آخد حجي، واجتله كيف ما جتلها .

دموع ببكاء: لاه يا ابوي، متجتلوش، بلغ عنيه الحكومة، تاخد حجك وحجي .

زين بغضب: شيفاني عويل يا دموع مجدرش اخد حجي، ولا فكرتي عشان سكت اني جبان، لاه يا دموع ابوكي هياخد حجه بيده، ومفيش حد هيجدر يمنعني عنيه مهما كان .

دموع ببكاء: واني يا ابوي مفكرتيش فيه صوح، اني رايده تار أمي يتاخد، لكن معوزاش أخسرك انته كماني، بكفياني عاد .

الأب: اني كت مستني تتجوزي عشان اكون مطمن عليكي، ودلوك انتي في أمان ويه واد عمك، ومش اي حد، انتي متجوزه كبير هوارة .

دموع وهي تجثو على ركبتيها أمام أبيها، وتقبل يده برجاء: ابوس يدك يا ابوي، سلمه للحكومة، وجول كل حاجه .

الأب بحزن: مفيش دليل يا دموع، هيطلع كيف الشعره من العجينه .

دموع بحزن: لو مفيش دليل كيف ما بتجول، احنه نوجدوا الدليل، ربنا جال اسعي يا عبد وانا اسعي معاك، نيدور واكيد هنلاجي حاجه، مفيش مجرم مبيسيبش دليل يا ابوي، ابوس يدك يا ابوي، عشان خاطري، لاه مش عشاني عشان خاطر أمي، اوعاك تيعمل أكده وتجتله .

الأب بحزن: حاضر يا دموع، بس هعمل المستحيل عشان اوصيله لحبل المشنجه .

دموع: ان شاء الله يا ابوي .

****

على الجانب الآخر، كان كرم الهواري يجلس بغرفته، ويتحدث بالهاتف

كرم بابتسامة: يعني كل حاجه بجت زينه تمام جوي، بكره هتحدت وياك تاني، واجولك الوجت المظبوط، سلام انته دلوك .

أغلق كرم الخط، وهو يبتسم ابتسامة المنتصر؛ فأخيرا سوف يحقق هدفه، ولكن ماذا سيفعل؟ لا أحد يدري، ولكن تفكيره الشيطاني وطباعه التي لا تمت بالراحة وحقده لا يبشرون بالخير نهائيا

كرم: جريب جوي هتكوني في حضني يا جلب كرم .

****

في مندرة منزل كبير هوارة، كانت تقف والدة رحيم تتحدث إلى محمد الهواري، وبداخلها بركان من الغضب ..

والدة رحيم: مجدراش اتحمل البت ديت اكتر من أكده، بكفياني اللي شفته جبل سابج .

محمد بتعجب: تجصدي إيه بحديتك ديه ؟

والدة رحيم بغل: اني رايده منيك تجتلها .

محمد بصدمة: انتي بتجولي ايه ؟ اجتلها !

والدة رحيم: ايه متيعريفش يعنى ايه تجتلها ؟ ولا ناسي انك جتلت جبل أكده ؟

محمد بغيظ: مكنش جصدى اجتلها هيه .

والدة رحيم: ميهمنيش دلوك اني عاوزاك تجتلها، والا واللي خلجني وخلجك هكشف المستور، وانته عارف وجتها هيحصول إيه .

محمد بغل: بكفياكي تهديد، ومتنسيش انك كنتي خابره كل حاجه من لاول .

والدة رحيم ببرود: مين هيصدج وجتها الحديت ديه؟ وانت خابر زين اني أجدر أجوم الدنيا كلاتهيه عليك .

محمد بتفكير فتلك المرأة مثل الحرباية، تتلون، وتتشكل بألف لون، لا أحد يسلم من أفعالها، ومن حقدها وغلها ذلك الحقد الذي كان سابقا لوالدة دموع، والآن تريد قتل الابنة أيضا .

محمد: موافج بس بشرط .

****

الفصل الثامن والعشرين

في منزل حسن الهواري، دخلت جميله على أمها، وهي تبتسم، واقتربت منها، وقبلت رأسها بحب.

الأم: كلمتي أخوكي يا بتي ؟

جميله بأسف: لاه واللهي يا أمه، لساني متحدتش وياه .

الأم بعتاب: مش جولتلك يا جميله ليله إمبارح .

جميله وهي تقبل يدها، وتقول بترجي: حجك عليه يا ست الناس، دجيجه واحدة واجيب المحمول .

صعدت جميله بسرعة إلى غرفتها، وأحضرت هاتفها، ونزلت مسرعة، وجلست إلى جوار أمها، وقامت بالاتصال بشقيقها الأكبر..

حسن: السلام عليكم .

جميله: وعليكم السلام ورحمة الله، كيفك يا ولد ابوي ؟

حسن بابتسامة: الحمد لله، كيفكم انتم، وكيف أمي وستي .

جميله بحب: زنين طول ما حسك في الدينيه، امي رايده تتطمن عليك .

أعطت جميله الهاتف إلى والدتها، بينما كان حسن يتحدث مع والدته، وجد ليلي تقترب منه، فأكمل حديثه بطريقة عادية

حسن: واللهي انتي وحشتيني جوي يا ست الكل، لاه لساني مخبرش ميته هاجي .

وجد حسن الغيظ ينتشر على ملامح ليلي، وكانت تهم بالابتعاد عنه، ولكنه تدارك ذلك، وأمسك بيدها وقال بجديه:امه ليلي حبه تتحدت وياكي .

أعطي حسن الهاتف إلى ليلي لتتحدث مع والدته بكل خجل ورقة، وبعد قليل أغلق حسن الخط، وسط دعوات أمه المتمنية له الراحة والعودة سالماً

ليلي بخجل من نفسها: أنا آسفة .

حسن وهو يمثل أن لم يفهم قصدها: ليه ؟

ليلي بغيظ: انت عارف ليه متمثلش .

حسن بجدية: في حاجه لازمن تعرفيهيه عني يا ليلي، اني مش راجل ناجص، ولا عيندي غيه الحريم، لاه اني راجل اعرف كيف احترم مرتي، وكيف أصونها، والأهم اني عمري ما أخالف شرع الله أبدا مهمن حصول، ومش الراجل الصعيدي اللي يلف ويدور، الراجل عيندينا ممكن يتجوز على مرته، لكن مهيعملش حاجة حرام .

ليلي بحدة: اه وأنت ناوي تتجوز عليا إن شاء الله .

حسن وهو ينفجر بالضحك: مش لمن اتجوزك انتي لاول، ولا نسيتي شرطك ؟

شعرت ليلي بالارتباك من غيرتها عليه، وأيضا لأنها كانت تتحدث معه، وتتعامل معه على أنه زوجها قلبا وقالبا، كيف نست شرطها ؟ هل الأيام الماضية والتصاقه بها جعل مشاعرها تتغير بتلك السرعة؟ أم لأنها عرفت حقيقته، وأنه من الرجال التي تتمني أي امرأة أن تتزوج منه ..

لا تعلم، تشعر بالارتباك وفوضى بداخلها، ولا تعلم ما يحدث معها، فقد قلب حياتها رأسا على عقب .

****

بينما على الجانب الآخر، كانت والدة رحيم الهواري تجلس بغرفتها، تتذكر ما حدث بينها وبين محمد الهواري ..

فلاش باك

محمد: موافج بس بشرط .

والدة رحيم بتعجب: شرط ايه ديه ؟

محمد وهو يخرج علبة السجائر من جيبه، ويخرج منها سيجاره ويشعلها بكل هدوء، وهو ينظر لها من خلال دخانها المتصاعد بكل برود وكره: شرطي انك كماني هتعملي حاج علشاني بسيطة جوي .

والدة رحيم: حاجه ايه ؟

محمد وهو يأخذ من سيجارته نفساً عميقاً، وينفث دخانها: لمن اجتلها وجتها زين هيتجنن، وهيبجي كيف الأموات، وممكن ساعتها كماني يجتل نفسه .

والدة رحيم بعدم فهم: انته تجصد ايه ؟

محمد: اجصد اني كيف ما إني هجتل دموع، انتي كماني هتجتلي زين الهواري، وساعتها هنجول انه انتحر من حسرته على بته .

والدة رحيم بصدمة: تجتل زين ليه ؟

محمد بكل حقد: لأنه هو اللي كان لازمن يموت، مش (وفاء)، كان هو المجصود مش هيه واصل، مكنش جصدي اجتلها هيه، واني مهرتحش واصل غير لمن يدخل الجبر، وأشوفه ميت جدامي .

والدة رحيم بكل جبروت امرأة لا تعرف الرحمة، امرأة عديمة المشاعر والقلب،

امرأة يسيطر عليها حقدها وغلها وغيرتها من امرأة ماتت، وأصبحت من الماضي، ولكن حتى بموتها مازالت تحقد عليها، والآن تحوَّل الحقد إلى ابنتها

والدة رحيم: واني موافجه يا محمد .

محمد: يبجي اتفجنا .

باااك

والدة رحيم: جريب جوي هخلص منيكي يا بت وفاء، وارتاح، وارجع ولدي لحضن أمه تاني .

****

بينما على الجانب الآخر، وصلت دموع ورحيم إلى المنزل، ولكنها سبقته إلى الأعلى، وقامت بتغيير ملابسها، وأخذت شاور سريعاً، وارتدت قميص نوم باللون الأسود، يصل إلى كاحلها، مفتوح من الجانب الأيسر حتي منتصف فخذها، وتركت شعرها للعنان يحركه الهواء كما يشاء، ووضعت القليل من المكياج على وجهها، وتعطرت بالعطر الذي يعشقه رحيم.

وأخيرا وجدته يفتح الباب، وحين وجدها أمامه، وشم رائحة عطرها، ابتسم وهو يغلق الباب خلفه بالمفتاح

رحيم وهو يقترب منها، وعلى وجهه ابتسامة فرحة، بينما كانت دموع يكاد وجهها ينفجر من شدة الخجل، كان أحمر كحبه الطماطم.

رحيم وهو يقبل خدها بحب: اتوحشتك جوي جوي .

دموع بخجل وهي تنظر له بحب: كيف يعني واني وياك على طول ؟

رحيم وهو يهمس إلى جوار أذنها: حتي وانتي جدامي بتوحشك .

دموع بخجل: رحيم .

رحيم وهو يضمها إليه: جلب رحيم .

وانقض على شفتيها يقبلها قبلة، أراد أن يعطيها إليها منذ أن رآها تنزل من بيت والدها، كم اشتاق إليها طوال اليوم يفكر بها اشتاق إليها كثيرا، لا يعلم لماذا يخاف كلما ابتعدت عنه، لديه شعور غريب بالخوف، وكأنه سيخسرها بأي وقت، وأخيرا ابتعد عنها فقال لها وهو يأخذ نفساً عميقاً: اني بحبك جوي يا دموع جوي .

****

الفصل التاسع والعشرين

رحيم: اني بحبك جوي يا دموع .

نظرت دموع إليه بدهشة، ورفعت يدها تتحسس خده الخشن، وقالت له بكل مشاعرها وعواطفها: مش اكتر ميني يا رحيم، انته جوزي وحبيبي وكل حاجه ليه في الدينيه كلاتهيه .

حينها شعر رحيم وكأنه يمتلك العالم بين يديه، ضمها إليه بقوة، وظل يقبلها ويقبلها حتى خطف أنفاسها، كان يعبر لها عن حبه بكل لمسه منه، بكل نظرة من عيونه، بكل نفس يخرج من صدره، نعم يحبها وأخيرا وقع كبير هوارة بالحب، وحلق معها في بحر من الحب واللذة، بينما كانت دموع من داخلها تتألم بشدة، كم تعشقه ولا تعلم ماذا سيكون رد فعله إن علم بحقيقة أمه، ولكنها قررت بداخلها أن تعيش اليوم بيومه، ولا تفكر بشيء، قررت أن تستغل الوقت الحالي وكل دقيقة حتى تكون إلى جانبه؛ لأنها لا تعلم ما تخبئه لها الأيام القادمة .

****

بينما على الجانب الآخر، كان همام ووالده على طاوله الطعام يتناولان العشاء

الأب بتساؤل: متعريفش حسن فين ؟

همام بجدية: بيجولوا ابو مرته بعافيه هبابه، وجريب راجع .

أشار الأب برأسه، وكأنه أمر لا يهم

همام بتوتر: ابوي ..

رفع والده وجهه ونظر إليه وقال: خير يا ولدي .

همام: انته خابر اني عاوز اتجوز جميله، وبجول يعني اني لازمن اسبج ايوتها حد واتجدم، إيه رأيك لمن حسن يرجع، نروحوا نتجدموا، ونطلبها منيه ؟

الأب بضيق، وقد شعر فورا بالغيظ؛ فهو لا يريد ذلك الزواج نهائياً، ولكنه وافق فقط من أجل ابنه: مستعجل جوي أكده ليه ؟

همام بهدوء: خير البر عاجله .

الأب وهو يأخذ نفساً عميقاً من شدة ضيقه: اللي انته عاوزه اني موافج عليه .

همام وقد شعر بسعادة غامرة: ربنا يخليك ليه يا ابوي، ويديمك فوج راسي

الأب بحب؛ فليس لديه أحد أغلى من ولده همام: ويخليك ليه يا ولدي .

كان همام يشعر بسعادة غامرة، ولكن بداخله قلقاً كبيراً من أن ترفضه جميله، كان يدعو بداخله ليلا ونهارا، ويدعو بكل صلاة أن يحقق الله أمنيته، ويتزوج من جميله، ويقضي المتبقي من عمره معها، فإن خسرها ثانية حينها ستتدمر حياته بالكامل.

****

بينما على الجانب الآخر، مر يومان، وهاهو والد ليلي يعود إلى المنزل، وهو ما زال تحت رعاية طبية، وقام حسن بالطلب من المشفى بتخصيص إحدى الممرضات لمرافقته بالمنزل؛ لتوفير كل الراحة له، وبالفعل كانت ليلي ممتنة له بشدة، لا تعلم كيف توفيه حقه، فهو ونعم الرجال، خرج حسن من غرفة والدها بعد الاطمئنان عليه ..

حسن وهو ينظر لها، وأخرج ظرفاً من جيبه، وقام بإعطائه إليها

ليلي بتعجب: ايه ده ؟

حسن بجدية: ديت فلوس خليها وياكي؛ عشان لو احتجتوا حاجه .

ليلي بخجل: بس .

حسن: مفيش داعي لأيوتها حديت دلوك، اني راجع الصعيد، ويومين تلاته أكده، وهبجي آجي تاني .

ليلي: تروح وترجع بالسلامة .

حسن: الله يسلمك، خدي بالك من حالك، ومتنسيش انك مرتي يا ليلي، لو احتجتي أيوتها حاجه، كلميني طوالي .

ليلي: حاضر.

حسن: يله لا إله إلا الله .

واقترب منها، وقبَّل جبينها بكل رقة، وانطلق بطريقه للعودة إلى الصعيد ..

ليلي وهي تشعر بحزن شديد لذهابه

ليلي: محمد رسول الله .

****

في منزل كبير هوارة، كانت دموع تشعر بشيء بداخلها غريب، قلبها منقبض بشدة؛ لأول مرة يتأخر رحيم بالعودة إلى المنزل، نزلت من غرفتهم إلى الأسفل، وجدت والدة رحيم أمامها، تماسكت، وقررت التعامل معها بطريقة عادية ..

دموع: كيفك يا مرت عم ؟

الأم: زينه .. رحيم رجع ؟

دموع بقلق: لاه لساته مرجعش، أول نوبه يعوج أكده .

الأم وقد أصابها القلق من حديث دموع: عينديك حج، يمكن عنديه مصلحه أكده ولا أكده .

دموع بأمل: إن شاء الله، هتلاجيه جاي دلوك .

الأم: اني هروح أسخن الوكل على ما يجي .

كانت دموع ستهم بالردِّ عليها، حين سمعوا صوت أحد الغفر، ينادي من الخارج، خرجت كلا من دموع ووالدة رحيم بسرعة ..

الأم: في ايه ؟ مالك ؟ بتزعج أكده ليه ؟

الغفير وهو يلهث من شده الجري، وقال بكل قوة: الكبير انجتل .. رحيم بيه انجتل.

دموع بصراخ لاااااااا..

****

الفصل الثلاثين

لم تستطع والدته تحمل الخبر، وسقطت أرضا مغشيا عليها من شدة صدمتها، ابنها، وحبيبها، وفلذة كبدها رحيم مات، لا لم تستطع التحمل، فلتمت هي، لكن رحيم لا وألف لا، اقتربت منها دموع بفزع، وطلبت من الغفير أن يحضر السيارة سريعاً ..

وبالفعل ماهي إلى ساعة واحدة، وقد وصلت دموع إلى المشفى برفقة والدته، وقد وجدت والدها زين الهواري بانتظارهم وبجانبه حسن، كان الجميع في حالة صدمة، حالة من الهرج تسود المشفى، كانت دموع تشعر بأنها تائهة، لا تعلم ماذا يحدث، هل هي بحلم أم علم ؟

وأخيرا خرج الطبيب الذي أخبرهم أن والدة رحيم تعرضت لجلطة دماغية، وأدت إلى شلل نصفي من شدة الصدمة، بكت دموع حزنا عليها؛ فهي أولا وأخيرا والدة رحيم، والغريب أنه في الصباح قبل خروجه قال لها ..

فلاش باك

رحيم بكل حب وهو يقبل رأسها: معوزكيش تزعلي من أمي يا دموع، عشاني اني اتحملها، اني خابر انك مبتعمليش حاجه، بس عدى أي حاجه عشاني .

دموع: حاضر يا رحيم .

رحيم بكل حب: يخليكي ليه يا جلب رحيم .

باااك

دموع لوالدها بدموع كثيرة وقهر: احنه بيحصل وبانه أكده ليه يا ابوي ليه ؟

الأب بحزن: رحيم هيجوم يا دموع، ادينا مستنين يخرج من العمليات، ودلوك الدكتور يطمنه .

دموع: يارب .

مرت ساعات، والجميع ينتظر أي خبر عن رحيم، كانت المشفى مليئة بالناس؛ فالمصاب ليس شخصاً عادياً، إنه كبير هوارة، وأخيرا خرج الطبيب، اقترب حسن الهواري وزين ودموع من الطبيب يسألوه عن حالة رحيم.

حسن بقلق: كيفه رحيم يا دكتور ؟

الطبيب بحزن: ادعوله يعدوا الساعات الجايه على خير، مفيش في أيدينا غير إننا ندعي .. عن إذنكم.

انهارت دموع بشدة، وظلت تبكي بقوة

زين وهو يضمها إليه: بكفياكي يا دموع، بكفياكي يا بتي، لازمن تبجي جويه، بكفيانا اللي حصل لام رحيم، والجلطة اللي خلتها انشلت، وجوزك يا بتي اللي بين الحياة والموت، لازمن تكونى جويه، وتدعي رب العالمين أن يجومهم بالسلامة يا بتي .

دموع بكل ألم: يارب ملناش غيرك، يارب انته عالم بكل شيء، يااارب.

****

بينما على الجانب الآخر، في منزل حسن الهواري، كانت جميله تجلس بغرفتها كعادتها، حتى وجدت رسالة على برنامج الواتس الخاص بها، فتحت الرسالة، وكانت صدمتها أنها صور لها، ولكن عارية الجسد، ليس جسدها ولكن الوجه وجهها، والغريب أن المرسل هو رقم ذلك الخسيس كرم طليقها، كانت في حاله صدمة، حتى دموعها أبت النزول، وأخيرا فاقت من صدمتها على صوت هاتفها يرن برقم ذلك النذل، فتحت الخط سريعاً، وقالت بكل قهر: حسبي الله ونعم الوكيل فيك .

كرم وهو يضحك بسماجة: ايه رأيك في الصور ؟

جميله بكره: طول عمرك مش راجل، وطول عمرك خسيس، مخبراش كيف انته هواري؟! رجالة هوارة ونعم الرجال، لكن انته خسارة يتجال عليك راجل، واللي في الصور ديت مش انى، وانت خابر اكده زين.

كرم ببرود: اني وانتي خابرين زين انه مش انتي، لكن الناس مش هتجول اكده .

جميله بصراخ: انته عاوز ايه ميني ؟

كرم: عاوزك ترجعيلي تاني جدام الكل، بدل ما أخلي فضيحتك بجلاجل .

جميله بكل ما أوتيت من قوة: على جثتي، فاهم على جثتي .

وأغلقت الخط، وهي تنفجر في بكاء مرير، ولكنها وجدت رسالة منه، يخبرها بها أنه سيتركها يومان تفكر، وبعدها لا تلومه على شيء .

****

على الجانب الآخر بمنزل هاشم الهواري ..

هاشم بغضب: انته بردك نفذت اللي في راسك .

محمد بكل برود: كان لازمن اخلص منيه؛ عشان أبجي كبير هوارة، ولا انته عجبك أن واد اخوي يبجي كبير علين، وكماني عشان اخلص من أمه، مدام رحيم انجتل، هيه أكده هتكون ماتت بالحيا .

هاشم بتوتر: الحكاية مهتعديش أكده بالساهل؛ رحيم مش زي وفاء، لاه رحيم كبير هوارة .

محمد بثقة: محدش يعرف إن اني اللي عميلتها غيرك، وبعدين من ميته بتحب رحيم اكده ؟

هاشم بحدة: انته اللي مش عارف نتيجيت اللي عميلته ديه ايه .

محمد ببرود: ولا حاجه وبكره تيعرف .

لم يكن أي من هاشم ومحمد يعلمان أن همام يقف خلف الباب، وقد سمع حديثهما بالكامل، خرج همام من المنزل لا يعلم ماذا يفعل، ولكنه قرر الذهاب إلى المشفى حتى يطمئن على رحيم ..

وأخيرا وصل إليها، علم أن حالة رحيم حرجة للغاية، كان يقف مثل التائه، برأسه الكثير من الأفكار، لا يعلم ماذا يفعل، من بعيد نظر إليه حسن الذي لاحظ التوتر الواضح عليه، فاقترب منه بهدوء حتى وقف أمامه ..

حسن: مالك يا همام شكلك أكده زي اللي عامل عامله ؟

همام بتوتر: اني لاه .

حسن بشك: طيب تعال وياي .

خرج كل من حسن وهمام إلى الخارج، ووقفا بالقرب من المشفى بمكان هادي

نسبيا.

حسن بجدية: ها جولي اللي تيعرفه، ومتجوليش مخبرش حاجة واصل، لأنك لو كدبت عليا، صدجني مهعدهاش ليك واصل .

لم يجد همام مفراً من قول الحقيقة.

همام بحزن: هجولك .

حسن بغضب: يعني واد المحروج ديه هوه اللى ضرب على رحيم نار؟ وهوه كماني اللي جتل العمة وفاء ؟ ودلوك عاوز يبجي كبير هوارة؟ على جثتي، ورحيم هوه كبير هوارة، ومفيش حد هياخد مطرحه مهما كان، اسمعني زين في اللي هجولك عليه، وتنفيذه بالحرف الواحد، فاهم واللي جلته ليه دلوك معوزش حد ياخد بيه خبر، فاهم يا همام .

أشار همام بالموافقة .

حسن بجدية: اسمعني بجه .

****

على الجانب الآخر، كانت دموع تتألم وتتألم، كانت تنتظر رجوع رحيم طوال اليوم بفارغ الصبر، لا تعلم أنها ستنتظر طويلا، لم تكن تعلم أن فرحتها ستنطفئ بتلك السرعة، مرت الساعات والساعات، وليس هناك أي جديد، وأخيرا طلبت دموع من الطبيب أن تدخل قليلا إلى غرفة العناية المركزة لتراه ولو دقائق، وافق الطبيب؛ نظرا لحالتها؛ فقد كانت بحاله يرثي لها، دخلت دموع وحين نظرت إليه وجدته نائماً، لا حول ولا قوة له، معلق بجسده الكثير من الأجهزة، وهناك شاش كبير على صدره، اقتربت

منه، وسحبت كرسي، وجلست إلى جانبه، وأمسكت بيده تقبلها ..

دموع ببكاء: اتوحشتك جوي يا رحيم، أكده مش جلتلي مش هتعوج عليا، وهتاجي طوالي، ياريتك ما طلعت يا حبه الجلب، جلبي وجعني جوي يا رحيم، مجدراش اتحمل بعدك عني اكتر من اكده، اوعاك تهملني وحدي، هموت يا جلبي، بُعدك عني يبجي بموتي يا رحيم، وبعدين اني كيف هكمل وحدي ؟ انته مش جلتلي اني جلب رحيم، جلبك لساته عايش، وعاوزك وياه، بكفياك جلع يا رحيم، وجوم طيب هجولك على خبر زين جوي، كت مستنياك عشان اجولهولك، بس ملحجتش اجولك حاجه،

بس هجولك دلوك عشان ترجعلي، ونفرحوا سوه، واقتربت من أذنه، وهمست له أنها حامل، ونامت على كتفه، وانفجرت في بكاء مرير، ولكنها فجأة سمعت صوته العذب يقول بتعب

رحيم: مش جولتلك معوزش أشوف دموعك واصل طول ما إني عايش .

****

الفصل الحادي والثلاثين

رفعت دموع وجهها، وهي لا تكاد تصدق ما يحدث، رحيم ينظر لها بعيونه تلك النظرة التى تعشقها، همست باسمه بضعف، وبكت بشدة من فرحتها، رفع رحيم يده السليمة، وضمها إلى صدره، وهو يهمس لها بكلمات رقيقة؛ حتى تهدأ، ولكن لم تستطع التوقف عن البكاء، فالآن فقط عادت روحها إليها، الآن فقط علمت أنها لن تستطيع أن تعيش لحظة واحدة من دونه، فإن كانت هي الجسد فرحيم هو الروح ..

دموع وهي تشهق من شده البكاء: اني ممصدجاش حالي .

رحيم بابتسامة ضعيفة: مفكيراني هيملك، لاه وألف لاه، جاعد على جلبك .

دموع وهي تتحسس وجهه: أوعاك تغيب عني تانى، اني من غيرك أموت .

رحيم بلهفة: بعيد الشر عنك .

دموع وهي تمسح دموعها: هخرج أجولهم انك فوجت، الكل مستني على نار، كلاتهم جلجانين عليك .

رحيم بحب: متعوجيش عليا .

دموع: حاضر .

خرجت دموع وعلى وجهها ابتسامة، وقالت بصوت عالٍ؛ حتى يسمعه الجميع

دموع بفرحة حقيقية: رحيم فاج .

ارتسمت السعادة على وجوه الجميع، والكل يقول الحمد لله، ويدعو له بالشفاء العاجل، ساعات وانتقل رحيم إلى غرفة عادية بعد الاطمئنان عليه، بينما ذهبت دموع لترى والدته، اقتربت دموع منها، فهي بحاله يرثي لها، معقول تلك المرأة القاسية أصبحت هكذا لا حول ولا قوة لها، لا تستطيع أن تفعل أقل شيء لنفسها، آهٍ لو علم الإنسان كم هو ضعيف وأن الدنيا فانية.

اقتربت منها دموع، وقبلت يديها بينما كانت نظرات الأم بها لهفة، وكأنها تسألها عن حال ولدها.

دموع: كيفك يا مرت عم ؟

أشارت لها برأسها، أنها على ما يرام، فأمسكت دموع بيدها، وقالت وهي تبتسم: عيندي خبرزين جوي ليكي، رحيم فاج .

نظرت لها الأم بفرحة، ونزلت دمعة من عيونها، جعلت قلب دموع ينفطر عليها، فهي أولا وأخيرا والدة رحيم، وإن كانت هي قاسية؛ فدموع ليست كذلك، وعفت عنها ..

مسحت دموع دموعها، وقالت لها: بكفياكي زعل، عاوزينك تجومي بسرعة جوي، اني كماني عيندي خبرتانى هيفريحك جوي.

ابتسمت دموع بخجل وقالت: اني حبله في الهواري الصغير.

نظرت لها الأم بألم، وكأنها تقول لها أنها أسفه على كل ما بدر منها، بينما دموع قبَّلت رأسها، وقالت: هروح أشوف رحيم، وأرجعلك تاني، مهتأخيرش عليكى، ولما يبجي مليح هجيبه لحد عيندكي يشوفك .

أشارت لها الآم بالموافقة... بعد خروج (دموع)، نزلت دموع والدة رحيم، وكانت تحدث نفسها، وتسألها ماذا استفادت من حقدها وكرهها؟ أرادت قتل دموع فكان عقابها أن أصبحت عاجزة، وكانت ستخسر ولدها الوحيد، لم تعد تشعر بأي ضغينة لأحد، فقط تدعو ربها أن يسامحها على ما حدث، ولا يهم ما حدث لها، فما يهمها الآن ان الله استجاب لها، وشفى رحيم ..

كانت تتألم، وهي تناجي ربها: اني خابره زين اني مره عفشه جوي، خجلانه من حالي، وخجلانه اطلب اي حاجه منيك يارب، بس انته غفور رحيم، اغفرلي يارب، واعفي عني، عشان أجدر أحمدك، وأكون جريبه منك، واكفر عن اللي عيملته جبل

سابج، يارب اني خلاص معنتش رايده حاجه من الدينيه واصل، اتعلمت الدرس زين جوي، وعيرفت أن دموع هي زينه البنته؛ مسبتنيش زي أي واحدة كانت هتعمل أكده لو أم جوزها زيي، لكن هى بت أصول مهملتنيش واصل، حتي الحمام كانت بتدخل معاي، كنت بتجطع من جواي لمن كنت بفتكر انى عاوزه اجتلها، مكنتش اعريف أن هتكون هيه عكازي اللى هتنسد عليه، يارب سامحني، واهديني، واحفظ ولدي ومرته، وكمل حبلها على خير، يارب انته جادر على كل شيء .

****

بينما على الجانب الآخر، كانت لغرفه رحيم تعجُّ بالكثير من الأقارب، والجيران، والأصدقاء، الكل يريد الاطمئنان عليه، ولكن حسن لاحظ التعب بادياً على وجه رحيم، فقال بصوت عالٍ دون حرج: بكفيانه أكده يا جماعه؛ رحيم لساته تعبان .

أقرَّ الجميع بالموافقة، وخرجوا، وكل منهم يتمنى له الشفاء العاجل، بينما قال رحيم لزين: فينها دموع ؟

زين: هشوف راحت فين وأجي .

أشار له رحيم بالموافقة، بينما جلس حسن إلى جانبه، بعد أن سحب أحد الكراسي، وجلس عليه.

رحيم: عينيك بتجول أن في حديت واعر جوي عاوز تجوله .

حسن: مش وجته، لمن تخف نتحدتو .

رحيم بشك: انته عيرفت حاجه عن اللي طخني ؟

كان يهم حسن بالرد حين دخلت دموع، فاستأذن حسن، وخرج هو ووالد دموع .. اقتربت منه دموع بحب، وقبلت خده، وأمسكت بيده، نظر لها بعتاب: كنتي فين

أكده؟

دموع بكذب: كت في الحمام .

رحيم بتساؤل: امال فين أمى مجتش تطول عليا ؟

نظرت دموع إليه، وقالت كاذبة؛ فحالته لا تتحمل أي شيء؛ فمازال مريضا.

دموع: أمك مشت عيند خالتك جبل ما نيعرف اللي حصول وياك، الحمد لله محدش جال حاجه، هي متيعرفش اللي حصول .

رحيم: الحمد لله .

دموع بتساؤل: هو ايه اللي حصول وياك ؟ انى لحد دلوك مخبراش كيف حصول أكده .

رحيم وهو يستند برأسه إلى الخلف، يتذكر ما حدث: كنت راجع على الدار بعد ما خلصت الشغل.

فلاش باك

كان رحيم يقود سيارته، وهو في طريقه إلى المنزل كعادته يومياً في نفس الميعاد، ولكن حينما اقترب من البلد وجد أن هناك شجرة تسد الطريق، أوقف رحيم السيارة، ونزل حتي يزيحها، وبالفعل أبعد الشجرة عن الطريق، والتفت حتى يرجع إلى سيارته، ولكن فجأة شعر بألمٍ بصدره، وعلم أن هناك من أطلق النار عليه، فقد كان ألماً لا يوصف، وضع يده على صدره، وجد الدم ينفجر بقوة، لم يستطع الوقوف أكثر من ذلك، فقد كان يشعر بالضعف وانعدام القوة، فسقط على ركبتيه، وبعدها لا يعلم ماذا حدث؛ فقد سقط في ظلام عميق .

باااااك

دموع بألم: الحمد لله عدت على خير.

رحيم بتساؤل: الحمد لله، انتي كتي بتجولي حاجة، واني بفوج، بس مخبرش هيه ايه .

نظرت له دموع بابتسامة، واقتربت منه، وسحبت يده ووضعتها على بطنها، رفع رحيم عيونه لها، وابتسم بقوة ..

رحيم: انتي حبلة .

أشارت له دموع بنعم، فسحبها إليه، وضمها إلى صدره بقوة، وهو يحمد الله على تلك النعمة .

****

بينما على الجانب الآخر، كان هاشم الهواري، يجلس بمندرة منزله، يشرب الشيشة، وهو يفكر فقد وصله منذ قليل خبر نجاه رحيم الهوارى

حمد ربه على ذلك؛ فهو لم يكن يريد قتله، نعم يكرهه لكن لا يريد قتل أحد، لم يكن يعلم أن محمد الهواري حين طلب منه أن يعرف له كل شيء عن رحيم ومواعيده كان يريد قتله، فقد كان فقط يظن أنه سيؤذيه بعمله، ولكن القتل لم يفكر به نهائيا ..

آفاق هاشم من شروده على صوت حسن الهواري، وهو يلقي السلام، ردَّ هاشم السلام عليه، ورحَّب به، ولكن لِمَ أتى ؟ والغريب نظرات حسن إليه كانت نظرات غريبة كارهة، وكأنه يشعر بالقرف منه

هاشم: خير يا حسن .

حسن وهو يجلس مقابلته: جاي عشان آخد حج كبير هوارة، اللي كنتم هتجتلوه .

الفصل الثاني والثلاثين

شعر حينها هاشم وكأن أحدهم صبَّ عليه دلواً من المياه المثلجة، شعر ببرد يصيب جسده بقوة وتوتر رهيب ..

هاشم: اني ماليش صالح بحاجه

حسن بغضب: بكفياك كدب، اني خابر زين ان محمد الهواري وانته متجفين على اكده .

هاشم بعصبيه: لاه واللهي لاه، اني مكنتش اعريف غير لمن طخه، وجتهيه بس عريفت أنه كان ناوي يجتله، لكن مكنتش خابر حاجه جبل ما يطخه .

حسن بتساؤل: وجتل عمتي وفاء .

هاشم: ماليش صالح بيه، صوح اعريف انه هوه اللي جتلها، لكن ماليش صالح، ووفاء مكنتش هيه المجصودة .

حسن بتعجب: تجصد ايه؟

هاشم وهو يمسح على وجهه بيده من التوتر: محمد كان ناوي يجتل زين الهواري، لكن وجت ما كان هيطخه وفاء شافته، وخدت الطلجة مطرح زين، بس مكنتش هيه المجصوده، بعديهيه هوه هرب، ومرجيعش تاني غير دلوك، ومحدش خابر انه هوه اللي جتلها .

حسن بحدة: بس انته كت خابر كل حاجه ومجولتش، سبت شيطان عايش بينتنه وسكت .

هاشم بتوتر: محدش يعريف محمد كيف ما انى اعريفه، محمد كيف الحنش يجتل أي حد يجرب منيه .

حسن بقوة: إذا كان هوه حنش فإني تعلب، واعرف كيف أوجعه في شر أعماله .

هاشم بتساؤل: رحيم يعريف حاجه من الحديت ديه ؟

حسن: لاه محدش غيري اني وولدك همام اللي يعريف الحديت ديه .

هاشم بصدمة: همام يعريف ؟!

حسن بحدة: ايوه يعريف، وهوه اللى جالي كل حاجه، راجل مهيسكتش عن الحج.

هاشم بحزن: اني ماليش صالح .

حسن بجدية: في ايدك تنجي نفسك من اللي انته واجع فيه .

هاشم بأمل فهو يريد أن يصلح كل شيء؛ فهو لا ذنب له؛ فذلك الخسيس هو من دبر كل شيء؛ وسوف يوقع به معه؛ لا يريد تشويه صورته أمام ولده ..

هاشم: كيف .. اني هعميل ايوتها حاجه .

حسن بلهجة تحذير: اوعاك تيفكر تغدر؛ لأن وجتهيه محدش هيرحمك ميني، وديت فرصتك الوحيدة.

هاشم بحزن: خابر.

حسن: دلوك اسمعني زين .

****

بينما على الجانب الآخر بالقاهرة، كانت ليلي تجلس حزينة بغرفتها، حتى أن دموعها انهمرت على وجهها من شده الحزن، دخلت ليالي عليها فمسحت دموعها سريعاً، رأت ليالي دموعها، وكانت ترى حزن شقيقتها منذ الأمس ولكن لا تعلم ما بها، جلست ليالي إلى جانب ليلي، وأمسكت بيدها، وقالت بحب

ليالي: مش احنا واحد ؟

ليلي بصوت مخنوق من البكاء: طبعا .

ليالي: يبقي تقوليلي مالك، واوعي تقولي مفيش، ساعتها هزعل أوي بجد، هحس فعلا اننا مش واحد، وانك مش حاسه براحه عشان تحكيلي، فاكره اللي حصل معايا كنتي أول حد وقف جنبي، اديني فرصه أنا كمان أكون جنبك .

انفجرت ليلي في البكاء، واحتضنت شقيقتها

ليلي: حبيته يا ليالي، حبيته، ومش هقدر أبعد عنه، مش عارفه ازاي حصل، ولا امتي، بس حبيته.

ليالي بابتسامة: تما ده كويس، حسن إنسان كويس جداً، وهتبقي مبسوطة معاه.

ليلي ببكاء: انتي ناسيه الشرط اللي قلته، انه لازم يطلقني، ازاي عاوزاني أرجع في كلامى، حتى هو اتغير أوي .

ليالي: ازاي ؟

ليلي ببكاء: من ساعة ما رجع الصعيد، وهو متغير معرفش ماله، كلمته انهارده عشان اطمن عليه، لقيته بيقولي اقفلي دلوقتي يا ليلي مش وقتك انتي كمان، حسسني اني راميه نفسي عليه، اتغير أوي وهو هنا كان جنبي على طول، ولما رجع حاسه انه بقي شخص تاني .

ليالي: جايز في حاجه مضيقاه .

ليلي وهي تمسح دموعها: عادي بقي، هعمل أيه يعني؟ انا كل اللي عارفاه اني مش هقدر أقوله اني بحبه أبداً، واني هخسره رغم حبي ليه، وده اللي تعبني أوي، عمري ما تخيلت اني أحبه، بس هو اللي بشخصيته ورجولته حببني فيه .

ليالي بحب: متزعليش انتي، وخلي أملك في ربنا كبير، واللي مكتوب هتشوفيه، وان شاء الله ربنا يجمعكم سوا، وتقضي حياتك كلها معاه، بس انتى قولي يارب .

ليلي بأمل: يارب

****

على الجانب الآخر بغرفه رحيم بالمشفى، تحسنت حالته الصحية كثيرا، نظرت له دموع، وهي تفرك يدها بتوتر منذ الصباح، وهي تفكر كيف تخبره عن حالة والدته الصحية، فقد كانت أمه في حاله يُرثي لها، دموعها لا تتوقف، عيونها تخبر دموع أنها تريد رؤيته بعيونها حتى تطمئن عليه، حتى أن الطبيب أخبرها أنه ممكن حينما تراه تتحسن حالتُها، لذلك أخذت القرار، وقررت أن تخبره بما حدث لوالدته، وسوف تأخذه إليها حتى لو استند عليها، أو على كرسي متحرك؛ حتى لا يتعب؛ فكل ما يهمها الآن هو أن تريح والدته، التي تتألم لبعد ولدها، وقلقها عليه ..

نظر رحيم إلى دموع ولاحظ توترها وشرودها ..

رحيم: مالك يا دموع ؟

دموع: هاه مفيش حاجه، سلامتك .

رحيم: لاه .. واضح جوي أن فيه حاجه مش رايده تجولهيه ليه ؟

دموع بجدية، وهي تمسك بيده: عاوزه اجولك على حاجه بس، معوزكش تخاف،

ولا تجلج .

رحيم وقد شعر بالقلق: في ايه؟ جولي يا دموع طوالي .

حكت له دموع ما حدث مع والدته، حينها تألم رحيم بقوة، وقال بحدة، وهو يسحب يده بعيداً عنها

رحيم: كيف تخبي عليه حاجه زي ديت؟ كيف؟

دموع بسرعة: كت لساتك تعبان خفت عليك .

رحيم: خفتي عليه، وله عشان بتكرهي أمي ما صدجتي يحصول وياهيه أكده .

شعرت دموع بالصدمة: انته بتجول ايه يا رحيم ؟

رحيم بغضب، وهو ينزل من تخته، وقد شعر بالألم، ولكن تحامل على نفسه: مش وجت حساب دلوك، لما نيروح نبجي نتحاسبو سوه، ناديلي على (حسن) وعمي (زين) .

فعلت دموع ما أمر به، بينما طلب هو منهما أن يساعداه حتى يذهب إلى والدته؛ فقد كانت دموع ضعيفة ولن تتحمل بنيته الضخمة، وأيضا حامل، ويبدو عليها الشحوب والتعب؛ فخاف عليها؛ بينما حزنت دموع بشدة؛ لأنه لم يطلب مساعدتها، وابتعد عنها، وشك بها أنها سعيدة بما حدث مع أمه، آهٍ لو يعلم الحقيقة لخجل من نفسه، مشت دموع خلفهم حتى وصلوا إلى غرفة الأم التي حين رأت ولدها انهمرت دموعها بشدة .. أجلس العم وحسن رحيم إلى جانبها، وخرجوا بينما ظلت دموع ..

ضمَّ رحيم أمه بقوة، وانهمرت دموعه على وجهه؛ فهو السبب بما حدث لها، وعلم أنها تعشقه، هل هذه أمه التي كانت قوتها تعادل الرجال؟

حزن بقوة وقال: ألف سلامة عليكى يا امه، يا ريتني كت اني.

أشارت له الأم بلا، ودعت في سرها أن يطيل الله عمره، ويحميه من كل شرٍّ..

رحيم بحزن وهو ينام على صدرها: مجدرش اصدج اني هكلمك، ومهترديش عليا .

حينها وجد والدته تحاول الحديث، وبالفعل سمع صوتها، ولكنها كانت تتحدث بطريقة صعبة وبطيئة

الأم: اني زينه .

فرح رحيم بقوة: ان شاء الله هتكوني احسن من لاول، هجبلك احسن دكاتره، ومش هخليكي تحتاجي حاجه .

ابتسمت الأم له، ونظرت إلى دموع، وأشارت لها برأسها أن تأتي، اقتربت دموع منهما، بينما نظر لها رحيم بغضب ..

الأم وهي تتحدث ببطء: دموع مهملتنيش واصل، هيه بتي اللي مخلفتهاش، شيلهيه فوج راسك .

قبلت (دموع) رأسها، بينما شعر رحيم بالصدمة مما قالت الأم، وشعر بالخجل من نفسه، ومن حديثه إليها منذ قليل، بينما هي من كانت تعتني بوالدته ..

دموع بحب: المهم تجومي لينه بالسلامة، اني هملكم لحالكم هبابه، وأبجى ارجع تانى .

نظر لها رحيم، وكأنه يخبرها بأسفه، ولكن عيونها أخبرته، كم هي تتألم من شكه بها، خرجت دموع، وأغلقت الباب خلفها، وانفجرت في البكاء، وهي تحدث نفسها هل لتلك الدرجة يظن رحيم أنها عديمة الرحمة؟ هل ظن أنها سوف تشمت بوالدته؟ كيف فعلها؟ ولكن لن تسامحه أبدا على ما قاله لها .

****

بينما على الجانب الآخر، في غرفه جميله.

أمسكت جميله هاتفها، وقامت بالاتصال برقم كرم، وقالت بكل ما أوتيت من

قوة، كانت قوية لن تضعف أمامه مهما كان؛ فهي أخت حسن الهواري، وامرأة هوارية لا تخشى أحداً حتى وإن كانت ستموت ..

كرم بسماجة: ممصدجش حالي التلفون بيرجص !

جميله بقرف: مالوش لزمه حديتك الماسخ ديه، اني هستناك انهارديه الميغرب عيند أرضينه؛ عشان نتحدتو سوا .

كرم: هكون هناك من جبل الميعاد .

أغلقت جميله الخط بوجهه دون حتى سلام، فقلد اتخذت قرارها، وهو من بدأ، والبادي أظلم، وليتحمل نتيجة فعلته .

****

الفصل الثالث والثلاثين

كان كرم يقف ينتظر جميله في المكان المتفق عليه، يشعر بالنصر، وأنها أخيرا سوف تعود إليه كما أراد، وسوف تكون تحت رحمته ثانيا يفعل بها ما يشاء، دقائق ووجدها تقترب منه، ابتسم لها بسماجة وبرود، أرادت ان تلكمه بوجهه حتى تزيح تلك الابتسامة عن وجهه ..

كرم: أخيرا جيتي، كت عارف إن مرجوعك ليه في الآخر.

جميله بكره: بالغش والكدب، انته كيف تعمل اكده؟ تحط راسي على جسم نسوان من غير خلاجات كيف ؟

كرم بحدة: واعميل اكتر، صحيح اني عيملت اكده لكن محدش هيشوفها، وهتتمسح وجت ما ترجعيلي تاني، اني عيملت اكده عشان ارجيعك ليه، وعشان انتي اللي توجفي لاخوكي ورحيم، عيملت اكده عشان يفكيروا أن رجعوك ليه بمزاجك مش غصب عنيكي .

جميله بسخرية: ندمانيه على كل يوم جضيته وياك؛ لأنك مش راجل .

كان يهم بالرد عليها، حتى قطع حديثه صوت حسن العالي، وهو ممسك هاتفه بيده ..

حسن الهواري: طول عمري بجول عليك واطي .

التفت كرم بصدمة، وجد حسن ووالد كرم وبعض أولاد عمومته وكبار هوارة يقتربون منهم، نظر حسن إلى جميله، واقترب منها، وقبَّل رأسها، وقال: بكفياكي ارجعي انتي على الدار دلوك، واجفلي الخط، الكل سمع حجيجته .

تركتهم جميله، وهي في حالة من الارتياح الشديد، وهي تتذكر ما فعلته بكرم .

فلاش باك

قررت جميله ليله أمس أن تنصب الفخ لكرم، ولهذا في الصباح الباكر ذهبت إلى غرفة شقيقها، وأخبرته بما حدث معها، كان حسن في حالة جنون، أراد قتله، ولكن جميله أخبرته أن قتله لن يفيدهم بشيء، فطلبت منه أن يحضر بعضنً من رجال هوارة وأولاد عمه ووالد كرم، ويقفوا على مقربة منهما، وهي قبل وصولها إليه ستقوم بالاتصال بحسن، وهو يفتح الخط لهم، ويجعل الهاتف على الأسبيكر؛ حتي يسمع الجميع، ويتم فضحه أمامهم، وبالفعل وافق حسن على ذلك بعد أن ترجته جميله .

باااك

جميله بابتسامة: وجعت في شر أعمالك يا كرم .

****

اقترب حسن من كرم، وقال له بهدوء، بلهجة لا تقبل النقاش: هات تلفونك .

أعطاه كرم الهاتف بسرعة، فمسح حسن الصور، وقام بتكسيره بقدميه، بينما اقترب والده منه، وهو يشعر بالذل والعار، وقام بصفعه على وجهه بقوة، وهو يقول: جلبي غضبان عليك ليوم الدين، من انهارديه هعتيبرك مت .

رفع حسن صوته، وقال للجميع: ايه حكمكم يا هوارة غير الجتل؛ لأني مهجتلوش، مش عشانه، لاه عشان أبوه وأمه وبس مش هحرج جلبهم على واحد خسيس .

أقرَّ الجميع أن يفارقهم، فاقترب منه حسن، وقال بقرف: اني مهضروبكش؛ عشان موسخش يدي، جدامك ليلتين وتسيب البلد، ولو الوجت خلص وانته لساتك اهنيه، يبجي ساعتهيه دمك حلال، ودلوك غور من جدامي .

اختفي كرم بلمح البصر، وهو لا يصدق أنه نجا بفعلته تلك، اقترب حسن من والد كرم، وأمسك بيده وقبلها: معوزكش تزعل يا عمي، اني ولدك، وصدجني كرم هيفضل طول عمره اكده .

الأب بدموع: الله يسهله يا ولدي، ومش عارف اتشكرلك كيف، واحد غيرك كان جتله .

حسن: لو عاوز تشكر، تشكر جميله؛ لانهيه خافت عليك، وعلى مرتك، وحلفتني مجربش منيه، واني وفيت بوعدي، وحجك عليا، بس كان لازم يغور من اهنيه، مجدرش بعد اللي حصول أسيبه جدامي، وارفع راسي كيف وسط الخلج، ساميحني يا عمي .

الأب وهو يربت على ظهر حسن: انته ونعم الرجال يا حسن، كت اتمنيه تكون ولدى، بس جدر ومكتوب، واني مزعلانش واصل، وهوه خد جزاءه .

حسن باحترام: طيب يله خليني ارويحك دارك .

الأب: يله يا ولدي .

****

على الجانب الآخر بالقاهرة، كانت ليلي تجلس بغرفتها، تتصفح إحدى المجالات الطبية، حين رنَّ هاتفها برقم حسن، لم تفتح الخط سريعاً؛ فقد كانت ترتجف من الداخل مع كل جرس منه، وأخيرا فتحت الخط ..

حسن: السلام عليكم .

ليلي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

حسن . كيفك ؟

ليلي: الحمد لله كويسه، انت عامل ايه ؟

حسن بتعب: تعبان جوي الأيام اللي عديت كانت وعره جوي .

ليلي بقلق: خير ربنا يستر .

حكى لها حسن ما حدث مع رحيم وجميله، وهو يتعجب نفسه؛ لأول مره يشتكي همه لأحد، ولكنها زوجته، وبئر أسراره، ولمن يشكو إن يكن لها؛ فالحياة الزوجية مشاركة بكل شيء، حتى بالحزن وليس بالفرح فقط .

ليلي: يا خبر بجد ربنا معاكم، أنا مش عارفه ازاي حد يجيله قلب يقتل كده بكل بساطة .

حسن بضحك: هههههههه انتي بس اللي جلبك كيف الخصاية .

ليلي: لا والله بتكلم جد، انت لقدر الله ممكن حد يعمل معاك كده، مش ممكن محمد ده ينتقم منك، ويعمل معاك زي رحيم .

حسن بجديه: ممكن محدش خابر إيه اللي في راسه .

ليلي بصوت مخنوق، وقد انقبض قلبها: انت ازاي بالبرود ده، عارف ان الراجل ده شيطان، وعادي كده، انت مش بتحس أصلا، والله لو جرالك أي حاجه مش هسامحك؛ لأنك مش خايف على نفسك .

حسن: جلجانيه عليه ؟

ليلي دون وعي: طبعا لازم اقلق عليك مش جوزي .

حسن بابتسامة من قلبه: تصدجي بالله .

ليلي: لا إله إلا الله .

حسن: اني دلوك كل الهم اللي كان جواتي راح لحاله، لمن سميعتك وانتي خايفه

عليه أكده .

ليلي بخجل: حسن لو سمحت عشان خاطري خد بالك من نفسك .

حسن: حاضر .

ليلي: وعد .

حسن: وعد .

ظلت تتحدث معه لبعض الوقت، وأغلقت الخط أخيرا وهي تشعر بفرحة لا توصف، وبعدها غطت فى نوم عميق، وهي تحلم به وحده دون غيره .

****

على الجانب الآخر بالمشفى، كانت دموع تعامل رحيم بكل جفاء، لا تتحدث سوى بنعم وحاضر فقط، ونظرا لوجود العديد من الأشخاص للاطمئنان على رحيم؛ لم يستطع أن يتحدث معها، حتى سنحت له الفرصة، يجدها تنسحب مسرعة من الغرفة، وتذهب إلى والدته، وفي المساء لم تكن تبيت معه؛ فقد طلبت من والدها أن يظل برفقة رحيم، وهي ستكون بمرافقة أمه ..

استمر الحال هكذا لمدة أربعة أيام، كان رحيم يراها تذبل أمامه، والسواد يحيط عيونها، هو السبب فقد كانت في قمة سعادتها لشفائه، وكانت تحلق في السماء؛ لأنها ستنجب منه، لكنه هدم كل شيء، وحطم قلبها حين ظنَّ بها السوء، وقتها فقط جعلها تشعر أنه غريب عنها، لا يفهمها ولا يعرف أيا من طباعها،

وهاهو الآن رحيم سوف يخرج من المشفى؛ فقد تماثل الشفاء، وأصبح بمقدوره

العودة إلى المنزل، وإكمال علاجه هناك، كانت دموع تقوم بجمع كل شيء داخل الحقيبة، وهي لا تتحدث، بينما هو يراقبها، ولا يزيح عيونه عنها، كان يتابعها دون ملل، ولكن فجأة وجدها تمسح دمعة عن خدها بسرعة؛ خوفا أن يراها، لم تكن تدري أنه رأي تلك الدمعة، وتمزق قلبه من الحزن؛ فهو وحده السبب ..

وأخيرا انتهت من جمع كل شيء، دموع بجديه دون أن تنظر له: اني خلصت، في حاجه عيندك لساتهه متلمتش .

رحيم: لاه .

دموع: طيب اني هروح عيند مرت عمي .

كانت تتجه إلى الباب، حين استوقفها صوت رحيم: دموع .

وقفت دموع مكانها، والتفت إليه: نعم .

رحيم بحزن: مش بكفياكي، اني خابر زين اني ليكي حج تاخدي على خاطرك ميني، لكن بكفياكي عاد، اني مجديرش اتحمل طريجتك ديت .

دموع بحدة: واني كماني مبجيتش جادره اتحمل اني اكتم جواتي همي، وابجي عادي أكده، عشان الناس، بكفياني صوح زي ما جولت .

رحيم بفرح: يعني خلاص مزعلناش .

دموع: اني مش زعلانيه يا رحيم لاه .

ونظرت له والدموع تنهمر على وجهها: اني مجهوره منيك .

حينها انصدم رحيم بقوة، فقد كان وجهها فعلا يعبر عن كل كلمة تقولها، وقد بان القهر عليها.

رحيم بجديه: مكنش جصدي .

دموع: رحيم .

رحيم: نعم يا جلب رحيم .

دموع بجدية: اني رايده منيك تبعد عني واصل، واللي ليك عيندي هعمله، ومرت عمي فوج راسي، مهو ميصوحش انى أهمل دارك والحال أكده، ساعتها صوح ابجي جليله الأصل، اني لحد ما ربنا يزيح عن مرت عمي هفضل وياك، وأول ما تجف على رجليها تانى، يبجي خلاص .

رحيم بتساؤل: خلاص ايه ؟

دموع وهي ترفع وجهها، وتنظر له بعيونه بكل عند وتحدٍ: وجتهيه هعمل دارك، وارجع دار ابوي .

****

الفصل الرابع والثلاثين

نظر لها رحيم بتركيز لثوانٍ معدودة، وقد أشفق عليها، شعر أنه إذا ضغط عليها، وزاد من عصبيتها، من الممكن أن يحدث لها شيئ، كانت هشة إلى حد بعيد، طاقتها منعدمة، وكأنها تحاول أن تثبت له أنها ليست ضعيفة، لذلك وخوفا عليها قال لها.

رحيم بجدية: على راحتك يا دموع، وجت ما أمي تجوم بالسلاميه، وجتهيه هعميلك اللي انتي عاوزاه .

نظرت له دموع بحزن، وفتحت الباب دون كلمة، وخرجت وهي تفكر، كانت تتوقع منه أن يثور عليها، ويقول لا، ويخبرها كم يحبها، ولكن وجدت أنه يستغنى عنها بكل بساطة، أين الحب الذي كان يقول عليه ؟ أين ذهب ذلك الحب ؟ وكأن الطلقة التي أصابته جعلته يفقد إحساسه بكل شيء، أصبح كالحجر لا يشعر بأي شيء مهما كان !

****

على الجانب الآخر، في منزل هاشم، كان محمد وهاشم يتحدثان سويا، وفي نفس الوقت كان هاشم يسجل كل حرف عن لسان محمد.

فلاش باااك

ذهب كل من هاشم وحسن إلى القسم التابع لهم، وتم تقديم محضر ضد محمد، وقد طلبوا إذن من النيابة العامة لتسجيل اعترافه بقتل وفاء، ومحاوله قتل رحيم الهواري، وبالفعل تم الحصول عليه،

وهاهي قد سنحت الفرصة لهاشم للقضاء عليه، ويقوم بالتكفير عن ذنوبه .

بااااك

محمد: جولتيلي انك عاوزني خير.

هاشم بتوتر: لاه مفيش حاجه، كت زهجان جلت نجعدوا سوا نتحدت .

محمد وهو ينظر له بشك، وهو يشعل سيجاره، ويأخذ نفساً عميقاً: رحيم هيخرج انهارديه عيرفت ؟

هاشم: ايوه عيندي خبر، احمد ربك انهيه عدت على خير.

محمد بعصبية: بعد ما أرتيب واخطط، وفعلا انفيذ، وخلاص كان هيموت وهخلص منيه، يجوم منهيه اكده ديه، كيف الجطط بسبع ترواح .

هاشم: بكفياك جتل يا محمد، الأول فاء ودلوك عاوز تجتل رحيم .

محمد بغضب: انته خابر زين أني مجصدتش اجتل وفاء واصل، ورحيم لازمن يموت، ولازمن اني ابجي كبير هوارة .

هاشم: طيب روج اكده متتنرفزش .

محمد: اني هجوم اروح دوره الميه واجي .

خرج محمد من الغرفة، حينها قام هاشم بالاتصال بحسن، وأخبره أنه قام بالتسجيل لمحمد، وسجل اعترافه أنه من قتل وفاء، وحاول قتل رحيم، ولكنه لم يكن يدري أن محمد كان يسمع كل شيء؛ فمنذ وصوله والشك يدور برأسه من ناحيته ..

أغلق هاشم الخط بعد أن أخبره حسن أنه سوف يقوم بالتبليغ، ويحضر برفقة الشرطة للقبض عليه

حينها دخل محمد، واقترب من هاشم، وقال له بعيون تلمع من الغضب

محمد: ليه ؟

هاشم وهو ينظر له بتوتر: ليه ايه يا محمد ؟

محمد بصوت عالٍ: ليه اتفجت مع حسن ليه ؟ كت مفكير انك صحبي، لكن

طليعت خاين، والخيانيه تمنهيه الموت .

وأخرج محمد مسدسه من جيبه؛ فقد كان لا يفارقه نهائيا، وأطلق رصاصة أصابت هاشم في منتصف رأسه أوقعته أرضاً، والدم ينزف بشدة، وقد انتقل إلى ربه في ثوانٍ، شعر محمد بالتوتر، وقام بتفتيش هاشم، وأخذ هاتفه، وانطلق إلى الخارج، وهو يتوعد حسن ورحيم، وأنه سوف يذيقهم العذاب ألواناً .

****

بعد هروب محمد بنصف ساعة، وصل حسن الهواري، وبرفقته رجال الشرطة، وحين دخلوا وجدوا جثة هاشم، وعلم حسن حينها أن محمد قام بقتله؛ لأنه علم أنه قد خانه؛ فالأمر لا يحتاج إلى التفكير..

اقترب حسن منه، وأغلق عينيه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان المنزل يعج برجال الشرطة، وقد انتشر الخبر في دقائقَ أن هاشم الهواري قد قُتل، وانطلق العديد من الغفر ورجال الشرطة للبحث عن محمد، ولكن لا أثرَ له، وكان الأرض انشقت وابتلعته ..

كان حسن يجلس حزيناً على موت هاشم، فقد وفَّى بوعده له، ودفع حياته ثمنا لذلك الوعد، أقسم حسن بداخله أن يأتي بحق كل من ضرَّهم ذلك الخسيس

في تلك اللحظة دخل همام، وهو في حاله يرثي لها، ونظر إلى حسن، وكانت عيونه تسأله ماذا حدث، لم يستطع حسن أن ينظر له، ونظر إلى الأرض..

حينها نظر إلى الجهة الأخرى، همام وجد والده ملقى أرضاً فاقداً الحياة

اقترب منه بسرعة، وجثا على ركبتيه، وبكى نعم بكي فالأب والأم مهما كانوا فحبهم لا يوصف، حين يفقد الإنسان أيا منهما يشعر وكأنه فقد جزءاً من روحه.

همام: إنا لله وإنا إليه راجعون، الله يرحمك يا ابوي، إنا لله وإنا إليه راجعون ..

ظلل يرددها، ويدعي لوالده؛ فقد كان ونعم الرجال الصابرون، رضي بقضاء الله وقدره، وعلم أن محمد هو من فعلها، وأن الشرطة تبحث عنه .

اقترب حسن من همام، وأمسك به من كتفيه، وأوقفه وأخذه بحضنه بقوة، فقد كان يحتاج إلى أي شخص يستند عليه بتلك اللحظة، وذلك الوقت العصيب ..

حسن: اوعاك تزعل يا همام، أبوك نفذ وعده، وكان هواري صوح .

همام وهو يبتعد عنه: اني خابر زين انه مبجاش زي لاول، وجالي انه عمره ما هيغلط تاني واصل، وكان بيدعي ليل ونهار لربه عشان يسامحه، الله يرحمه .

حسن: يارب، متجلجش دمه مهيروحش هدر، ومحمد آخرته جربت، وهجيبه لو في آخر الدينيه.

همام: عارف يا واد عمى .

****

بعد مرور يومين، على الجانب الآخر بالقاهرة، كانت ليلي وليالي تجلسان سويا، وتتحدثان في مواضيع مختلفة ..

ليلي: مش عارفه (حسن) تليفونه مقفول خالص .

ليالي: وانا كمان كلمت دموع انهارده؛ عشان اطمن عليها تانى، لقيت تليفونها مقفول، ممكن يكون عيب شبكه ولا حاجه .

ليلي: جايز ودموع عامله ايه ؟ مبسوطة طبعا ان جوزها خف .

ليالي: أكيد طبعا، وهي حامل كمان، بس معرفش ليه حاسه إن فيها حاجه .

ليلي بتعجب: ازاي يعني ؟

ليالي بجدية: مش عارفه يا ليلى، حساها صوتها مخنوق، حزين، مش دي دموع خالص اللي انا اعرفها.

ليلي: لا ده عادي أكيد عشان حامل، هرمونتها مش مظبطة، وممكن تكتئب كمان، في ناس كده .

ليالي بتمنٍ: ربنا يستر، ويكملها على خير يا رب .

ليلي بتساؤل: بابا متصلش هو وماما .

ليالي: لا اتصل، وقال ممكن يتأخروا شويه؛ الدنيا زحمه عند الدكتور أوى .

ليلي بزعل: انا مش عارفه ليه مصحنيش من النوم عشان اروح معاهم ؟

ليالي: هو مرضيش، وبعدين سيبيه على راحته، بابا اتخنق مننا، من كتر ما احنا خايفين عليه .

ليلي بحب: ربنا يخليه لينا يارب .

في تلك اللحظة رنَّ جرس الباب، وقفت ليلي سريعاً، وذهبت لتفتح الباب ظناً منها أنه والدها

ليلي وهي تفتح: أنا زعلانة منك ...

كانت ستكمل حديثها، ولكنها وجدت أمامها محمد الهواري .

****

الفصل الخامس والثلاثين

ليلي وهي تنظر للشخص الواقف أمامها بتعجب: حضرتك مين ؟

محمد بتساؤل: انتي مرت حسن الهواري ؟

ليلي بخوف: أيوه أنا خير حصل حاجه له لا قدر الله .

محمد: لا هوه محصلوش حاجه، بس هيحصول جريب جوي .

ليلي بعصبية: انت مين؟ وعاوز ايه؟

حينها قام محمد الهواري بإظهار مسدسه جعل ليلي ترتعد منه

محمد: خشي جوه .

رجعت ليلي إلى الخلف، وأغلق الباب، وهي ترتعد وفي نفس اللحظة، خرجت ليالي فصرخت من المنظر، أشار لها محمد بالسكوت.

محمد بغضب: لو سيمعت حس واحده منيكم، هخلص عليكم .

ليلي بخوف: لا لا احنا هنعمل اللي انت عاوزه، قولي بس انت عاوز ايه ؟

طلب منها محمد أن تحضر هاتفها، وتقوم بالاتصال بحسن، وحين رد عليها أخذ الهاتف ..

حسن: السلام عليكم .

محمد بانتصار: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مفاجأة.. صوح ؟

حسن نظر إلى الهاتف من صدمته، حتى يتأكد أنه رقم ليلي، ولكن الصوت صوت محمد.

حسن بصوت عالٍ: انته بتعمل ايه عيندك؟ هجتلك يا محمد، هجتلك .

محمد بسخرية: اسمعني زين، انته دلوك موجفك ضعيف، ولا مش خايف على

مرتك ؟

حسن بغضب جنوني: لو مسيت شعره منهيه مش هرحمك .

محمد بحدة: بكفياك واسمعني زين، تجيلي انته ورحيم انهارديه، تكونو أهنيه وحديكم، ولا انته خابر زين اني ممكن اعمل ايه، وصدجني اني مش باجي على حاجه .

وأغلق الخط

****

على الجانب الآخر بالصعيد، كان حسن بغرفته، كان يتحرك بكل غضب بعد أن أغلق محمد الهاتف، شعر بالضياع وقلة الحيلة، وكأنه كالأسد الحبيس الذي لا يستطيع التصرف، فقام بتكسير كل شيء وجده أمامه، جعل جميع من في البيت يأتي إليه بقلق

جميله وهي تدخل خلفها الأم والجدة

جميله: مالك يا اخوي ؟ فيك ايه ؟

الأم وهي تقترب منه بخوف عليه، وهي تنظر حولها: فيك ايه يا ولدي ؟

الجدة: أكيد فيه حاجه واعره جوي اللي تخليك أكده يا حسن.. فيه ايه ؟

حسن وهو ينظر إليهم، ويتحدث بصوت مكتوم: محمد الهواري عيند مرتي وبهددني بيها .

انصدم الجميع مما قال، ماعدا الجدة التي قالت بكل قوة: وانته هتفضل واجف أكده وتسيب مرتك ؟

حسن بغضب وهو يجز على أسنانه: واللي خلج الخلج لخليه عبرة يا ستي .

الجدة وهي تربت على ساعده: روح يا ولدي، دمه حلال، اجتله لأنه خسيس وخاين .

قام حسن بالاتصال برحيم، وأخبره ما حدث، وأخبره أنه هو من قتل وفاء، وحاول قتله، وبالفعل لم يتأخر رحيم، وأخبره أنه سوف يستعد وينتظره للذهاب إلى القاهرة .

****

في غرفة دموع ورحيم، سمعت دموع المكالمة، وعلمت ما حدث، وعلمت أيضا أن محمد من أطلق الرصاص على رحيم ..

دموع بخوف: انته رايح فين ؟

رحيم بقوة: رايح آخد حجي .

دموع وهي ترتعد: محمد مهيسكتش، اني خايفه عليك، محمد كيف الشيطان مفيش عينده رحمة.

رحيم بهدوء وهو يقترب منها: عاوزني أداري في الدار كيف الحريم، وابجي خايف منيه، واني كبير هوارة ؟

دموع: لاه مجصديش يا رحيم، بس أني خايفه جوي، محمد في لاول جتل أمي، وكان عاوز يجتلك، ودلوك مخبراش عاوز منيك ايه ؟

رحيم بوعد: وغلاوتك عيندي لاخد حجك منيه يا دموع، واخليه يتمنه الموت على اللي هعميله فيه.

دموع بأمل: مش هيحصولك حاجه صوح ؟

رحيم بوعد: لاه .. وهرجعلك بس نفسي تجولي إنك مسمحاني؛ عشان اروح واني جلبي مرتاح.

دموع بحب: اني مسمحاك على طول يا رحيم، وربي عالم، ولو عجلي زعل هبابه منيك، جلبي عمره ما يزعل، اني لو بعدت عنيك أموت .

رحيم بحب: انتي جلب رحيم .

دموع وهي تحتضنه: هتوحشك جوي جوي يا رحيم .

رحيم وهو يضمها إليه: متخافيش، مش هتأخر عليكى يا جلب رحيم .

ولكن دموع كان بداخلها خوف لا يوصف، لا تعلم، ولكن قلبها منقبض للغاية .

****

بالقاهرة وصل الأب والأم إلى المنزل، وكانت صدمتهم بوجود محمد، وتهديده لهم، قام محمد بربطهم جميعا، وكتم أفواههم، مرت الساعات والساعات طويلة عليهم

وأخيرا اتصل محمد بحسن

محمد: فينك يا حسن ؟

حسن: جدامي ساعتين، وأكون عيندیك .

محمد: تينور انته وكبير هوارة .

وبالفعل مرَّ الوقت، ووصل كل من حسن ورحيم إلى المنزل، وكانا يسيران بكل حذر، ولكن الغريب أنهم وجدا باب الشقة مفتوحاً، دخل حسن وخلفه رحيم، وجدا أمامهما الجميع مقيداً، ولكن لا أثر لمحمد،

قام حسن ورحيم بفك وثاقهم، وهم لا يعلمون أين هو ..

ليلي وهي تبكي بقوة: حسن ده هرب .

ليالي بصدمة: مين ده ؟ ده مجنون رسمي .

رحيم بجدية: أهدوا يا جماعة، وجولولي ايه اللي حصول؟ وفينه محمد؟

الأب: بعد ما كلم حسن في التليفون، فجأة لقيناه سبنا ومشى، ومحدش عارف راح فين، وطبعا زي ما أنتم شايفين، كان مكتفنا كلنا .

حسن: طيب ليه عيمل أكده ؟ وهوه مجربش من حد منيكم ؟

ليلي بتوتر: انا مش عارفه، بس واضح انه في حاجه في دماغه، ده شخص مش طبيعي، وواضح أوى إنه بيكرهكم .

حسن: متجلجيش، اني هتصريف .

رحيم لحسن: مخبرش جلبي ممرتاحش للي حصول، حاسس إن فيه حاجه تانيه هيعملهيه، هيه ايه؟ مخبرش .

حسن: يمكن جلج عشان أكده هرب زي الجبان .

رحيم بتفكير: لاه محمد في راسه حاجه تانيه .

حسن: تجصد ايه ؟

رحيم بتوتر: مخبرش، بس جوايا إحساس بيجولي انه مش مرتك هي اللي في راسه، كان عاوز يخوفك وبس، لكن مش هيه المجصوده .

حسن بغل: لازمن نمسكوه الخسيس ديه .

الأب: اتفضلوا يا جماعه اقعدوا، انتم جايين من سفر، والبنات ومامتهم بيحضروا الأكل .

رحيم: ملوش عازه، احنه هنرجعوا الصعيد تاني طوالي .

الأب: لا والله مش قبل الغدا، ولا أنتم بخله .

حسن: خلاص يا عمي اللي تؤمر بيه .

****

كان همام الهواري قد قرر الذهاب إلى منزل رحيم؛ فهو قريب من قلبه، ولكي يخبره أن والده لم يكن له دخل بمحاولة قتله، وأن والده تغيَّر نهائياً، ويطلب منه أن يسامحه، وصل إلى المنزل، وكان المساء قد حلَّ، ولكنه ظل ينادي، ولا مجيب، أين رحيم وزوجته والخدم ؟ كان سيهم بالذهاب، ولكن استوقفه صوت أحدٍ يئن بالداخل، فتح الباب سريعاً، والغريب أنه حين لمسه، وجده مفتوحاً، دخل بسرعة،

وجد إحدى الخدم مرمية أرضاً، ورأسها ينزف، ووجد والدة رحيم أرضاً تبكي، وتئن من الألم، اقترب منها

همام سريعاً، وحملها، وأجلسها على الكنبة ..

همام بلهفة: مرت عمي .. ايه اللى حصول ؟ وفينه رحيم ؟

والدة رحيم بلسان ثقيل: محمد خطف مرت ولدي .

همام بصدمة: دموع !!

****

الفصل السادس والثلاثين

بكت والدة رحيم، وهي تحكى له ما حدث ..

فلاش باك

كان تجلس والدة رحيم برفقة إحدى الخدم في صالة المنزل، بعد أن أقنعتها دموع أن تخرج من غرفتها، وتركتها منذ قليل لتطمئن على الجدة ..

فجأة ودون سابق إنذار، وجدت باب الصالة يُفتح بقوة، ويدخل محمد الهواري، وبيده مسدس

صرخت الخادمة بقوة، فاقترب منها، وضربها على رأسها بالسلاح، ففقدت الوعى، واقترب من والدة رحيم، وكانت امرأة قوية لم يظهر عليها الخوف، وإنما كانت تنظر له بكل قوة وجرأة، حتى وإن كانت عاجزة لن تخاف منه

محمد بفرحة: مبسوط جوي اني شفتيك أكده زينه جوي .

والدة رحيم بثقل: وانته كماني نهايتك جربت .

محمد وهو ينحني بجسده، وينظر إليها عيونها بشر: مش محمد الهواري اللي يوجع واصل .

والدة رحيم: انته جاي اهنيه عاوز ايه ؟ ايه اللى جابك؟

محمد بحقد: جاي اتشفي فيكي، وجاي آخد دموع .

الأم بصدمة: دموع كيف؟ دموع مرت رحيم، هيجتلك لو جربت منهيه .

محمد بغل: اني خسرتهيه نوبه، ومش هخسر تانى واصل .

في تلك اللحظة نزلت دموع لترى ما يحدث بالأسفل، وجدت محمد وبيده السلاح، ولا تعلم ماذا يفعل، كان قريبا جدا من والدة رحيم، فقالت بخوف: مرت عمي .

محمد بفرح: اهيه اجيت ست الحسن .

دموع وهي تقول بشجاعة: انته ايه اللي جابك اهنيه ؟ هيه الحكومة مش بتدوير عليك ؟

محمد وهو يقترب منها، ولكن دموع لم تتحرك، كانت تقف مكانها لا تظهر خوفها

محمد بابتسامة باردة: جيت عشان آخد حجي .

دموع بتوتر من اقترابه منها: حج ايه ديه ؟

ولكن محمد لم يرد عليها، وإنما أمسك بها بقوة، وكبَّل يديها، ووضع منديلاً به مخدر على أنفها، حتى غابت عن الوعي، فحملها ليتجه إلى الخارج، فأمسكت به والدة رحيم بقوة

والدة رحيم بعجز: لاه .. دموع لاه .

ولكنه دفعها بقدمه بقوة، فسقطت أرضاً، لا حول لها ولا قوة، وسمعت صوت سيارة ينطلق بالخارج، فعلمت أن ذلك الخسيس أخذ دموع بالفعل وهرب .

باااااااك

همام: لازمن نبلغوا الحكومة، واجول لرحيم، هوه فينه اكده ؟

الأم: إدلي مصر .

أخرج همام هاتفه، وقام بالاتصال برحيم، وأخبره بخطف دموع، وبعدها قام بالتبليغ عما حدث في منزل رحيم، في دقائقَ معدودةٍ انقلبت هوارة رأسا على عقب، فالمخطوفة زوجة كبير هوارة، وليست امرأة عاديه، إنها هوارية .

كان همام يقف برفقة رجال الشرطة أمام منزل كبير هوارة

الضابط: ازاي مفيش حراسة على بيت زي ده ؟

همام: اهنيه كلاتنه أهل، مفيش بينتنه حد عفش، ولا حد يقدر يعميلهيه ويخون كبير هوارة، وبيت كبير هوارة مفتوح لكل اللي عنده شكوى، ومحتاج حاجه، لكن محمد ديه زرع شيطاني .

الضابط: طيب ورحيم بيه عرف ؟

همام: ايوه وجاي في الطريج .

الضابط: احنا بمنشط البلد، والطرق المجاورة، وإن شاء الله نوصل لحاجه .

همام: واني كماني ورجالة البلد هندويرو، ونجلب الأرض فوجاني تحتاني لحد ما نلجوهيه

****

علي الجانب الآخر بالقاهرة، كان رحيم يتحدث بالهاتف وفجأة وقع كوب الشاي من يده، ووقف وأصبح وجهه أصفرَ بقوة، وأغلق الخط، وهو يقول أنه قادم بسرعة ..

حسن بتعجب: مالك يا رحيم ؟ مين اللى اتحدت وياك ؟

رحيم وهو بصوت متحشرج غريب: محمد خطف دموع .

انصدم الجميع مما قاله رحيم.

الأب: معلش يا ابني، إن شاء الله ترجع بالسلامة .

حسن بغضب: الخسيس جلبي كان حاسس إنه بيدبر لحاجه تانيه، بس مجاش في بالي إنه يخطوف دموع .

ليلي بحدة: هو ايه الراجل؟ ده محدش قادر عليه .

رحيم بجدية: هتاجي معاي يا حسن ولا لاه ؟

حسن: أكيد جاي وياك .

انطلق حسن ورحيم بعد أن طلب الأب منهم أن يخبروه بما حدث معهم، حال وصولهم، وأي خبر عن سلامة دموع؛ حتى يطمئن قلبهم .

****

على الجانب الآخر بالقاهرة، بعد ذهاب رحيم وحسن ..

ليلي: ربنا يسترها عليهم .

الأب: أمين يارب .

الأم بخوف: لا يا اخويا انا قلبي مش مطمن، ازاي عاوزني أجوز بنتي هناك وسط كل ده ؟

الأب: انا فعلا كمان خايف، وحاسس اني مش مرتاح، حسن كويس لكن الأوضاع هناك مش مناسبة.

ليالي: يا بابا ده ظرف طارئ بس

الأم: اسكتي انتي، أنا مش مستغنيه عن أختك .

ليلي: يعني عاوزين ايه ؟

الأب: مش وقت كلام دلوقتي خالص، لحد ما الموضوع ده يخلص، بعدها نبقي نتكلم .

****

وأخيرا وبعد يوم طويل وصل رحيم إلى هوارة، وكان لا أحد يعلم بحاله، يتمزق من الداخل، يشعر بأن أحدهم سحب منه روحه، يريد أن يدمر كل شيء أمامه، أقسم أن يقتله مهما كان، وسوف ترجع له ثانيا، فلا يمكن له العيش دون دموع لحظة واحدة ..

زين بحزن: بتي يا رحيم، هيجتلها كيف ما جتل وفاء .

رحيم وهو يربت على كتفه: دموع هتيرجع يا عمى، على جثتي لو حصلها حاجه .

حسن: لازمن نفكروا فين ممكن يكون مخبيها، محدش يعرف عنه أيوتها حاجه، غير أبوك يا همام الله يرحمه .

همام: مخبرش اني مكنتش بتحدت مع أبوي عنه واصل .

رحيم: أكيد مبعدش عن اهنيه، ملحجش يبعد، ويخاف يمشي بيها دلوك على الطريج؛ لأنه أكيد فاهم إن الحكومة بتدوير عليه، عشان اكده هو رتيبها مليح، ودموع جريبه بس فين مخبرش .

حسن: احنه هندوير في كل شبر.

وبالفعل انطلق الجميع يبحث عنها، ولكن لا أثر لها، كان رحيم يشعر بالضياع، وقلة الحيلة، وكأنه عاجز لا يستطيع فعل شيء، ولكن بداخله إحساس غريب إنها قريبة منه، ولم تبتعد كثيراً ..

جلس بسيارته وحيداً بعد بحث طويل، وهو يتذكر كل شيء، براءتها، وضحكها، ويتذكر كيف كانت تخاف عليه، وحتى أنها سامحته دون أي شيء، كيف يكون بذلك الغباء ولا يقوم بوضع الغفر على المنزل ليلا ونهارا بعد علمه بما حدث معه؟ كيف تركها وحدها فريسة له؟ كان الشيطان يصور له العديد من الأشياء تحدث معها، ولكنه ظل يدعو ربه أن يدله عليها، وألا يطول الفراق .

****

على الجانب الآخر، كان محمد الهواري يجلس أمامها، ينتظر أن تفيق، وبالفعل دقائق، وبدأت دموع تفيق، وحين فتحت عيونها، صرخت بقوة، فصرخ بها أن تصمت، فخافت دموع، وانكمشت على نفسها وصمتت ..

محمد وهو ينظر لها: خايفه ميني ليه يا وفاء ؟ مش بكفياكي بعدتي عني كتير جوي؟

دموع بصراخ: اني مش وفاء، اني دموع حرام عليك .

محمد: اني خابر أن مهنش عليكي تهمليني وحدى، عشان أكده رجعتيلي تاني، واني خلاص مهبملكيش واصل .

دموع بقهر: حرام عليك، اني حبلة .. حرام .

محمد بغضب وهو يقف، ويدور حول نفسه بغضب: كيف تخلي حد تاني يجرب منيكي ؟

دموع بحدة: ديه جوزي ومهيرحمكش واصل .

محمد فجأة مسح على وجهه، وجلس ثانية أمامها، وقال بهدوء: خلاص اني مش هجولك حاجه، والعيل اللي جواكي ديه ولدي، هنربوه سوا، ومش هخليكم تحتاجوا حاجه واصل، اني ماصدجت انك تكوني وياي، من يوم ما رجيعت وشفتك، عيرفت انك كنتي مستنياني ارجع يا وفاء، انى جلبي بردك مكنش مصدج انك موتي واصل .

نظرت له دموع بقهر، وانهمرت دموعها، وهي تدعو بداخلها أن يجدها (رحيم) بسرعة، فطاقتها بدأت في النفاذ، ولن تتحمل ذلك المجنون كثيراً .

****

مر يومان، ومازال الحال هو الحال، كانت والدة رحيم تشعر بولدها، وكأنه قد كبر عشر سنوات، بان عليه الحزن والتعب ..

اقترب رحيم من أمه، وقبَّل يدها، ونام على قدمها، وهو يقول بألم: جلبي وجيعني جوي يا امه .

الأم بحزن: حاسه بيك يا ولدي، لكن ما باليد حيلة .

رحيم: كل أمه فكير انى ممكن مشفهاش تانى، أحس اني هموت، مش هجدر اتحمل، كيف اتحمل أن مرتي وولدي يروحوا ميني اكده ؟ كيف؟

الأم ببكاء: إن شاء الله هتلاجيهم يا ولدي .

رحيم ودموعه تنزل على وجهه؛ فالوحيدة التى لا يخجل منها هي أمه: حاسس انى عاجز، واني السبب في ضياع دموع، ياريت كت اني مت، وهيه فضلت موجودة اهنيه .

الأم: بعيد الشر عنك يا ولدى، دموع هترجع، وبكره تجول أمي جالت .

رحيم وهو يقول بقهر: فراجها صعب جوي، واعر كأن على صدري حجر مجديرش أتنفس .

الأم: ادعي يا ولدي، وربك كبير.

رحيم: يارب .

****

على الجانب الآخر، يومان ودموع ترفض الطعام والشراب، لا تتحدث، تدعو ربها فقط أن يخلصها من ذلك الوغد، وأن يعثر عليها رحيم بسرعة .. كانت لا تعلم أين هي، ولكن الغرفة كانت نظيفة، وحتى الطعام والشراب جميل، كانت متوفرة لها كل سبل الراحة، ولكن دموع كانت لا تشعر بالرغبة بأي شيء،

منذ حوالي ساعة سمعته، وهو يخرج من المنزل، ولكن إلى أين ؟ لا تعلم

وبعد مرور وقت قليل، سمعت صوت طفل ينادي، أنه قد وجدها، وكأنه يحدث أحدهم

وقفت دموع سريعاً، وذهبت إلى الشباك، وحاولت فتحته، ولكن بصعوبة، وكان يوجد عليه قضبان من الحديد، ولكنها لم تيأس، نادت على الطفل بكل قوتها، وهي تنظر لترى أي شيء، كان المكان يعتبر جديد، والمباني فيه غير مكتملة ..

سمع الطفل الصغير أحدهم ينادى، وهو يجلب الكرة الخاصة به، فقد رماها أحدهم بقوة، فانحرفت بعيدا، وجاء ليأخذها، فرجع إلى الخلف؛ ورأته دموع، كان طفلا في الحادية عشر من عمره ..

دموع بحزن: اني مخطوفيه، وجاعده اهنيه غصب عني .

الطفل: انتي مين ؟

دموع ببكاء: اني دموع، مرت كبير هوارة رحيم الهواري .

الطفل بتساؤل: اني اعميلك ايه يا عمه جوليلي ؟

دموع بسرعة: تيعرف هوارة ؟

الطفل: ايوه اعريفها، جربيه من اهنيه .

دموع: عاوزك تروح هناك دلوك، وتسأل عن كبير هوارة، وتجيبه وتاجي بس بسرعة جبل ما يحصولي حاجة .

الطفل بوعد: حاضر مهتأخرش عليكى .

أغلقت دموع الشباك حتى لا تثير ريبة محمد، وظلت تدعو أن يفعل الطفل ما قالته له، وأن يأتي رحيم سريعاً، وينقذها .

****

كان رحيم يجلس برفقة همام وحسن وزين الهواري، وكل منهم يحاول أن يفكر،

أين يكون محمد، ولكن لا أحد يعلم ..

زين بحزن: اني جلبي معدش جادر يتحمل، دموع غايبه بجالها أيام، ومحدش خابر إذا كانت ماتت ولا لساتهيه وياه .

رحيم بحدة: دموع ممتش، وبكفياك الحديت ديه يا عمي .

حسن: صلو على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن شاء الله هنعطر فيها .

وجد رحيم أحد الغفر يدخل، وبيده طفل صغير

الغفير: السلام عليكم .

رد الجميع السلام

الغفير: يا كبير الواد ديه عاوزك، ولمن سألته جالي عاوز كبير هوارة .

رحيم وهو ينظر للطفل بتعجب

رحيم: خير يا ولدى ؟

اقترب الطفل من رحيم وقال: دموع بتجولك الحجها .

****

الفصل السابع والثلاثين

وقف رحيم بسرعة، وأمسك بكتفي الطفل، وهو يسأله بلهفة شديدة: هيه وين ؟

لاحقه زين بالحديث: بتي دموع، جول يا ولدي هيه، مليحه .

رحيم لاحظ خوف وارتباك الطفل من نظراتهم له لذا قال: الصبر يا عمي دلوك نيعريف كل حاجه.

وبدأ رحيم بسؤال الطفل، وهو ينظر له بطريقة هادئة؛ حتي لا يثير خوفه

رحيم: انته تيعريف مكانها ؟

الطفل: ايوه .. اني كت بلعب كوره اني والعيال، لجيتهيه بتنادم عليه، وجالتلي اجيلك، واجولك أكده.

رحيم: يعني تيعريف توصلنه ليها ؟

الطفل ايوه اعريف .

انطلق رحيم وحسن والطفل بسيارته، يتبعهم همام وزين، كان رحيم يشعر بنفاذ صبره؛ يخشى أن يذهب ويجدها قد ذهبت إلى مكان آخر، كان يشعر أن الطريق طويل للغاية.

آفاق من شروده على صوت حسن: براحه يا رحيم انته أكده هتجتلنه بسوجتك ديت .

رحيم: خايف منلحجهاش .

حسن: ان شاء الله هنلحجها .

رحيم: يارب .

****

على الجانب الآخر بالقاهرة، كانت ليلى صامتة مكتئبة، منذ حديث والدها ووالدتها على حسن، خائفة أن يفرقوا بينهما؛ ولأنها لم تظهر له حبها، خشيت أن يستمع لهم، أصبحت لا تريد شيئاً ليس لها رغبة حتي بالأكل، تغيرت كثيراً، وأصبحت مثل الوردة الذابلة، سمعت ليلي صوت طرقات على باب غرفتها

ليلي: ادخل .

دخل الأب وهو يبتسم لها: مسموح ادخل .

ليلي بابتسامة: تعالي يا بابا، انت تعمل اللي انت عايزه.

الأب دخل، وجلس أمامها وقال: مالك يا ليلي ؟

ليلي بكذب: مفيش حاجة، أنا كويسة .

الأب: على أساس انى مش عارف بنتي، انتي من يوم اللي حصل، وانتي متغيره مش ليلي بنتي القوية، لا حاسك كده ضعيفة .

ليلي: لا يا بابا أبدا ممكن إرهاق بس وتعب نفسي من اللي حصل .

الأب: انتي زعلتي من كلام مامتك، وكلامي على (حسن) صح ؟

لم تستطيع ليلي الرد، وإنما انهمرت دموعها، وأخبرته كل شيء، كانت تتألم منذ ذلك اليوم، تعلم أنهم يخافون عليها، ولكن لا يمكنها أن تفترق عنه، وتعلم علم اليقين أن حسن سوف يحافظ عليها، ويخشى عليها أكثر من نفسه ..

الأب وهو يقترب منها، ويضمها إليه: متعيطيش يا حبيبتي، انتي عارفه إن كلامنا من خوفنا عليكي، يا ليلي أنا وماما ملناش فى الدنيا غيرك انتي وليالي، وربنا عالم إنكم كل دنيتنا .

ليلي بصوت متحشرج من شده البكاء: أنا عارفه يا بابا، بس كمان حسن مش وحش، ولو كنت مفرقش معاه مكنش جه بالسرعة دي عشاني .

الأب: انا عارف كويس ان حسن راجل، بس احنا زي أي أب وأم خايفين عليكي، بس عمرنا ما هنقف فى طريق سعادتك أبداً .

نظرت له ليلي نظرة أمل: بجد يا بابا ؟

الأب بحب وابتسامة: طبعا يا ليلي، أنا عمري ما هاجبرك على حاجه، ولا عمري عملتها وانتي كبيره وواعية ومسئولة عن تصرفاتك، وكمان أنا لو شايف إن حسن مش هيصونك، مكنتش وافقت عليه، لكن هو راجل بجد، وهو الراجل اللي اتمناه لبنتي، صحيح الجو هناك أحيانا ممكن يكون خطر، لكن كل مكان فيه الوحش والحلو، والإنسان لو مكتوب له أي حاجه هتحصله لو فين، عشان كده أنا مش عايزك تزعلي، وانسى الكلام اللي حصل كله .

ليلي احتضنت أباها بقوة: ربنا يخليك ليا يا بابا، وميحرمنيش منك.

ابتعدت عنه ليلي، ولكن قالت له بتفكير: طيب وماما يا بابا ؟

الأب: سيبي أمك عليا، أنا هعرف أراضيها، واقنعها بس انتي تقومي بقي تفرفشي، وتاكلي، وترجعي ليلي بنتي اللي أنا عارفها .

ليلي بفرحة: حاضر ربنا ما يحرمني منك أبداً .

****

على الجانب الآخر، كانت دموع تشعر بالتعب والإرهاق الشديد، فمرت أيام دون أن تأكل فقط الماء هو ما تشربه، كانت تفكر هل ذهب الطفل إلى رحيم؟ هل أخبره؟ لا تعلم شيئاً، سوى أنها حبيسة في تلك الغرفة، لا حول ولا قوة لها، ومحمد هو سجانها ..

فجأة سمعت صوت تكسير على الباب، جعلها ترتعد، وتخاف، وتنكمش على نفسها، خائفة مما يحدث، هل هذا محمد ؟ وماذا يفعل ؟ ولكنها سمعت صوت حبيبها وزوجها رحيم، وهو ينادي من خلف الباب بشوق: دموع .

وقفت دموع سريعاً، ومشت إلى الباب، كانت تشعر أنها لا تستطيع المشي على قدميها، لا تستطيع أن تحمل جسدها، كانت مترخية مثل الجيلي .

دموع بلهفة وبكاء وراحة: رحيم .

رحيم بصوت قوي ومطمئن لها: بعيدي عن الباب يا دموع؛ اني هكسيره .

جلست دموع على التخت، وثواني وكان رحيم وحسن يدخلان الغرفة؛ فوالدها وهمام تعطلت سيارتهم، ولم يستطيعوا أن يلحقوا بهم، دخل رحيم وجرى مسرعاً إليها، واحتضنها بقوة

رحيم: جلب رحيم .

انفجرت دموع بالبكاء، بانهيار لا تعرف لماذا، ولكن تبكي وتعلم أنها على صدر زوجها مطمئنة، لم تشعر بالراحة والاطمئنان سوى الآن ..

رحيم بحب: لاه يا دموع، اوعاكي اشوف دموعك تاني واصل، اني جنبك، ومش هفارجك تاني أبداً .

دموع وهي تدفس رأسها بصدره: كت خايفه جوي اني ....

رحيم وهو يقاطعها: متكمليش يا دموع عمري، ما هسيبك، ولا ابعيد عنيكي، واللي حصل ديه مش هيحصول تاني .

حسن: رحيم لازمن نمشوا من أهنيه دلوك؛ دموع شكلهيه تعبانه، لازمن نودوها المستوصف نطمنوا عليها .

رحيم: عيندك حج .

حمل رحيم (دموع) بين يديه، وهم بالخروج من الغرفة، يتبعه حسن، ولكن كانت المفاجأة

محمد بسخرية: علي وين يا رحيم أكده ؟

رحيم بغضب: جيت لجضاك .

أخرج محمد مسدسه، وجعله تجاه دموع: هجتلها يا رحيم، لو جربت خطوة واحدة ميني .

وضع رحيم دموع على كنبة بجانبه، ووقف أمامها هو وحسن ..

من سرعتهم لم يأتِ أيٌّ منهم بسلاحه، ولذلك كان موقفهم ضعيفاً

حسن: بكفياك يا محمد، وسلم حالك .

محمد وهو يضحك بسخرية: عاوزني ادخل السجن برجلي، لاه اني هاخد دموع، ونمشوا من أهنيه .

رحيم بغضب: على جثتي .

محمد بغضب: اني هاخدها غصب عنيكم، والا هجتلكم، وبرده هخدها .

حسن: يبجي تجتلنا لاول عشان توصلها .

وجد (حسن) (رحيم) يمشي إلى الأمام، ويقترب من محمد

رحيم بتحدٍ وقوة رجل لا يخشى الموت: اجتلني أنا واجف جدامك اهو، اجتل .

محمد بتوتر: هجتلك يا رحيم .

رحيم بغضب: اجتل .

أطلق محمد رصاصة من مسدسه بيد مرتعشة؛ خوفا من رحيم، أصابت ذراع رحيم، حينها صرخت دموع بقوة، واسودت الدنيا أمامها، وفقدت الوعي

ولكن رحيم كان سريع البديهة، وأمسك بمحمد، وظل يكيل له اللكمات، ويضربه بشدة، وتبعه حسن أيضا حتى سقط أرضاً، أخذ (رحيم) المسدس، وأمسك به، واقتربا من دموع؛ ليعرفا ماذا حدث لها، وكان ظهرهما له، كان رحيم يهم بحملها على كتفه، حين سمع صوت محمد

محمد: مهتخدهاش ميني إلا على جثتي.

كان محمد يمسك بسلاح آخر كان معه يخبئه بملابسه، ولكن رحيم أخذ نفساً عميقاً، والتفت بسرعة الصقر، وأطلق الرصاص عليه، فرغ المسدس كاملا بصدره حتى مات، لم يشعر رحيم بأي ندم، وإنما شعر بالراحة؛ لأنه انتقم، وأخذ حقه من ذلك الخسيس، وأنهم تخلصوا منه إلى الأبد ..

حسن: خد دموع المستوصف، واني هبليغ واتصريف .

خرج رحيم سريعاً، وهو يحمل دموع على كتفه، ومنها إلى سيارته، وجد الطفل بالأسفل يقف إلى جانب السيارة؛ فرحيم قد منعه من الصعود؛ معه خوفا عليه

الطفل بفزع: مالك انته بتنزيف ؟

رحيم: لاه متخافيش عليا، أن زين هروح مشوار، وارجعلك، دارك فين يا ولدي ؟

أخبره الطفل عن منزله، وبعدها انطلق رحيم إلى المشفى ..

كانت دموع في حاله يرثي لها، وقام طبيب آخر بإزالة الطلقة من كتف رحيم، بعد جدال كبير معه، فلم يكن يهمه سوى دموع رغم تعبه، ولكنه تحامل على نفسه، ولم يقبل بأي بنج نهائياً، سوى موضعي فقط، حتى لا يفقد وعيه، فقد كان الجرح بسيطاً ..

وأخيرا خرجت الطبيبة من الغرفة، اقترب منها سريعاً.

رحيم: كيفهيه يا داكتوره ؟

الطبيبة: للأسف حالتها سيئة جدا، وضغطها منخفض، واضح إنها مبتاكلش نهائي، وعندها حالة ضعف في جسمها كله، ده غير النزيف ..

رحيم بصوت حاد من قلقه: يعني ايه مفهمش ؟

الطبيبة: ادعيلها لأن الساعات الجايه صعبه، ولو متحسنتش والنزيف موقفش، مش هيكون قدامنا حل إلا إننا نجهض الطفل، ادعيلها .

وقف رحيم مذهولاً مما حدث، هل وجدها لتضيع منه مرة أخرى؟ لا وألف لا، لن يسمح لها بالذهاب، فهو مازال لا يصدق أنه قد وجدها، لا يهمه أمر الطفل، هي كل ما تهمه ..

جلس رحيم على الأرض، ورفع يديه، وظل يدعو أن ينجيها الله، وأن يشفيها شفاء لا يغادر سقما

رحيم بصوت كله أمل وترجي من الله سبحانه وتعالى: يااارب .

****

الفصل الثامن والثلاثين

وصل كل من زين الهواري وهمام إلى المشفى، بعد أن علموا بما حدث لدموع، كان الجميع بحالة قلق ورعب عليها، كانت الدقائق تمرُّ وكأنها ساعات بل سنوات، كان رحيم لا يتحدث، سيطر الصمت عليه، لا يهمه الآن سواها، وإن كان قدره ونصيبه أن يفقد طفله فهو راضٍ بقضاء الله وقدره، ولكن يريدها هي بأفضل حال ..

مرَّ الوقت حتى جاء حسن الهوارى بعد ساعات، واقترب من رحيم، وكان برفقة ضابط الشرطة

حسن: كيفهيه دموع يا رحيم ؟

رحيم بحزن: مخبرش مستني أيوتها حاجه عنهيه، جولي عيملت ايه ؟

أخبره حسن أنه قد أخبر الشرطة عما حدث، وتم نقل جثة محمد إلى المشرحة، وها قد جاء معه ضابط الشرطة حتى يري إن كانت دموع قد استعادت وعيها؛ كي يكمل التحقيق، ويغلق المحضر، وأن ما حدث كان دفاعاً عن النفس.

الضابط: أنا عارف إن الظروف دلوقتي مش مناسبة، وألف سلامة على المدام، وإن شاء الله تقوم بالسلامة.

رحيم باقتضاب: تسلم.

الضابط: أنا هنتظر حضرتك والمدام، بعد ما تخف تيجوا المركز؛ عشان نقفل المحضر، ومرة تانية ألف سلامة .

شكر كل من رحيم وحسن الضابط لتفهمه الموقف، ووعده رحيم بالحضور حين يستقر الوضع.

حسن بعد ذهاب الضابط وهو يجلس الي جانب رحيم: متيجس يا واد عمي؛ مرتك هتجوم إن شاء الله.

رحيم بحزن: جلبي مجبوض جوي يا حسن، مخبرش ليه حاسس إن في حاجه عفشه هتحصول .

حسن: لاه اوعاك تجول أكده، ربك رب جلوب، وعالم بيك، وإن شاء المولي اللي جاي هيكون زين جوي، وبكره تجول حسن جال .

وقف رحيم؛ فكان يشعر بالاختناق: اني هخرج هبابه وأعاود .

حسن: خلي تلفونك مفتوح، اوعاك تجفله واصل .

رحيم: طيب .

ذهب رحيم وهو لا يعلم إلى أين تقوده قدماه، كان يشعر بكل شيء من حوله يصيبه بالاختناق، يريد فقط أن يشم نفسه ولو قليلا .

****

على الجانب الآخر، في منزل رحيم الهواري، علمت الجدة ما حدث مع دموع ورحيم، ولكنها لم تتوقف عن التسبيح والدعاء لهما، وطلبت من الخدم أن تنزل إلى الأسفل، وهاهي تجلس برفقة والدة رحيم الباكية حزناً وقهراً على ولدها وزوجته .. ولكنها كانت مندهشة كثيرا من صبر الجدة، وابتسامتها من حين لآخر، فقالت لها والدة رحيم بثقل: بتضحكي يا مرت عمي واحنه في المرار ديه ؟!

الجدة: الحمد لله على كل حال يا بتي، كله جدر ومكتوب .

والدة رحيم: كانك مزعلناش على دموع ؟

الجدة بصبر وإيمان: مين جال اكده؟ ربي عالم اني بتجطع، لكن كماني عيندي ثجة في الله أن دموع مهيصبيهاش حاجة واصل، وانهيه هتجوم منهيه، وتكون أحسن من لاول كماني بإذن الله .

والدة رحيم بأمل: صوح يا مرت عمي ؟

الجدة: صوح يا بتي، بس ادعيلها وسيبها على ربك اللي فوج الكل، وخابر وعالم انهيه معيملتش حاجه شينه واصل، ربك مهيظلمش حد واصل يا بتي .

والده رحيم بأمل وترجي: يارب .

****

بينما على الجانب الآخر بالقاهرة، كانت ليلي وليالي بغرفتهما تتحدثان سويا، وليلي فرحة للغاية، وخصوصا بعد أن أخبرها حسن أن محمد قد قتل، وأنه تم العثور على دموع

ليالي: الحمد لله إن بابا قالك كده، وأنه وافق وهيقف معاكي .

ليلي بارتياح: الحمد لله، انا كنت حاسة ان خلاص، خصوصا ان عندي احساس ان حسن بيحبني زي ما بحبه، حاسها أوي يا ليالي .

ليالي: ربنا يسعدكم، بس لازم تقوليله يا ليلي إنك بتحبيه .

ليلي بتوتر: مش عارفه ببقي قويه أوي لحد ما بسمع صوته أو أشوفه، بحس اني ملبوخة، ومش عارفه أقول كلمتين على بعض، ببقي زي العيله الصغيرة، وكمان هو بيركز معايا أوي بيوترني زيادة، وكمان بسرح في عنيه أول ما يبصلي، بحس انه فهمني من عنيا، وعارف انا عاوزه أقوله ايه .

ليالي بمشاكسة: هههههه أيوه يا سيدي على الرومانسية، وانا اللي كنت بقول عليكي ملكيش في الحب، طلعتي نمره .

ليلي بكسوف: ليالي .

وقامت برمي وسادتها عليها، فانفجرت ليالي بالضحك وهي تقول لها: هههههههه مكسوفه، ده برده زي جوزك يا بنتي هههههههه ..

انتهتا فجأة على صوت الأب والأم العالي بالخارج، ثم فوجئتا بالأم تدفع باب حجرتهما، وتصرخ في ليلي بغضب: عاوزه تتجوزيه يا ليلي، عاوزة تروحي للموت برجليكي على جثتي .

وقفت كل من ليالي وليلي بصدمة لدخول الأم المفاجئ، وصراخها بتلك الطريقة لأول مرة بحياتها

ليلي بصدمة: في ايه يا ماما ؟

ولكن كان الأب هو المجيب حين قال للأم بعتاب: بقي دي طريقة تفاهم ؟ عمري ما توقعت انك تتصرفي كده، انا بتكلم معاكي تسبيني وتعملي كده.

الأم بغضب، فكانت كأي أم تخاف على ابنتها، كأي أم تموت هي، ولكن لا يُمس أطفالها بسوء، وهي ليس لها بالحياة سوى ليلي وليالي، وما فعله محمد جعلها تشعر بالخوف القاتل على ابنتها..

الأم: امال عاوزني أسكت وأوديها للموت بأيدي ؟ عاوزني أوافق على أن بنتي تروح هناك معاه وفجأة يقولي اتخطفت ولا اتقتلت ولا حصلها حاجه؟ وانت بنفسك شفت اللي حصل، وعارف كان ممكن يحصلها ايه .

ليلي بحزن: يا ماما دي حاجه نادرة بتحصل كل فين وفين .

الأم بحدة: وأنا أضمن منين كلامك ده ؟

الأب بحدة: كده مش طريقه تفاهم ولا حل مشكلة .

الأم وهي تنظر إلى ليلي، وتقول بكل غضب: مش هقولك يا ليلي إلا إنك لو اتجوزتي الراجل ده اعتبريني مت بالنسبة ليكي، وليكي الاختيار.

وتركتهم، وحينها انفجرت ليلي ببكاء، لا تعلم ماذا يحدث، هل القدر يعاندها أم ماذا ؟

بينما على الجانب الآخر، خرج رحيم، وظل يدور بسيارته، حتى وجد نفسه يقف

أمام منزل الطفل الذي أنقذ دموع، ولكن الغريب أنه وجد الطفل يسكن بمنزل بسيط، يكاد يكون غرفة واحدة دور أرضي، ويبدو عليه الفقر الشديد، والأغرب أنه وجد الطفل يجلس أمام المنزل يبكي وحزين، اقترب منه رحيم بلهفة ..

رحيم: مالك يا ولدي ؟

الطفل دون شعور، وقف وارتمى بحضن رحيم، الذي ضمه إليه بقوة: خيتي

رحيم بتعجب: خيتك ! مالهيه يا ولدي ؟

الطفل بحزن: تعبانيه جوي يا كبير، وأمي معرفاش تيعمل ايه .

رحيم: وأبوك يا ولدي .

الطفل بقهر: أبوي مات عمنول .

رحيم: خش يا ولدي، جول لأمك إن فيه ضيف .

دخل الطفل وبعد قليل سمح لرحيم بالدخول، دخل رحيم وهو ينظر أرضاً، وألقى السلام، ولكن وجد الحال أسوأ مما توقع بكثير، وسمع صوت بكاء الأم، فنظر لها نظرة خاطفة، وجدها تحمل طفلة صغيرة في حدود ثلاث سنوات، وتبكي بقهر

رحيم: بتك كيفهيه ؟

الأم ببكاء: مخبراش بتي بتموت .

رحيم: متجوليش أكده، هاتي البت وتعالي معاي .

صمتت الأم فقال رحيم دون أن ينظر لها: اني رحيم الهواري كبير هوارة، متجلجيش .

وأكد كلامه الطفل، فوافقت الأم، وذهبت معه إلى نفس المشفى التى توجد بها دموع، وتم عمل اللازم للطفلة وسط دعوات الأم والطفل له بطول العمر، وأن يحقق الله له ما يريد ويشفي زوجته ..

تركهم رحيم بعد أن اطمأن على الطفلة، وأنها بخير، وترك بعضاً من المال معهم، مع وعد بالرجوع،

وبالفعل هاهو يعود إلى دموع ثانية، وكان في استقباله (حسن) الضاحك، وهو يقول: دموع فاجت يا رحيم، وبجت زينه جوي جوي .

حينها سجد رحيم شكراً لله على سلامة زوجته وطفله، وبكي فرحاً، وعلم حينها أن من يداوِ مرضاه بالصدقة ينل ما يريد، فداووا مرضاكم بالصدقة .

****

بعد ساعات طويلة عاد حسن الهواري إلى منزله بعد يوم طويل، وكان يهم بالنوم حين وجد هاتفه يرن برقم منزل ليلي، فرد سريعا..

حسن: السلام عليكم .

وجد أن من رد السلام عليه هي والدة ليلي، فشعر بالقلق، واعتدل سريعا في جلسته

وهو يسأل بقلق: خير يا ست الكل فيه حاجه ؟

الأم: أيوه فيه يا حسن، عاوزاك تطلق بنتي .

حسن: ايه ؟

الأم: بقولك طلق ليلي يا حسن .

****

الفصل التاسع والثلاثين قبل الأخير

شعر حسن بالصدمة لمدة ثوانٍ معدودة، لا يصدق ما تسمعه أذناه، هل تطلب منه أن يطلق زوجته، أن يترك من يشتاق إلى صوتها كل ثانية؟ من لا يمل من التفكير بها كل لحظة؟ هل تطلب منه أن يترك روحه ويصبح بلا روح ؟ أيام وهو ينتظر وينتظر أن يستقر الوضع؛ ليذهب إليها ليخبرها أنه يعشقها، ولكي يخبرها أنه لن يطلقها مهما كان، وأنه لن يفعلها حتى يفارق الحياة، وأنه سيتركها لبعض الوقت حتى تتعود عليه، وتغير رأيها عنه، وأنه سينتظر اليوم التي ستأتي له بكل إرادتها المطلقة دون أي ضغط منه، والآن والدتها دون شفقة ولا رحمة تريده أن يسحق روحه بيده !

حسن بصوت غريب: انتي بتجولي ايه ؟

الأم بحدة: أظن كلامي واضح، مش محتاج تفسير، ولا صعب الفهم أوي كده، أنا عاوزاك تبعد عن بنتي وتطلقها .

حسن بعصبية؛ فلم يعد يستطيع السيطرة على نفسه، شعر بكل غضب الدنيا بداخله: كيف ديه ؟عاوزني أطلج مرتي اكده من دون سبب ؟

الأم بجدية: انت يا ابني حياتك مختلفة عننا، وبناتي هما اللى طلعت بيهم من الدنيا، ومعنديش استعداد اني أخسر واحدة فيهم، إنت من ساعة ما دخلت حياتنا، واتلخبطت الدنيا، وفي حاجات كتير مفهمتهاش، لكن عدتها عشان بنتي كانت مبسوطة، وانت كنت راجل، ودي شهادة لازم أقولها، وقفت جنبنا في تعب جوزي، وكنت أمين علينا، وأنا وربي شاهد كنت مبسوطة بيك، وفرحانة انك هتجوز بنتي، وبدعي إن ربنا يتمم عليكم بخير.

حسن: وإيه اللي اتغير دلوك ؟

الأم: اللي اتغير أن فجأة لقيت الخطر حاوط بنتي بسببك وبسبب عادتكم، وكان ممكن بنتي تروح فيها، وانت لو حزنت عليها سنة مش هتحزن التانيه، أنا اللى هنكوي بنارها طول عمري، أنا اللي خلفت، وتعبت، وسهرت عليها، أنا اللى فضلت جوايا ٩ شهور، كنت بشوف الموت كل يوم لحد ما شفتها هي وأختها، أنا اللي حسيت بيها بقلبي قبل عنيا ما تشوفها، أنا اللي كنت بسهر جنبها الليالي وهي تعبانه، أنا اللي بحس بحزنها من عنيها، أنا اللي بفهمها بس من وشها، أنا أمها وزي أى أم بتحب عيالها طلبت منك تطلقها؛ عشان خايفه عليها، ومعنديش استعداد أشوف اللي حصل ده تانى، المره دي عدت على خير، محدش عارف المره الجايه إيه اللى هيحصل، وأنا خايفة على بنتي يا ابني، قدر مشاعري، وانت إن شاء الله ربنا هيرزقك بالأحسن .

حسن بحزن: وهيه عاوزيه اكده ؟

الأم بكذب: أيوه .. كلنا عاوزين كده، وأولنا ليلي؛ اللي مر علينا مش سهل .

حسن وهو يتمزق من الداخل: ان شاء الله الوضع اهنيه يتحسن، واجي اعميل اللي انتم ريدينه .

الأم: ربنا يوفقك يا ابني، ويرزقك ببنت الحال اللي تناسب حياتك .

حسن: تسلمي .. اني هجفل دلوك، عاوزيه حاجه ؟

الأم: سلامتك، تصبح على خير يا ابني .

أغلق حسن الخط، وهو لا يعلم ماذا قال لها، ولا يعلم كيف ودعها، كان عقله شارداً، منذ أن أخبرته أن ليلي تريد ذلك وهو يشعر وكأن أحدهم طعنه بسكين في وسط قلبه، ولكن كيف هذا ؟ وهو يشعر العكس، ويري كيف تغيرت معه، وشعر في الأيام الماضية أنها تحبه كما يحبها، فقد كان القلق ظاهراً عليها، واللهفة بالحديث كل

هذا مجرد خيال منه؛ لأنه يريدها له وحده دون غيره، كان يحلق في السماء، يشعر بسعادة لا توصف، والآن بداخله كل حزن الدنيا، ولكن فليكن لها ما تريد، إن كانت تريد الطلاق فسيطلقها؛ لأنه يريدها له قلباً وقالبا، وليس بالإجبار أبدا، يعلم أنها زوجته، ومن حقه أن يفعل أي شيء، ولكن هو يريدها بإرادتها، يريد حبها وليس كرهها له، يريدها زوجة مطيعة محبة، وليست نمرة مفترسة غاضبة .

****

على الجانب الآخر، منذ ساعات وأصبحت حالة دموع مستقرة، ولكن إلى الآن لم يختلِ بها رحيم؛ فوالدها لا يفارقهم، كان يريد أن يضمها إليه، ولكنه يخجل لوجود أبيها واحتراما له ..

وأخيرا هاهو يعود إلى الغرفة ثانية بعد أن ذهب للاطمئنان على أخت الطفل الذي أنقذ دموع، وعلم أنها بأفضل حال، رجع ثانية إلى غرفتها، وحين فتح الباب، وجدها وحدها، ألقى السلام، واقترب منها، وهو يبتسم ..

رحيم: فينه عمي ؟

دموع: راح داره يجيب شويه حاجات .

رحيم بحب وهو يجلس إلى جانبها، على تختها ويمسك بكف يدها، ويقبله بحب: اتوحشتك جوي يا جلب رحيم .

دموع بخجل: واني كمانى اتوحشتك جوي .

حينها لم يتمكن رحيم من تمالك نفسه، فسحبها إليه، وضمها إليه بقوة: اني

ممصدجش حالي، انك جدامي، وبتتحدتي وياي، جلبي مكانش معاي الأيام اللي كتي بعيده عني فهيه .

دموع وهي ترفع وجهها الشاحب، ولكن تشوبه حمرة الخجل: كت خايفه جوي، إنك متجدرش تلاجيني .

رحيم بجدية وقوة: كت هلاجيكي حته لو لفيت الدينيه كلاتهيه، لو شلت كل حجر ودورت تحتيه، أني كت هجيبك لو في آخر الدينيه يا دموع، انتي مخبراش اني بحبك جد ايه، اني لمن بجولك يا جلب رحيم مبجاش كداب، لاه انتي صوح جلب رحيم .

دموع وهي تضمه إليها: يخليك ليه يا جلب دموع .

****

على الجانب الآخر مرت عدة أيام، وأصبح الوضع هادئاً كثيرا بالصعيد، ولكن لم تمر هكذا، فدموع تحسنت حالتها الصحية كثيراً، وخرجت من المشفى مع تعليمات من الطبيبة أن تلازم تختها لمدة شهر، وعدم الإجهاد طول شهور الحمل ...

بينما كان الحزن يصيب حسن بقوة، حتى حينما تتصل به ليلي لم يعد يرد عليها، كان يتألم بقوة كلما ظهر اسمها على شاشة هاتفه، يتمزق من الداخل، وينتفض قلبه مع كل جرس يرن على هاتفه، وهي كانت في حالة يرثي لها الحزن مخيم عليها، لا تدري ماذا حدث، تفكر طوال الوقت ماذا فعلت حتى يعاملها هكذا، أرادت أن تخبره أنها تحبه، وأن تطلب منه أن يأتي، ويقف إلى جانبها، ويقف معها أمام عناد والدتها، ولكنه بسهولة هكذا أخرجها من حياته، حتى لم يعد يتصل بها، ولا يرد عليها، وهي لم تمل، تريد فقط أن تعلم ما به، وإن ردَّ عليها يتهرب منها، ويغلق الخط سريعا متحججا أنه

مشغول للغاية، وسيتصل بها فيما بعد، ولكنه لا يتصل، ولا حتى يسأل عنها، ولكنها اتخذت أخيرا قرارها بعد أن يئست منه، وفقدت الأمل فيه، أنها لن تتصل به ثانية، وأن الاتفاق سارٍ بينهم، فبعد مرور الشهر سيطلقها، ولتحاول أن تأقلم نفسها على فِراقه .

****

بينما طلب همام الهواري يد جميله من حسن، ولكنه أخبره أنه سيسألها أولا؛ فهو لن يتحمل أن يفشل زواجها ثانية، ولن يتحمل أن تكون شقيقته حزينة ولو لحظه إن وافق هو دون علمها، وزوَّجها إليه،

فوافق همام، مع وعد من حسن بردٍ في أسرع وقت .

****

بينما كان رحيم يفعل كما يفعل أيُّ كبيرٍ في بلده، رجل ونعم الرجال، هذا هو من يقال عليه كبير هوارة بحق، شرف لكل هواري، قام رحيم خلال تلك الأيام بشراء منزلٍ بهوارة لذلك الطفل وأمه، مع وعد منه بالإنفاق على تعليم الأطفال، وعليهم طوال عمره رداً للجميل، مع عمل مصروف شهري لهم حتى وان مات سيصل إليهم .

****

بينما هناك بالقاهرة، كان كرم الهوارى يفعل كل شيء؛ حتى يثبت لنفسه أنه رجل، وقام بفتح شركةٍ لتصدير الفاكهة، وبالفعل تبدَّل حاله، وأصبح عمله هو كل ما يستهويه، نعم قد ندم عما بدر منه، نظرة والده إليه وقت رحيله، ودموع أمه التي لن ينساها، جعلت قلبه الجاحد الأناني يفيق، ويعلم كم أخطأ بحقهم، وحق نفسه، وكم يشعر أنه صغير جدا وليس برجل، عما فعل ولكنه الشيطان قد وسوس له، وهو في لحظة حقد نفذ، ولكن يقسم أنه قد تاب، وخلَّص نفسه من وحل الحقد والشر، ويريد فقط أن يسامحه والده، وأن ينجح بعمله؛ حتي فقط يثبت لنفسه أنه نجح لو في شيء واحد .

****

بينما كانت جميله في حالة حيرة كبيرة، منذ أن أخبرها حسن بطلب همام للزواج منها، لم يجبرها على شيء، وأخبرها أن القرار بيدها وحدها، ولكن هي كانت مشوشة؛ لم تمر فترة طويلة منذ تجربتها الأولي،

وهي مازالت لم تلملم نفسها، وما زالت تداوي قلبها مما أصابه، ولكن بداخلها شعور بالفضول ناحيته، دائما كانت تلاحظ نظراته إليها، حتى تبدلت تلك النظرات إلى حزن منذ أن تزوجت كرم، والآن ها هو يطلبها للزواج، والغريب أنها لا تشعر بالنفور أو الغضب بل بالدهشة والإثارة ..

وأخيرا اتخذت قرارها، وستخبره إلى حسن ..

هل يدوم الحال فدوام الحال من المحال .

****

الفصل الأخير

في منزل حسن الهواري، كان حسن يجلس بغرفته، يفكر ويفكر ماذا سيفعل، كل يوم يؤجل سفره إلى القاهرة؛ للذهاب لطلاق ليلي، يشعر وكأنه إن ذهب وفعلها سيزهق روحه بيده، آفاق من شروده على صوت طرقات على باب غرفته، فسمح للطارق بالدخول، لم تكن سوي شقيقته جميله، ابتسم حين رآها، وطلب منها الجلوس إلى جانبه، أيام وهو ينتظر ردها على طلب همام ..

حسن: ست البينته جايه تجولي جرارها صوح ؟

جميله بخجل: صوح بس ليه طلب عينديك جبل ما أجول رأيي .

حسن بتعجب: طلب ايه ديه ؟

جميلة بتوتر: بدي أجعد وياه، ديه بعد إذنك، واتحدت معاه، وبعديهيه هجول رأيي .

حسن وهو يفكر: حجك بس مستغريب ليه بدك أكده ؟

جميله بجدية: اني لمن اتجوزت كرم، وطلب يدي وافجت من غير أيوتهيه حاجه، بس دلوك خايفه أتجوز مره ثانيه من غير ما اعريف هو ليه عاوز يتجوزني، اني بذات عاوزه أسئلة عن حبه حاجات كتير جوي، وافهم يا اخوي هوه فعلا رايدني صوح، ولاه هيطلع كيف كرم .

حسن بابتسامة: واني موافج، وصدجيني همام ونعم الرجال، وهوه ديه الراجل اللي هيصونك، ويحافظ عليكي يا بت ابوي، بس متفكريش اني أكده بضغط عليكي، لاه .. وربي عالم اني اللي هتجوليه هوه اللي هيحصول، وجولتيله أكده، اني رأيك هوه

المهم، واللي هتجولي عليه هيحصول سواء برفض أو الجبول .

جميله وهي تقبل يده بحب: يخليك ليه .

****

في القاهرة بمنزل ليلي، كان الحزن مخيماً عليها، تخشى الساعة التي ستواجه بها حسن، لا تعلم ماذا تخبئ لها الأيام، مرت أربعه أيام دون أن تتصل به ولو مرة واحدة، وهو لم يفعلها، حينها أدركت أن حسن لا يريدها، وأن اعتقادها أنه يحبها مجرد سراب، لم تستطع التحكم بنفسها، بكت بقوة، ولكن مسحت دموعها سريعا، حين وجدت والدتها تدخل عليها، وبيدها طعام الغداء، نظرت لها الأم بحزن، ووضعت الصينية على التخت، وجلست أمامها تنظر لها بدقة..

الأم: مالك يا ليلي ؟ انتي بقالك كام يوم متغيره، انتي زعلانه مني ؟

ليلي بحزن وكذب: لا يا ماما صدقيني، أنا كويسه .

الأم وهي تنظر لها بتركيز: بتكدبي عليا ؟ أنا أمك، وأكتر حد عارفك كويس، انتي بتحبي حسن، صح؟

حينها انفجرت ليلي في بكاءٍ مريرٍ، جعل قلب والدتها يتمزق عليها، فاقتربت منها الأم سريعاً، وضمتها إليها بقوة ..

الأم: لا يا حبيبتي متعيطيش، صدقيني أنا بس خايفه عليكي، خايفه يا ليلي يحصل حاجه ليكي هناك، وعارفه أن بكره تنسي، وتتجوزي، وتقولي ماما صح، وكانت خايفه عليا، عارفه انه صعب عليكي دلوقتي، بس صدقيني أنا بعمل كده؛ لأن مش عندي استعداد أخسرك .

ليلي بحزن: خلاص يا ماما، كل شيء انتهي، وحسن خلاص نهى كل شيء بينا، بس أنا ..

وصمتت من بكائها، ولم تستطع التحدث من شدة البكاء، ولكنها أكملت بصوت متحشرج: أنا غصب عني موجوعة؛ لأن فجأة كل شيء اتغير، أنا عمري ما خفت اني أموت يا ماما، لو مكتوبلي أموت دلوقتي هموت، ومش عشان كلامك أنا هسيبه، لا .. عشان هو فجأة لما حسيت اني محتجاه جنبي بعد أوى، ونسي اني مراته، حسيت اني كنت عايشه في سراب، بقاله كام يوم متغير أوى معايا، ولا بيرد عليا، ولا حتى بيسأل عني، تعبت من التفكير، إيه اللى غيره ؟ مش عارفة .

شعرت حينها الأم بتأنيب الضمير؛ فهي السبب بكل ذلك

الأم: متزعليش يا حبيبتي، بكره ربنا يعوض عليكي .

ليلي بحزن: خلاص يا ماما، أنا عمرى ما هحب ولا هتجوز تانى، الموضوع منتهى، كل اللي أنا عاوزاه دلوقتي، إن بابا يكلمه عشان نخلص كل حاجه، ويطلقني وارتاح من العذاب اللي أنا فيه .

الأم وهي تعلم أنها المذنبة، ولكن خوفها على ابنتها يسيطر عليها : حاضر يا بنتي .

خرجت الأم بعد أن هدأت ليلي قليلا، وبعدها وجدت ليلى هاتفها يرن برقم حسن، شعرت بقلبها يدق بقوة، لم ترد أول مرة، ولكن حين رنَّ ثانية، تماسكت، وأخذت نفساً عميقاً، وفتحت الخط..

حسن: السلام عليكم .

ليلي بصوت حاولت بكل قوتها أن يكون طبيعياً؛ فهي لا تريده أن يرى ضعفها أمامه

ليلي: وعليكم السلام .

حسن: كيفك .

ليلي: في أحسن حال، انت أخبارك ايه ؟

حسن: زين .

كان صوته غريباً عليها، كان حزيناً هادئاً على غير عادته، وكأنه يتحدث إليها، وعلى صدره حجر ثقيل، خيم الصمت عليهما قليلا، فقطعته ليلي: خير في حاجة ؟ اتصالك غريب شوية

حسن بجديه: اني هاجي ليكم يوم الجمعة، عشان نخلصوا كل حاج، وهجيب المأذون ويايا .

ليلي وهي تحاول السيطرة على نفسها؛ حتى لا تنفجر بالبكاء: تمام يعنى بعد يومين إن شاء الله، تمام هبلغ بابا، وهنكون فى انتظارك، ومجهزه كل حاجه جبتها ليه .

حسن بحدة: اني جولت نخلصوا كل حاجه، مجولتش اني هاخد حاجه جبتهيه ليكي .

ليلي بعصبية: وانا مش عايزه حاجه تفكرني بيك .

حسن بحزن: للدرجه ديت ؟

ليلي بغضب: وأكتر .

حسن بحزن: اللي انتى عاوزاه، اني هجفل، عاوزه حاجه .

ليلي: لا شكرا، وأتمنالك حظ أحسن، مع السلامة .

وأغلقت الخط بوجهه، دون أن تنتظر حتى أن تسمع منه أي شيء، اعتقدت انه اتصل للاعتذار منها، ولكي يخبرها كم يحبها، ولكنه اتصل فقط ليخبرها ان كل شيء بينهم سينتهي بعد يومين، كانت تشعر وكأنه حكم عليها بالإعدام، وتنفيذ الحكم بعد يومين .

بينما على الجانب الآخر، بمنزل رحيم الهواري، كانت دموع تنفذ تعليمات الطبيبة

بدقة في الأيام الأولى، ولكنها شعرت بالملل من الجلوس طوال الوقت بتختها؛ لذلك حين خرج رحيم بالصباح، ذهبت إلى غرفة الجدة، وجلست معها، دخلت دموع عليها، وقبلت يدها بحب، فرحت بها الجدة بقوة، وظلت تدعو لها بطول العمر، وأن يرزقها الله بالخلف الصالح، وأن تدوم السعادة بينها وبين زوجها ..

دموع وهي تنظر إلى جدتها: اجولك حاجه يا ستي، أول مره اجولهيه من يوم ما اتجوزت رحيم .

الجدة بحب: جولي يا بتي .

دموع بجدية: جبل ما رحيم يتجدم ليه، وجتهيه مكانش في راسي ايوتهيه حاجه، بس في يوم بعد ما صليت جيام الليل، ونمت حيلمت بيكي .

الجدة بتعجب: بيه اني ؟

دموع: أيوه حيلمت بيكي جيبالي فستان فرح، بس حلو جوي جوي، جربت منيكي، وجولتلك بتاع مين ديه يا ستي، جولتلي انه ليه، اني فرحت وجتهيه جوي، ووطيت على يدك بوستهيه، بعديهيه سألتك كيف جيبالي فستان واني لساتني متجوزتش، لجيتك بتجولي ليه، عريسك واجف مستنيكي بره جدام الدار، وجتهيه ليبست الفستان بسرعة جوي، وكت جميله جوي، وانتي مسكتي يدي، وخرجنه سوا لبره الدار، ولجيت العريس هوه رحيم، وجتهيه جولتلك واني خايفه، العريس يبجي رحيم .. لاه يا ستي، ديه واعر جوي، جولتيلي رحيم سندك، وعزوتك، وهيكون رجلك اللي هيحميكي، ساعتهيه لجيته بيجرب مني، وبيمد يده ليه عشان أروح وياه، جولتيلي اروح ومخافش واصل، وبصيت وراه لجيت أمي هتشاور ليه، برأسهيه اني أديله يدي، حطيت يدي بيده وصحيت .

الجدة بابتسامة: رحيم جدرك ونصيبك، وهوه كيف الصخر مع الكل، لكن وياكي

كيف العيل الصغير.

دموع: كل فكري عنيه مكنش صوح، فعلا الواحد لازمن ميحكمش على حد من غير ما يعريفه زين .

الجدة: الحمد لله يا بتي، وان شاء الله ربك يحفظكم، ويحميكم من كل شر.

دموع: آمين يا ستي، اني هدله عيند مرت عمي، اشوفهيه واطمن كيفهيه دلوك .

الجدة: روحي يا بتي، ربنا يسترها معاكي، ويحفظك، وما يحرمك من حاجه واصل .

خرجت دموع، ونزلت إلى الأسفل، وهي تراعي نفسها، تنزل ببطء حتى وصلت إلى غرفة الأم، فتحت الباب، ودخلت، واقتربت منها، وقبلت يديها، فرحبت بها الأم ..

أصبحت حالة الأم مستقرة، ويوم عن يوم تتحسن حالتها بجلسات العلاج الطبيعي، نظرت لها الأم بعتاب، وهي تقول: ايه اللي جابك يا دموع ؟

دموع بحزن: معوزنيش أجيلك اطمن عليكي ؟

الأم بسرعة: لاه يا بتي، وربي عالم، انى اجصد الداكتوره مش جالت ليكي تلازمي فرشتك .

دموع: زهجت يا مرت عمي، جولت اجي اشوفك هبابه .

الأم: ان شاء الله تجومي بالسلامة، بس خلي بالك من نفسك يا بتي .

دموع: متجلجيش اني زينه جوي .

الأم: الحمد لله على كل حال .

حكت الأم لدموع ما حدث لها الأيام الماضية، وأخبرتها عن جلسات العلاج، وجعلتها ترى كيف تحرك يدها، وقدمها، ولكن بضعف، ففرحت دموع بذلك، وظلت تدعو لها أن يشفيها الله شفاء لا يغادر سقما.

وأخيرا خرجت من الغرفة؛ حتى تصعد إلى الأعلى قبل مجيء رحيم، كانت تغلق

الباب، وتتجه إلى السلالم حين سمعت صوت رحيم الغاضب، وهو ينادي اسمها: دموع!

التفتت له دموع بفزع، فوجدته يقترب منها سريعا، ويقول بغضب: ايه اللي خلاكي تجومي من فرشتك ؟ ديه اللي اتفجنا عليه ؟

دموع وهي تنظر له بحزن: زهجت يا رحيم، واني زينه جدامك مفياش حاجه واصل، والداكتوره جالت معميلش مجهود جامد .

رحيم بحدة: بردك بتعميلي اللي في راسك .

دموع وهي علي وشك البكاء، فهرمونات الحمل تؤثر بها بقوة، فتبكي من أقل شيء

دموع: رحيم .

نظر إليها رحيم وجد الدموع تترقرق بعيونها، وكانت على وشك البكاء، وأصبح وجهها أحمرَ بقوة،

فاقترب منها، وأمسك بوجهها بين يديه: اوعاكي تفكيري اني خايف على اللي في بطنك، لاه اني خايف عليكي انتي، بس اني مجدرش أتحمل يحصولك حاجه واصل، فعشان أكده اتعصبت هبابه، وخابر انهيه حاجه تزهج أن الواحد يجعد أكده، لكن اني خايف عليكي يا دموع، عشاني اتحملي لحد ما شهور الحبل تعدي، وبعديهيه اعميلي اللي انتي عاوزاه .

دموع: حاضر يا رحيم .

رحيم وهو يُقبِّل مقدمة رأسها : انتي جلب رحيم .

ابتسمت دموع إليه، وكانت تهم بالصعود إلى الأعلى، ولكن فجأة وجدته يحملها بين يديه، ويصعد بها إلى غرفتهم ..

رحيم بمشاكسة: الداكتوره جالت متعمليش مجهود واصل .

حينها انفجرت دموع في الضحك، ووضعت يديها حول رقبته، ونامت على صدره،

فهو سندها بالفعل، ونصفها الآخر، ويخشى عليها حتى من نفسه، فهي تعلم علم اليقين أن رحيم يعاملها عكس الجميع، ويحبها حبا لا نهاية له .

****

في منزل حسن الهواري، كان همام يجلس بمندرة المنزل، ينتظر أن تأتي إليه، أخبره حسن أن جميلة تريد أن تتحدث معه قبل أن تقول رأيها، شعر حينها بتوتر وخوف لا يوصف، ماذا ستقول له؟ لا يعلم،

ولكنه كان يشتاق إلى رؤيتها، وكان يصلي ويدعي ربه ليلا ونهارا أن تكون من نصيبه، وأن توافق على الزواج منه، وأخيرا وجد حسن يدخل أولا، وهي خلفه، وتلقي السلام بخجل، جلست جميله بعيداً عنه، ولكن مقابلة له، ووقف حسن وهو يقول بجدية: اني جاعد بره جدام الباب، أما تخليصوا جولولي .

همام: طيب .

خرج حسن، وكان الصمت مخيماً عليهما، لا تعلم جميله من أين تبدأ، ولكن فجأة سمعته يقول.

همام: من زمان جوي نيفسي أجعد الجاعده ديت .

جميله وهي ترفع نظرها، تنظر إليه بخجل، وأخفضت عيونها سريعاً خجلا منه، ونظرت أرضا، وهي تقول: عاوز تتجوزني ليه يا همام ؟

همام وهو ياخذ نفساً عميقاً: هجولك بس عاوزيك تسمعي، وتفهمي اللي هجوله .

أشارت له برأسها بالموافقة

همام بجدية: كت في إعدادية تجريبا لمن شفت بت صغيرة واجفه جدام داركبير هوارة، وعم تبكي، استغربت جوي، مكنتش اعريف هيه مين، جربت منهيه وسألتهيه

مالك، مردتش عليه، جولتلهيه ايه اللي موجفك أهنيه، جالتلي جايه تشتكي لكبير هوارة، وجتهيه ضيحكت جوي عيله، جايه لكبير هوارة، زعيلت جوي، وبكت من ضيحكي، وجتهيه جلبي اتجطع من بكاها، وحسيت جد إيه اني صيغير،

وطبطبت عليها، وخدتهيه، ودخلنه لكبير هوارة .. وجتهيه عيريفت مين هيه، كانت جايه تشتكي اخوهيه حسن لكبير هوارة وتجوله انه مهيرضاش يخليهيه تلعب بره الدار واصل، ضحك كبير هوارة، وجاب حسن، واتفجوا أنهيه تلعب وياهم، لكن جوه الدار متخرجش براها

ساعتهيه شفت ضحكتهيه وفرحتهيه، وجتها جلبي رجص من الفرحة، مرت سنه والتاني، واني هشوفهيه بتكبر جدامي، كت هستني اشوفهيه ولو لحظة، عشجتهيه أكتر من نفسي لحد ما كبرت، وبجت ست البنيته، وجررت اني اتجدم لهيه، ولكن مخبرش حظي كان عفش، ولا اتأخرت كيف ما بيجولوا جبل ما اتجدم لهيه بيوم واحد، لجيت كرم الهواري بيجولي انه اتجدم لهيه ووافجت عليه، وكتب الكتاب والدخلة بعد شهرين .. ساعتهيه جلبي اتحرج، ابوي بعديهيه كان نفسه اتجوز، وحاول كتير وياي انه يجوزني لكن مجدرتش، كان عيندي احساس انهيه في يوم هتكون ليه، كت في كل صلاه ادعي اني ربي يجمعني بهيه كت خابر اللي هيعمله كرم، كت ببجي عاوز أجطع من لحمه لمن يجول انه ضربك، أوعيمل وياكي حاجه كان فاكر نفسه راجل لمن يحكي انه ضربك وانتي خيت حسن الهواري، وميجدرش يعميل وياه حاجه، كن بتجطع لحد ما طلجك، بس عاوزيك تفهمي حاجه، اني عمري ما فكيرت فيكي تفكير عفش لسمح الله، لاه .. وربي عالم، لمن اطلجتي حسيت وجتهيه أن جلبي بيرجص، بس رغم اكده جوايه خوف انك متجبليش، اني كل اللي عاوزيك تعرفيه اني هحبك حب طاهر ونضيف، مستعد افديكي بروحي حتي لو موافجتيش هتفضلي في نظري أجمل بنات الصعيد كلاته،

ومفيش حد هياخد مكانك واصل .

جميله وهي تنظر له، وتقول بتعجب: للدرجه ديت هتحبني ؟

همام بصدق: وأكتر يا جميله .

شعرت جميله بصدقه، لم تعد تريد أن تسأله شيئا، وقفت وقالت له: هبليغ حسن يجولك رأيي .

وخرجت مسرعة من الغرفة، وتركته بحيرة كبيرة، لا يعلم هل ستوافق أم لا، ولكن بداخله أملاً كبيراً ان الله سيحقق له ما يتمناه .

****

في الجانب الآخر بالقاهرة، أخبرت ليلي والديها بما قاله حسن، وأنه سيأتي يوم الجمعة؛ لينهي كل شيء، كان يعلم الأب أن ابنته تتألم، وليالي حزينة على أختها بقوة، كانت الأم والأب يجلسان أمام التلفاز، حين خرجت ليلي من غرفتها، وهي مستعدة للخروج

الأم: على فين يا حبيبتي ؟

ليلي وجهها شاحب بقوة: هروح أشوف حاجه في الكلية، وارجع .

الأب: ماشي يا حبيبتي، خلي بالك من نفسك .

ليلي وهي تقترب منهم، وتقبل كل من الأب والأم على غير عادتها: ربنا يخليكم ليا .

وتركتهم وذهبت، لا تعلم الأم لماذا انقبض قلبها فجأة بعد خروج ابنتها

الأم بخوف: قلبي مقبوض أوي .

الأب بقلق: ليه بس ان شاء الله خير .

الأم: أنا هقوم أشوف ليلي من البلكونة .

الأب: استني هاجي معاكي .

ذهبت الأم سريعا خلفها زوجها، ووصلا إلى البلكونة، وراحا يتابعان ابنتهم، التي رفعت عيونها إلى الأعلى، ونظرت لهم، وابتسمت وهي تشاور لهم، ولكنها لم تكن تدرك أنها تمشي دون وعي منها، كانت بحاله لا تعلم ماذا تفعل، فجأة وجد الأم والأب ابنتهم تصدمها سيارة بقوة وتلقيها أرضا وتنزف بقوة .

صرخت الأم بقوة، ونزلت مسرعة هي ووالدها إلى الأسفل، وتتبعهم ليالي التي خرجت من غرفتها على صوتهم، كانت الأم تخشى موتها بالصعيد، وتخشى الخطر هناك، فها هي تصدمها سيارة أمام عيونها، دون أن تقدر على فعل شيء، فالموت سيدرك الإنسان في أي مكان وزمان، فالموت هو الحقيقة الوحيدة بحياة الإنسان ..

تم نقل ليلي سريعا إلى إحدى المستشفيات، وكانت في حاله يرثي لها، وكلنا نعلم تدهور حال المستشفيات الحكومية بمصرَ؛ لذلك لم تستطع ليالي أن تصمت، فلثاني مره تطلب مساعدة حسن، قامت ليالي بالاتصال بحسن، وأخبرته ما حدث لليلي، فأخبرها أنه سيحضر بالحال ..

وبالفعل قبل وصوله، قام بإرسال سيارة إسعاف ونقلتها إلى إحدى المستشفيات الخاصة التي يمتلكها ابن عمه، وتم التعامل مع الحالة، وهاهي الآن تتلقى أفضل العلاج ، والجميع بالخارج يبكون، كانت الأم تبكي ليس بيدها شيء

الأم بحزن وهي تنظر لزوجها: كنت خايفه عليها يحصل لها حاجه بعيد عني، بس قدامي عنيا شفتها، وهي بتصارع الموت، أنا مكنش قصدي، أنا اللي دمرت حياه بنتي .

الأب وهو يحاول أن يطمئنها: قدر الله وما شاء فعل .

الأم ببكاء: أنا السبب في كل ده، أنا اللي اتصلت بحسن وقلتله يطلقها، وأنها عاوزه تنطلق، أنا اللى دمرت حياه بنتي، بنتي حصلها كده بسببي، أنا كذبت عليه، وقسيت

قلبي عليها، بس أهو ربنا خلاني أعرف إنه ممكن ياخدها منى، وقدام عنيا من غير ما أقدر أعمل حاجة، والآخر اللي يساعدها هو حسن .

الأب: استغفري الله، وان شاء الله كله يبقي كويس .

كانت ليالي تقف حزينة وتبكي؛ تعلم كم تحب حسن وكم تعشقه، أفاقت من شرودها على صوت أحد الأشخاص يقول

الشخص: بسم الله الرحمن الرحيم .

نظرت له ليالي والدموع على وجهها، كان شاباً في حوالي الثالثة والثلاثين من العمر، يشبه إلى حد كبير جدا الممثل المصري شكري سرحان، ليالي بغضب وهي تمسح دموعها: إيه شفت عفريت ؟

الشخص: لا.. بس ازاي أكون لسه كاشف عليكى، ومدغدغة، وفجأة ألاقيكي ما شاء الله واقفة على رجليكي، أكيد ساحرة .

ليالي بلهفة: إنت الدكتور اللي كشف على ليلي أختي .

الطبيب بتعجب: أختك !! اه .

ليالي بلهفة: هي عامله ايه ؟

الطبيب وقد فهم الأمر: انتم توءم صح ؟

ليالي بعصبية: أيوه يا سيدى، المهم أخبار أختي إيه ؟

الطبيب: الحمد لله حالتها مستقرة، هو كسر في رجلها ودراعها، وكام ضلع بس .

ليالي بغضب: بتقول بس؟! امال كنت عاوز ايه ؟ تموت!

الطبيب: أنا آسف مقصدش .

ليالي بخجل: أنا آسفه بس ليلي مش اختي، ليلي جزء من روحي .

الطبيب: أكيد طبعا، أنا عارف يعني ايه توءم، عمتا يا ستي متقلقيش، أختك

هتقوم إن شاء الله، وتكون زي الفل .

ليلي: متشكرة يا ...

الطبيب بابتسامة: أنا دكتور أحمد الهواري

ليلي بتعجب: انت كمان صعيدي !

أحمد بابتسامة: أيوه بس أوعي تقولي لحد، اني مش بتكلم صعيدي، ديت فهيه جطع راس .

حينها انفجرت ليالي بالضحك على حديث،ه وخطفت قلبه

أحمد: مقولتليش اسمك .

ليالي: اسمي ليالي .

كان يهم أحمد بإكمال حديثه، حين وجد حسن يقترب منهما، ويسأل بلهفة دون حتي سلام: كيفهيه ليلي؟

ليالي: الحمد لله حالتها مستقرة ،دكتور أحمد لسه مطمني .

حسن: الحمد لله .

أخبر الطبيب حسن عن حاله ليلي، وأنها ستفيق بعد ساعات قليلة، وأن حالتها مستقرة .

بعد ذهاب أحمد، جلس حسن إلى جانبه ليالي التي قالت له بعتاب: ليه يا حسن ؟

حسن دون أن ينظر لها: ليه ايه ؟ مفهمش .

ليالي: ليه سبت ليلي؟ ليه دمرتها بالطريقة دي؟ ليه اتغيرت معها؟ حولتها لواحدة مكتئبة، كارهه الحياة، ليه من الاول عاملتها كويس وحسستها إنها مراتك ؟ ليه اتصلت وقلتله إنك عاوز تطلقها ؟ ليه يا حسن؟ ليه كده ؟

حسن بحزن وسخرية: اني بردك اللي عيملت اكده، اني اللي خليت أمك تتصل بيه

وتجولي انهيه طالبة الطلاج، ومش رايده تكمل وياي، عاوزني اعميل ايه مع واحدة مش ريداني ؟

ليالي بتعجب: انت بتقول ايه ؟ ليلي عمرها ما قالت كده، بالعكس لما ماما خافت عليها، وقفت قدامها، وقالت لها إنها عاوزاك، وقالت لبابا كده، وبابا وقف معاها، وفي الآخر اتصلت بيك عشان تقف معاها، لقتك سبتها، وبعدت عنها .

حسن بصدمة: انتي عاوزه تجولي أن ليلي هتحبني ؟

ليالي: بتحبك بس ؟! لأول مره اشوف أختي بتحب حد غيري بالشكل ده، ليلي مش بتحبك بس يا حسن، دي بتعشقك .

كان حسن يهم بالرد عليها، فقلبه ينتفض بقوة مما يسمعه، لكن صوت الأم جعله يقف بسرعة، وينظر لها، الأم بحزن: سامحني يا ابني، أنا كذبت، افتكرت كده اني بحمي بنتي، افتكرت اني كده بحافظ عليها، كذبت عليك، واتعاقبت على كذب،ي بس خلاص معنتش هقف في طريقكم تاني .

وحكت له الأم أن ليلي لم تقل أنها تريد الطلاق نهائيا، وأنها هي وحدها من رتبت لكلِّ شيء، ولكنها الآن نادمة على ما فعلت، حزن حسن ولكن لأجلها هي فقط، سامح الأم وشعر بفرحة لا توصف حين علم أنها تحبه، لذلك قرر أن يكون أول شخص تراه حين تفيق، فها هو يجلس أمامها منذ ساعات، ينتظر أن تفيق وأخيرا فتحت عيونها ببطء، ونظرت حولها، وهي تتذكر ماذا حدث؟ وأين؟ حاولت أن تعتدل، ولكن وجدت أحدهم يثبتها مكانها، حتى لا تتألم، وحين نظرت لم يكن سوى حسن زوجها.

حسن: متحركيش حالك، أكده هتتوجعي خليكي كيف ما انتى .

نظرت له ليلي بعدم استيعابٍ هل تحلم ماذا يحدث؟

ليلي بتعب: إنت بتعمل إيه هنا ؟

حكي لها حسن ما حدث معها.

حسن: بس الحمد لله هوه شهر ونص، وتبجي كيف الحصان .

ليلي وهي تتذكر ما قاله لها: شكرا .

حسن بمشاكسة: خابره ايه الى مزعلني في اللي حصول ديه ؟

ليلي: خير .

حسن وهو يقترب منها، ويقبل خدها بحب، وسط صدمتها من فعلته: اني هأجل جوزاي منيكي لحد لمن تخفي .

ليلي بحزن: جواز ايه ؟ انت تقصد طلقنا .

حسن وهو يضع يده على شفتيها، ويقول بجدية: أوعاكي تجولهيه تاني واصل، اني عمري ما هطلجك، واللي حصل بينتنه سوء فهم .

ليلي: مش فاهمه .

حكي لها حسن مكالمة والدتها، وما حدث بعدها، وحزنه مما وصل إليه

ليلي بدموع: كان لازم تسألني، لما احتجتك سبتني، وبعدت عني .

حسن بحزن: كت خايف انك تطلهيه مني انتي، مكتش أجدر اسمعهيه منيكي، عشان أكده بطلت أرد عليكي، سامحيني بس غصب عني .

ليلي بحزن: غصب عنك .

حسن بحب وهو ينظر لها: اني هحبك حب يكفي العالم كلاته، حكايتي وياكي من اولهيه لاخرهيه غريبة، في لأول كت هتجوز خيتك فجأة توجفي جدامي كيف الأسد، وتتحديني وأتجوزك رغم اني كت محططش الحب في راسي، لكن خطفتي جلبي ووجعتيني في حبك، وغرجت فيه .

ليلي بخجل: وده وحش .

حسن بحب: لاه حلو جوي جوي .

ليلي وهي تنظر له، وتقول بكل قوة بداخلها: أنا بحبك يا حسن أوي .

حسن بابتسامة كبيرة: مش أكتر مني، أنا هحبك أكتر منيكي بكتير جوي، عاوزيك تخفي جوام جوام، عاوز أتجوز بكفياكي عذاب اكده .

ضحكت ليلي، فتألمت من ضحكتها، فصرخت من الألم، جعلته يخاف بقوة أن يكون بها شيء، ولكنها طمأنته عليها، بعد ذلك دخل الأب والأم وليالي، وكل منهم يتمنى لها الشفاء العاجل، واعتذرت الأم منها، وأدركت أن الموت سيصيب ابنتها والخطر سيصيبها بأي مكان ..

مرت عدة أيام، وتحسنت حالة ليلي قليلا، ولكن كانت هناك بداية لقصة جديدة تجمع قلب ليالي وأحمد، وهناك نظرات وابتسامات كلما رأى منهم الآخر .

****

بعد مرور خمسه أشهر في منزل حسن الهوارى في الصعيد، وسط ضرب النار، ورقص الخيل بالخارج، والمغني يغني على الربابة أجمل الأغاني، وسط المباركات والفرحة الكبيرة؛ فاليوم دخلة حسن الهواري على ليلي ... كان حسن يجلس إلى جانبه رحيم الهواري كبير هوارة وهمام الهواري زوج شقيقته، نعم فقد وافقت جميله على الزواج منه، فكيف ترفض رجل عشقها هكذا إلى حد الجنون ؟ كان ونعم الزوج، كان يعاملها وكأنها طفلته، وليست زوجته، يخشى عليها بقوة، وإن أصابها أي شيء يتألم أكثر منها، كانت جميله طلباتها مجابة لا يرفض لها شيئاً، أخيرا وجد كل منهما سعادته مع الآخر، ويجلس بالقرب من رحيم الهواري أحمد الهواري، اقترب من رحيم قليلا، وقال بصوت هادئ: بقولك إيه هو مينفعش أنا كمان أدخل انهارده ؟

رحيم بسخرية: اعدل حديتك لأول يا هواري، وبعديهيه نبجوا نشوفوا .

أحمد وهو يتحدث بالصعيدي: بجولك يا كبير هوارة، نيفسي ادخل انهارديه كيف واد عمي حسن .

رحيم بجدية: واللهي نسأل أبو العروسة ونشوف .

منذ حوالي شهرين، تمت خطبة وكتب كتاب ليالي على أحمد الهواري، جعلها تغير رأيها كليا عن الرجال، كان رغم ضحكه المستمر وشخصيته المرحة، إلا أنه صعب للغاية، جعلها تحبه وبقوة، عشقها منذ أول نظرة، ويشعر اليوم بالغيرة من حسن لأنه سيتزوج، ويريد أن يكون اليوم عرسه بأي طريقة

أحمد بسرعة : يبجي نجوله، تعالي وياي .

اقترب كل من رحيم وأحمد إلى الأب، وحاولا إقناعه بكل الطرق، وأخيرا وافق الأب، ولكن بشرط أن يسأل ليالي في البداية، شعرت ليالي بالتوتر، ولكنها كانت دائما ما تحلم أن يكون زفافها هي وشقيقتها بنفس الوقت، لذلك وافقت، وقامت دموع بإعطائها

فستان زفافها، كان الجميع في حاله فرح ..

ظهر الحمل على دموع، وظهرت بطنها، وعلمت هي ورحيم أنها حامل بتوءم، لذلك زاد خوفه عليها أكثر وأكثر، وتحسنت حالة والدته الصحية كثيرا، وأصبحت الآن تمشي بعكاز، وتتكلم مثل السابق،

بينما طلب كرم الهواري من رحيم السماح، وأن يسمح له بالعودة إلى هوارة، ولكن تم رفض طلبه، ورحمة به سمح له رحيم أن يزور والديه مرة بالشهر، ويبيت يوماً واحداً، ويمكنهم زيارته متى أرادوا، ولكن بالطبع بعد أن وافق حسن على ذلك، ولكن رحيم أو حسن لم يفعلا ذلك من أجله نهائيا، وإنما من أجل والديه .

****

بعد مرور ساعات طويلة ..

هاهي دموع تجلس على التخت، وتضع يديها على معدتها، وتقول بألم: مجدراش خلاص، الجاعدة خلت بطني تيحجر.

رحيم بخوف، وهو يقترب منها: نروح للداكتوره .

دموع بابتسامة، وهي تضع يدها على وجهه بحب: كل أما اجولك حاجه، تجولي أكده، لاه اني زينه جوي، متخافش وعيندي خبر زين ليك جوي .

رحيم وهو يمسك يدها، وينظر لها بحب: جولي يا جلب رحيم .

دموع: اني لمن روحت مع مرت عمي تكشف، وجتهيه اني كماني روحت للداكتوره .

رحيم بقلق: ليه فيكي حاجه ؟

دموع: لاه اني كت عاوزيه اعريف اني حبله في ايه .

رحيم بمشاكسة: اكيد حبله في بني آدم، امال هتكوني حبله في جرد .

دموع وهي تصطنع الزعل، وتسحب يدها منه: أكده .. طيب مش هجولك .

رحيم وهو يسحبها إليه، ويضمها: هتخبي عليه ؟

دموع بحب: لاه مجدرش اني حبله في ولدين يا رحيم .

حينها انفجر رحيم بالضحك، وقبلها بقوة، فسألته دموع لم يضحك، قال لها أنه حين كان طفلا صغيراً، سأله والده هل تريد حين تتزوج أن تلد زوجتك ولداً أم فتاةً، فأخبره أن الله سيرزقه بولدين، وليس ولد واحد .

رحيم: الحمد لله على كل حال .

دموع: بحبك جوي يا رحيم .

رحيم بحب: انتي جلب رحيم .

****

بينما على الجانب الآخر منذ دقائق، وهي تجلس بغرفتها بمنزل حسن الهواري، تنتظر قدومه، كانت ترتعش من الداخل، لا تعلم لماذا، رغم أنها لا تخافه نهائياً !

وأخيرا وجدته يدخل، ويغلق الباب خلفه، وهو يلقي السلام كعادته، ردت عليه بهمس، فعلم حينها أنها تخافه، فاقترب منها، وجلس إلى جانبها، ورفع الطرحة عن وجهها، وهو يقول ما شاء الله؛ فقد كانت جميلة للغاية ..

حسن بحب: أخيرا بجيتي في داري، وليه وحدي .

ليلي بتوتر وهي تنظر له: من أول ما حبيتك، وأنا ليك لوحدك .

حسن وهو يمسك يديها المرتعشة: بحبك جوي .

ليلي بخجل: وأنا كمان .

حسن بجدية: عاوز نصلي اني وانتي لاول؛ عشان تبجي ليله مباركة .

ليلي: أنا موافقة، هتوضي بس .

وبعد الصلاة سويا، قال حسن دعاء الزواج، وبعدها حملها بين يديه؛ ليبدأ حسن وليلي حياتهم كزوج محب، وزوجه راضية محبة .

****

بينما على الجانب الآخر، هاهو أحمد وليالي في غرفتهما، وأحمد يجلس منذ نصف ساعة ينظر لها، وهي تأكل وكأنها لم تأكل منذ عام مضى ..

أحمد بضيق: إيه مش ناويه تخلصي ؟

ليالي وهي ترفع حاجبها، وتنظر له: إيه جعانة، مكلتش من إمبارح .

أحمد بسخرية: اه .. وحبك الأكل دلوقتي .

ليالي وهي تترك ما بيدها: خلاص نفسي اتسدت .

أحمد بمشاكسة: لا يا حبيبتي كلي الأطباق كمان !

ليالي: هقوم بقى أغسل إيدي وأغير وأنام .

أحمد وهو يقف أمامها: نعم يا حبيبتي، عيدي تاني .

ليالي: هغسل إيدي وأنام .

أحمد بجنون: لا وحياتك، ده أنا عملت كل حاجة؛ عشان أدخل الليلة، تقولي هنام، على جثتي .

ليالي وهي تضع يدها بخصرها: تقصد ايه ؟

أحمد: هقولك اقصد ايه ؟

وفجأة وجدته يقبلها بقوة، ويضمها إليه، ويحلقا سويا في بحر من الحب، كأي زوج وزوجة .

بعد مرور عدة أعوام، أنجبت دموع (زين الهواري) و(حسن الهواري)، فقد سمت أحدهما على اسم والدها، والثاني سماه رحيم على اسم صديقه ورفيق عمره حسن ..

بينما أنجبت ليالي طفلة جميلة تدعي آسيل، واستقرت هي وزوجها بالقاهرة، وكانت دائما ما تذهب إلى الصعيد، وكانت حياتهم مليئة بالجنون ..

بينما أنجبت ليلي طفلة أسماها والدها جميله على اسم شقيقته، وها هي حامل للمرة الثانية .

بينما تزوَّج كرم من فتاة من القاهرة كانت يتيمة الأب والأم، تعمل لديه بشركته، وكانت ونعم الزوجة غيرته نهائيا، أصبح شخصاً آخرَ قريباً من ربه، ومحباً لكل شخص، وأخبرها كل شيء عنه، ولكنها قالت له أنها لا يهمها كيف كان قبل أن يعرفها، ما يهمها شخصيته الآن، الماضي لا يهمها بشيء، وأنجب طفلاً جميلاً سماه عبد الرحمن، وكان يذهب إلى والديه كل شهر، ويذهبا إليه كلما اشتاقا له..

أما جميله وهمام فكانت حياتهم مليئة بالحب، تأخر حملها لسنوات، كانت حزينة للغاية، ولكنه كان سنداً لها، ودائما ما كان يخبرها أنها أهم شيء لديه، وأخيرا وبعد طول انتظار، هاهي حامل بطفلها الأول ..

تمت بحمد الله

بقلم لولو الصياد